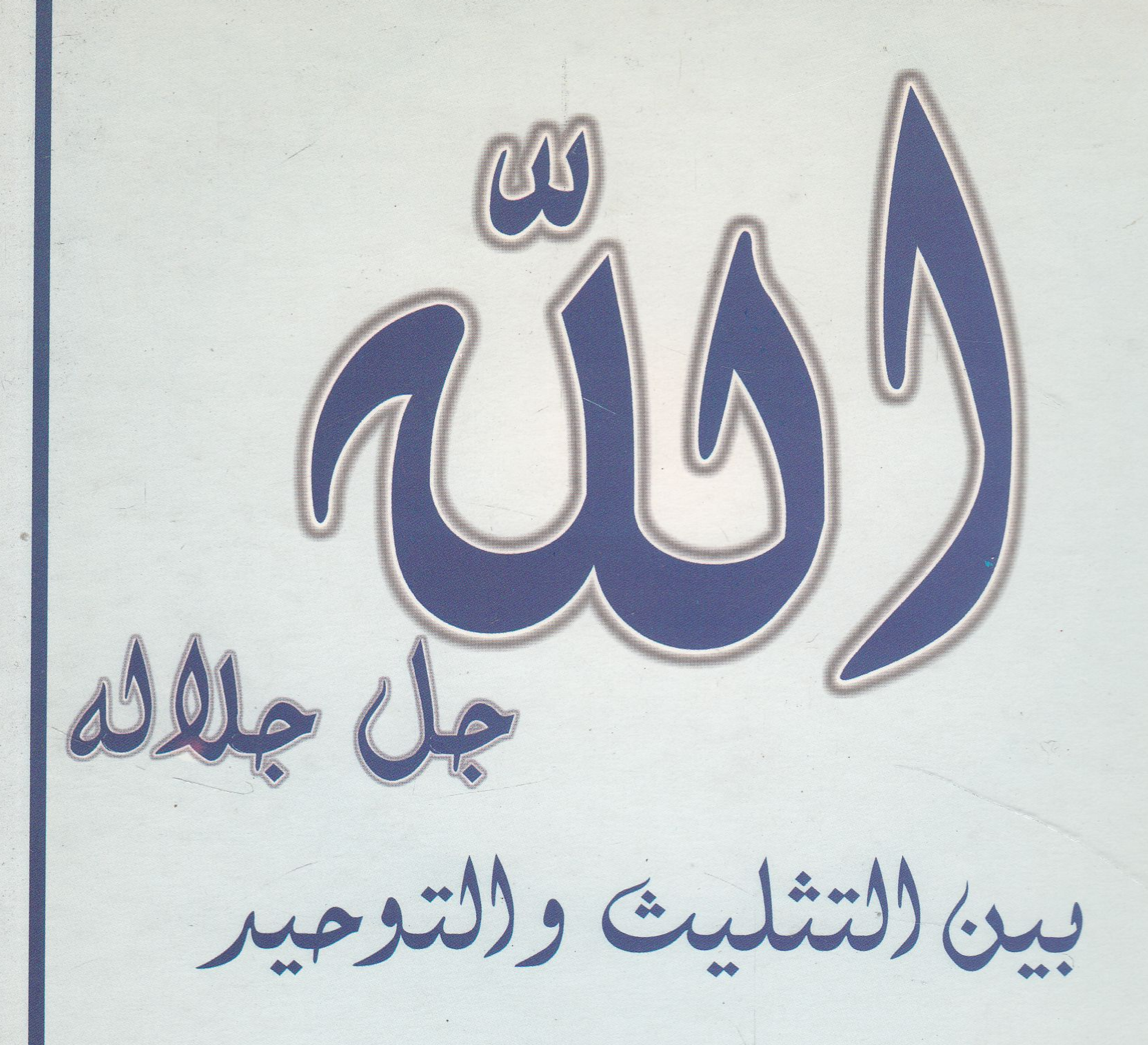


بين التثليث والتوحيد

السفير / محمد أمين جبر

النهار للطبع والنشر والتوزيع

اللّه جل جلاله
بين التثليث والتوحيد

السفير
محمد أمين جبر

بيانات الفهرسة أثناء النشر (فان)

جبر، محمد أمين.
الله جل جلاله بين التثليث والتوحيد / محمد أمين جبر
القاهرة: المؤلف، ١٩٩٩.
٢٥٩ص ؛ ٢٤سم.
١-التالوث المقدس ٢-الوحدانية
أ-العنوان
تدمك ٧- ٩٠٦٦ - ١٩- ٩٧٧
رقم التصنيف: ٢٠٢
رقم الإيداع : ٩٩/٨٥٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أخوتي أهل الأديان
السماوية الثلاث

مقدمـــــة

التاريخ الإنساني في الأرض سلسلة موصولة الحلقات، والوجود الإنساني ذاته هو التعبير الإرادي عن استشعار الذات الحرة المستقلة لوجود ذات تعلوهـــا في القـــوة والقدرة والإرادة، هي خالقة هذا الوجود المادي والطاقي الذي يعتبر الإنسان فيـــه هو الحكمة أو الغاية من كينونته ذاتها، بما يربط بين الوجود العاقل والوجود غـــير العاقل، والفكرة في إدراك هذه الغاية والحكمة هي ربط الإنسان بالقوة العظمـــى أو الذات العظمى التي تتبلور حقيقتها في ما نعرفه من الدين الذات الإلهي الواحـد، الله أو الرحمن الذي له الأسماء الحسنى. إن الوحود الإنساني يـــترابط بـــالفطرة بهـــذا الاستشعار الذي نوهنا عنه، وهو عبارة عن أساس الترعة الدينية لدي كل إنســان، فالدين إذن لصيق بالتركيب الفسيولوجي للإنسان بما يتضمنه من طاقة عقليـــة أو روحية متوازنة في نشاطها مع الغرائز لتقيم نمطها من الحياة تلعب فيـــه الحـــواس الإنسانية دورا رئيسياً، بحيث يرتفع العقل أو يرتفع الروح بالإنســـان لمســـتويات الإطلاق والكمال واكتمال التربية والمعرفة المؤمنة، أو تنحدر الغرائز بالإنســان إلى دواعي إجابة أو إشباع الحاجات والرغبات والشهوات غير راغبة في أن تحدهـــا أي حدود أو تقيدها أي قيود. والأديان عبارة عن توجيهات سماوية لإقامة هذا التـوازن بين العقل والروح من جهة، وبين الغرائز والشهوات من جهـــة أخـــري. كمـــا تستهدف الأديان السماوية تبصرة الإنسان بمصيره في اليوم الآخر الذي يقف فيـــه الناس لرب العالمين، يحاسبون بميزان العدل المطلق وبلا أي ظلم، على أعمـــالهم في الحياة الدنيا. والغاية من الدين أساساً هي توحيد الإله وإسلام الوجه والوجهة لـــه بأسلوب يناسب طور الارتقاء الفكري المعاصر لظهور الدين ومشـــاكل العصـــر المواكبة لهذا الظهور، ومع تطور المجتمعات وثقافتها وحضاراتها، وتطور محتويـــات الأديان في مدي سعتها وشموليتها، وفي طريقة مخاطبتها للنـــاس وإن كـــانت قـــد

احتفظت كلها بالأساس المشترك لها جميعاً وهو أساس التوحيد والإسلام. وكما أن المجتمعات الإنسانية تتطور وترتقي في سلم المدنية والحضارة، فكذلك واكبت الأديان هذا التطور والارتقاء على اختلاف في الدرجات، وإن كانت قد اعتمدت بالدرجة الأولي، قبل نزول الدين الخاتم، على المعجزات الحسية والأفعال الخارقة لنواميس الطبيعة. وطبيعي والمجتمعات تتطور وترتقي وتزداد تحديثاً في سلم الحضارة أن يأتي الوقت لظهور الدين الذي يخاطب الناس في عقولهم وأرواحهم، ويضع لهم من أساليب الإبلاغ ما يتجاوز معجزات الحس وخوارق الطبيعة، إلى مستويات العمل العقلي المستمر التطور والترقي في الصلة بالكون الخارجي والداخلي أي النفس من الإنسان ذاته، بذلك فقط يستطيع الإنسان أن يحيا في ظل استشعاره الذاتي للذات الإلهية في إطار من الإيمان والتوحيد والإسلام، وفي ظل توجيه العقل لنشاطات الإنسان في توازن لقيمة الدين بين نورانية العقل الإنساني ومادية غرائز الجسد بما يحقق السلام النفسي، ويحفظ على الإنسان صحته النفسية والعقلية والجسدية دون نزاع أو انفصال بينهم. ودين هذا أسلوبه سوف يتصف بالضرورة بالصلاحية الدائمة المستمرة لإجابة حاجات الإنسان العقلية والروحية والنفسية والجسدية مهما استمر وجود الإنسان في الدنيا، ومهما ترقى وتطور في المعارف والعلوم أو في سلم المدنية والحضارة. هذا الدين ليس محدوداً بوقتية المعجزة الحسية المحدودة الأثر والزمن، هذا الدين لا يفصم الإنسان بين دواعي نشاطه العقلي والروحي والنفسي وبين دواعي حاجات نشاطه الجسدي وغرائزه. وهذا الدين يؤكد على هدفية الحياة وغائيتها ويؤكد على ربط النشاط العقلي الحر بمقتضيات الإيمان وما ينبني عليه من قيم وأخلاقيات. ومثل هذا الدين يربط بين الحاضر والمستقبل، ويدعو إلى أخذ العبرة من الماضي، أي أنه يربط بين الدنيا والآخرة وكلاهما حياة للإنسان في طور من الأطوار. هذا الدين هو الشكل المكتمل والخاتم

لما مر على الإنسانية من أديان عبر تاريخ الوجود الإنساني في الأرض التي نشأ من مائها وترابها هذا الإنسان. والحق أن جوهر الدين كله هو الإسلام بما يشتمل عليه من التوحيد الخالص في الإيمان والسلوك وتسليم الوجه والوجهة لإله واحد خالق لكل شيء، والتوجه إليه وحده بالعبادة، واستشعار وجوده اللصيق بالعقل والروح الإنساني المحيط بأوجه نشاطاتهما في مراتبهما المختلفة، أي النشاطات العلنية التي تعبر عنها الحواس أو النشاطات الخفية على اختلاف مستويات عمقها في العقل والشعور.

لقد شاء الإله الواحد الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً أن يكون كلامه المباشر هو أساس هذا الدين ودستوره، كما شاء الإله الذي خلق كل شيء وقدره تقديراً أن يكون القرآن باللفظ العربي هو إطار هذا الدين المترل من أعلى إلى أدنى في بيان ميسر للذكر الإنساني، لعله يجد مدكراً. كما شاء الإله الواحد الذي خلق كل شيء وقدره تقديرا أن يختار ويصطفي إنساناً من جنس أو نوع الإنسان في الأرض في توقيت الترول، يعده إعداداً جسدياً ونفسياً وعقلياً وروحياً خاصاً يمكنه من تلقي كلام الذات الإلهي – القرآن – عن طريق الوحي في نصه العربي ثم يعيه ويحفظه ويبلغه للناس كافة أي للإنسانية كلها. وجوهر هذا الدين الخاتم في محتواه القرآني هو الإسلام ذاته الذي هو جوهر كل الأديان التي سبقت هذا الدين **﴿ شرع لكم من الدين ما وصي به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه. الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب ﴾** الشورى ١٣. الدين إذن لصيق بخلق الإنسان من هنا فإن كل إنسان لا يخلو من الاعتقاد في دين، والاختلاف لا يكون إلا في محتوى الدين – وأي نشاط إيجابي للإنسان في عملية البناء والتطوير المدني والحضاري سوف يرتبط بدرجة أو بأخرى وبشكل أو آخر وفى طور قريب أو بعيد، سوف يرتبط بالدين. هذا قانون

أساسي في الحياة يتصل بالسلوك الإنساني فيها موجهاً من الطاقة العقلية التي تستمد نشاطها من سر الروح في الإنسان، وهو سر مصدره رباني يتصل بعالم النور أو ما يسمى بعالم الأمر. ومن منطلق عناية الله بالإنسان فقد ظل القران محفوظاً من أي تغيير أو تبديل يعتريه منذ اكتمل نزوله على قلب الرسول الخاتم، وباللفظ الذي أوحى به إليه بواسطة الروح الأمين جبريل عليه السلام. ومن ثم فإن القرآن - كلام الإله تبارك وتعالى - هو حجة على كل ما سبقه من كتاب لا يزال بين الناس يتداولونه في إطار الأديان المختلفة فى الأرض، وبصفة خاصة التوراة والإنجيل أو ما يسمى بالعهد القديم، والعهد الجديد. ومن ثم أيضاً فإن ما يقصه القرآن من قصص هو أحسنه، وهو أصدقه، وهو أدقه، وهو يبين لنا قدراً مما اعترى التوراة والإنجيل من بعد موسى وعيسى من تبديل وتغيير.

أهم قضية خالف فيها القرآن التوراة والإنجيل الحاليين هي قضية ألوهية المسيح بشتى مفاهيم التثليث والتجسيد في الكتابين أو عبوديته لله الواحد الأحد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد كما فى القرآن. هذه القضية - وما يتفرع عنها أو يتصل بها - هي موضوع هذا الكتاب عن التثليث فى المسيحية والتوحيد في الإسلام. فعيسى هو النبي الذي أرسل إلى بنى إسرائيل من بعد موسى، ومحمد ﷺ هو النبي الذي بشر به موسى وعيسى يأتي من بعدهما، وهو خاتم الأنبياء.

وهذا الكتاب يعتبر دراسة موضوعية وتحقيقاً علمياً موثقاً لقضية التثليث والتوحيد في إطار أنوار الرحمة التي يمثلها نبي الإسلام للعالمين. وكل ما أرجوه من هذه الدراسة هو تقييمها التقييم العقلي الحر المحايد وغير المتعصب لتعاليم ومعتقدات، حتى ولو كان جرى عليها العمل منذ أجيال بعيدة... وغايتنا في النهاية

هي إظهار الحق: ﴿ **قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدي فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل** ﴾ القرآن - يونس / ١٠٨.

وحسبي الله وما توفيقي إلا بالله...

محمد أمين جبر

الفصل الأول

التثليث في الفكر المسيحي

احتلت [1] عقيدة التثليث لمدة طويلة مكانه هامة في تاريخ الفكر المسيحي على الأقل حتى العصر الحديث كانت عقيدة المسيحية في الله هي عقيدة التثليث كاتجاه رئيسي في الفكر اللاهوتي المسيحي [2]، وفي عهد الأب **تورتوليان** في القرن الثالث الميلادي كانت فكرة التثليث هي نقطة التميز الرئيسية بين المسيحية واليهودية، وبالتالي كل الأديان التي تؤمن بتوحيد الإله. ومنذ تثبيت دعائم عقيدة التثليث في القرن الرابع الميلادي كانت هذه العقيدة محل جدل كبير في الدراسات اللاهوتية وكذلك في عصر الإصلاح وفي عصور الجدل الديني في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر. وبعد الربع الأول من القرن التاسع عشر عندما ظهر كتاب " **العقيدة المسيحية** " عام ١٨٣١ **لفردريك شليرماخر FRIEDRICH SCHLEIERMACHER**. [3] ثم كتاب **بور** عام ١٨٤١ (**F.C. BAUR**) [4] اختفت عقيدة التثليث فجأة من صدارة الدراسة اللاهوتية البروتوستاتينية. وفى النظم اللاهوتية السائدة في القرنين التاسع عشر وبداية العشرين كانت فكرة التثليث متجاهلة وتراجعت إلى مكان غير مهم نسبياً في بناء الفكر اللاهوتي.

و يرجع **كلود ولش** هذا الاتجاه بعدم الثقة أو المبالاة إلى جذور ضاربة في عمق التاريخ المسيحي حيث اعتبر البعض أن عقيدة التثليث مخالفة للإنجيل ومتنافية مع العقل كما كان يرى الإصلاحيون. وكان هناك اتجاه في القرن الثامن عشر يتماشى

---

[1] انظر كتاب : THE TRINITY IN CONTEMPORARY THEOLOGY

لمؤلفه CLAUDE WELCM

[2] THE CHRISTIAN FAITH

[3] VEBER DIE CHRISTLICHE LEBRE VON DER DREIEINIGKEIT

[4] UNO DER HENSCHWER DUNG

مع التفكير العقلي يقول بأن الصورة التي يعطيها الإنجيل عن المسيح هي أنه معلم ذو أخلاق وقيم عليا، وتم تطهير المسيحية من كثير من خصائصها التي كانت سائدة في ذلك الوقت. وكذلك كان الاتجاه العلمي السائد الذي يفسر وحدة العالم المادي وكتابات **لوك** المؤيدة للاتجاه التجريبي، والاهتمام السائد بالدين الطبيعي، وتأكيد الكتابات الفلسفية في ذلك العصر على الأفكار الواضحة والمحددة، كل ذلك أدى إلى تركيز الاهتمام على التوحيد أو وحدة الإله. و لم تتغير بصورة ملحوظة طبيعة الفكر المتصل بعقيدة التثليث إلا في بداية القرن التاسع عشر حيث ظهرت كتابات نقدية للإنجيل وثورة في أسلوب الفكر اللاهوتي بدأها **شلير ماخر** بحيث تعدل أساس البناء الفكري اللاهوتي ليبدأ عهد جديد من التفكير في عقيدة التثليث. ومنذ ذلك العهد، وخاصة في عصرنا الحالي فإن الفكر اللاهوتي بدأ يميل نحو اهتمام أكبر بفكرة التثليث. وقد ظهر في الوسط المسيحي علماء لاهوت ينكرون عقيدة التثليث منهم **جون بيلى** [1] الذي كان يقول بأن اعتبار عقيدة التثليث هي الفكرة المسيحية الأساسية الصحيحة عن الله تعتبر قولاً مضللاً تماماً، وأن الحقيقة عنده أنه منذ القرن الثالث الميلادي بدأت الفكرة المسيحية من الله تتوافق مع قالب التثليث، وهي الفكرة المأخوذة من الفلسفة اليونانية والتي استعملت للتعبير عن الفكرة المسيحية القائلة بأن الله هو الفداء والحب. ورفض أيضاً فكرة التثليث **ماجيفرت** [2] **A.C. MCGIFFERT** وأرجع أصولها إلى عناصر من المصلحة الدينية والفلسفة الأفلاطونية، وأن معارضي آريوس كانوا مهتمين بتأكيد ألوهية المسيح لضمان ضم الإنسان مع الله، وأن المسيحية ليست في حاجة إلى عقيدة التثليث

---

[1] في كتابه THE PLACE OF JESES CHRIST IN MODERN CHRISTIANITY
لمؤلفه JOHN BAILLIE

[2] في كتابه HISTORY OF CHRISTIAN THOUGHT

لتأكيد ألوهية المسيح. وإلى ذلك المعنى ذهب مـاكنتوش [1] D.C MACINTOSH أيضاً. ويمكن القول أن أول ضربة قوية وجهت إلى عقيدة التثليث كـانت هـي حذف الكتاب الرابع من العهد الجديد باعتباره مصدراً تاريخياً أصلياً، كان مـيردر JOHANN G. MERDER قد رأى منذ عام ١٧٩٦ أن إنجيـل يوحنـا لا يمكـن الاعتماد عليه كمصدر تاريخي بالنظر إلى محتواه وأنه لذلك يعتبر - على الأقـل في جزء منه - عمل لاهوتي. ولم يتم الاعتراف بإنجيل يوحنا على نطاق واسـع إلا في عهد اشتراوس (D.F. STRAUSS) [2] وأهمية الموضوع بالنسبة لعقيدة التثليث تأتي من أن إنجيل يوحنا كان يحتوى على المـادة الوفـيرة لإثبـات عقيـدة التثليـث وبالتالي كان الشك بأن إنجيل يوحنا كان يحتوى على كلمات المسيح مؤثراً علـى عقيدة التثليث ذاتها، بل على حجية العهد الجديد بصفة عامة.

أما شلير مارخر (SCHLEIERMACHER) فقد كان يعتقد أن عقيدة التثليـث في حد ذاتها تعتبر إضافة غير ضرورية ولا مبرر لها بالنسبة للإيمان، ولذلـك كـان يقول إن عقيدة اتحاد الجوهر المقدس بالطبيعة البشرية في كل من شخص المسـيح وروح الكنيسة وضعت لتبرر فكرة الفداء الخاصة بالمسيح وبالكنيسة، باعتبارهـا حاملة هذا الفداء   وقد ذهب شيلر ماخر إلى أبعد من ذلك مؤكداً أنه حـتى لـو كانت عقيدة التثليث قد نشأت بالتأكيد من تعاليم المسيح والحواريين فإنها رغـم ذلك لا تعتبر عقيدة من العقائد اللازمة للإيمان، وأنه على المسـيحيين أن يقبلوهـا على أساس روحي فوق متناول الحواس، بحيث أن علاقة الفرد مع الله لن تختلـف سواء بالتثليث أو عدم الإيمان به، أي أن أساسيات العقيدة المسيحية مستقلة تمامـاً

---

[1] في كتابة REASONABLENESS

[2] في كتابة " LEBEU JESU " الصادر في عام ١٨٣٥

عن عقيدة التثليث، وقال **اكليمنضوس الإسكندري** المسيحي صاحب المؤلفات الكثيرة في حقيقة الدين المسيحي ما يلي عن إنجيل يوحنا: **إن يوحنا كتب إنجيله بعد كتاب الأناجيل الأخرى لأنه لاحظ أن الأناجيل السابقة لم تدون من ترجمة المسيح إلا الأمور الحسية، فتلبية لدعوة بطانته، وبعد استلهام روح القدس عقد العزم على كتابة إنجيل روحي فبغية يوحنا من إنجيله إظهار ألوهية يسوع** [1]

الأناجيل الأخرى ليس فيها ذكر ألوهية المسيح:

وقد قام الأستاذ الجليل **محمد أبو زهرة** بدراسة بعض هذه النقول واستنبط منها أمرين:

أحدهما: أن الأناجيل الثلاثة الأولى (**متى ومرقص ولوقا**) ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح أو هكذا كانت قبل تدوين الإنجيل الرابع (**إنجيل يوحنا**)

ثانيهما: أن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذي يدل عليها[2]

يقول **يوسف الديسى** القس اللبناني في مقدمة تفسيره المسمى "**من تحفة الجيل**" "إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته وذكر ما أهمله متى ومرقص ولوقا في أناجيلهم".

---

[1] انظر كتاب : " يسوع المسيح لمؤلفه الأب بولس إلياس "

[2] انظر كتاب " محاضرات فى النصرانية " لمؤلفه الأمام الشيخ محمد أبو زهرة

وحضور الله في المسيح بمعنى الوعي المتصل بالله لا يختلف عـــن حضـــور الله في الإنسان المسيحي العادي، وأن كلاً من وجود الله في المسيح كفـــرد ووجـــوده في الكنيسة ككل إنما هي أجزاء من الحضور الكلى لله في العالم بصفة عامـــة، وأن أي محاولة لإيجاد فوارق أو تميز في هذا الشأن سوف تؤدى حتما إلى القول بالتجســـيم أو التشبيه، أو خلع الصفات البشرية عن الله فالله عند شيلر ماخر هـــو الوحـــدة المطلقة، وحسب كلماته " **الله هو المطلق والبسيط بساطة مطلقة ففي الله لا يمكن أن يوجد تفرقات أو اختلافات ومن ثم فإن الصفات المقدسة لله إنما تعنى حـالات للوعي أو الإدراك** " وقد كان لإنكار **شيلر ماخر** لعقيدة التثليث أثـــر قـــوى في القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة في فكر **هورش بوشـــنيل وموسى ستيوارت**MOSS DTUART , HORACE BUSHNELL [1] وأيضاً في العصـــر الحالي بين الليبراليين. وبعد ذلك تأثرت عقيدة التثليث بفلسفة هيجل؛ حيث كـــان يعتقد مخلصاً بأن عقيدة التثليث الديني التي نشأت عن المســـيح والـــتي تصورهـــا الأناجيل كانت على الأقل مشابهة إلى العقيدة المقررة في الفلسفة في ذلك الوقـــت، وقد عارض هذا الفكر كل من **فرديك اشتراوس والويس بيدرمان** اللذان استطاعا أن يبينا الفرق بين الفكر المنسوب إلى هيجل والعقيدة المسيحية. ثم ظـــهرت بعـــد ذلك في نهاية القرن التاسع عشر في الدول الناطقة بالإنجليزيـــة خاصـــة بريطانيـــا والولايات المتحدة اتجاهات سلبية نحو عقيدة التثليـــث بفعـــل أفكـــار **ألـــبرخت رتشل** ALBRECHT RITCHELL وأيضاً تحت تأثير المؤمنين بالوحدة، وبـــالذات نتيجة للحركة الواسعة في اتجاه التفكير الليبرالي اللاهوتي ولكن يجـــب أن يكـــون مفهوماً دائماً أن هذه الاتجاهات القائلة بوحدة الإله والاتجاهات الليبراليـــة بصفـــة عامة تأتى في إطار عقيدة ألوهية المسيح وليس عبديته أو كونه رسولاً من الله كمـا

---

[1] انظر كتابه: JUSTIFICATION AND RECONCILIATION

كان الواضح عند بعض علماء اللاهوت المسيحيين في بدايات رسالة المسيح إلى الوقت الذي انعقد فيه مجمع نيقية عام ٣٢١ ميلادية. أما الفكر الديني المعاصر فيتصف بهجومه على الرأي الذي يبين الاتجاهات الحلولية في الفكر السائد في القرن التاسع عشر، وفي إطار هذه الليبرالية نشأ نوع من الفكر يعالج الشكل لا الجوهر بالنسبة لعقيدة التثليث، ويرى آخرون أن هذه العقيدة لا تنفع الفكر المسيحي إلا في إطار دفاعي. وخلت الساحة اللاهوتية المعاصرة من أي ارتباطات مباشرة بفلسفة هيجل وأنصاره، بل وانفصمت العلاقة بين الفلسفة واللاهوت إلا من كتابات قليلة تناولت طبيعة الإله من الناحية الفلسفية كما في كتابات **تشارلز هارتشورن CHARLES HARTSHORNE** كما كانت هناك كتابات تتناول عقيدة التثليث من زاوية الفلسفة العضوية كما في أبحاث **ليونيل ثورتون LIONEL THORNTON** [1] ومقارنتها بفلسفة **وايتهيد WITHEHEAD** وعلى العكس من ثورتون المتمسك بثلاثية الشخصية للطبيعة الإلهية كان هناك من يفسر التثليث على أساس وحدة الشخصية وصلتها بالتجربة الذاتية للإنسان الفرد (**أبرز القائلين بهذا الرأى دوروثى سايرز DOROTHY L. SAYERS**)[2].

رأينا كيف أن عقيدة التثليث تقهقرت في القرن التاسع عشر لتصبح غير ذات أهمية في الفكر البروتوسطنطى المحافظ. وأصبح المدافعون عن هذه العقيدة هم أولئك الذين يجتمعون تحت راية الصحة التامة وعدم إمكانية الخطأ في الأناجيل، وإذا كان **أي. جى. كارنيل** (E.J. CARNELL) قد تكفل بالدفاع الفلسفي عن عقيدة التثليث واعتبر أنه من غير هذه العقيدة لا يمكن حل معضلة الواحد والكثرة،

---

[1] انظر كتابه :- " THE INCARNATE LORD"

[2] والصحيح: انظر كتابها "THE MIND OF THE MAKER"

وبالتالي **فإن** التثليث لازم للتفسير المعقول والمنطقي للكون [1] **فإن كارنيل لا يوضح** في كتابه كيف يحل التثليث مشكلة الواحد والكثرة، ومع ذلك نجد لدى علماء اللاهوت البروتستانت من يدافع عن مبدأ التثليث من خلال نصوص الإنجيل التي يعتبرونها ذات حجية غير مشكوك فيها وموحاة من الله، ومن أمثال هؤلاء العلماء **نورمان بلوتليت (NORMAN BARTLETT) وجون تشامبيان (JOHN B. CHAMPION)** [2] ويرى **تشامبان** أن ظهور التثليث واضح في عملية الفداء والتجسيد وصلب المسيح وهو يقول:- **بما أن يسوع المسيح هو ظهور الله في شخص فإنه لا يمكنه أن يصير كذلك بدون إظهار أن الله أكثر من شخص واحد.** أما بارليت فيذهب إلى القول بأن كمال الله يقتضي أن يسعى ويجد كمالاً مطلقاً يعجب به في موجود آخر، وأن الله لا يمكنه أن يعرف نفسه بغير توافر صحبة مع موجود آخر، وإن الله لا يمكنه أن يكون سعيداً سعادة كاملة بدون أن يحب شخصاً آخر، وأن تحقيق ذاته يتطلب تضحية ذاتية أو محواً بواسطة موجود آخر... الخ، وهذا القول واضح أنه يتجاهل الفرق الواضح الموجود بين المحدود المتناهي وبين المطلق اللامتناهي، ويمكننا أن نقول أن الفكر اللاهوتي للكنيسة الرومانية الكاثوليكية هو في مقدمة الأفكار التي تدافع عن عقيدة التثليث الموكلة للكنيسة التي بدورها يمكنها أن تفسر عقيدة التثليث دون أي قابلية للخطأ في عرف أتباعها، ولكن نجد **وليام براون** مثلاً **WILLIM AOMS BROWN** يقول أن التثليث مهم للكاثوليك لأنه يعبر عن الغموض وما هو فوق العقل في الاتصال بتصور الكنيسة الكاثوليكية لله الذي تتميز به معتقدات الكاثوليك؛ ومن ثم فإن وصف التثليث باعتباره عقيدة أو من تعاليم الكنيسة يؤدى بالضرورة إلى وجوب تصديقه

---

[1] انظر كتابه: "INTRODUCTION TO CHRISTIAN APOLOGETIES"

[2] الاول في كتابة :- "THE TRIUNE GOD " والثاني في كتابه PERSONALITY AND THE TRINITY

سواء كان مفهوماً أو غير مفهوم وفي هذا يقول F.J.SHEED [1] ما يجب أن نلحظه هو أن النجاح في إيجاد أجوبة لتساؤلات مثل هذا ومثله من الأسئلة الخاصة بالطبيعة الداخلية للتثليث، هذا النجاح يجد آثاره على فهمنا لعقيدة الثالوث المقدس لكنه لا يؤثر مطلقا على قبولنا لهذه العقيدة. ولذلك نجد في الفكر اللاهوتي المعاصر اتجاهاً قوياً نحو تجديد الاعتراف بأهمية، والحاجة إلى، وجود عقيدة مسيحية عامة حول التثليث. وفي هذا الاتجاه نجد كتابات لشخصيات مثل:

كارل بارث	CARL BARTH
وليونارد هودجسون	LEONARD HODGSON
وتشارلز لورى	CHARLES LAWRY

والاعتماد في المعلومات التي تصور التصور المعاصر للتثليث مبنية على الحوادث التاريخية التي تعتبر الأناجيل والكنيسة شهوداً عليها، ومن ثم فان عقيدة التثليث لا تفهم باعتبارها عقيدة موحى بها وإنما كعقيدة تسعى الكنيسة لتوضيح المعنى الخلص بالظهور في شخص المسيح كما تحمله من معنى متصل بطبيعة الله، فالفهم المسيحي لله باعتباره خالقاً وباعتباره المخلص وباعتباره المطهر من الخطيئة يعتبر أهم مدلول لفكرة التثليث، والقول بأن الله هو المخلص لا يعنى في الفكر الكاثوليكي المعاصر أنه الأصل الذي أوجد كل هذه المخلوقات، ولكنه يعنى أنه سير هذا الوجود بطريقة خاصة هي اعتباره الأب ليسوع المسيح، وبالتالي الأب لكل الناس الذين يعتبرهم أبناء للأب. والقول بأن الله هو المطهر يعنى أن الله يعطى نفسه للناس ويوجد حاضراً فيهم باعتباره الروح القدس والثلاثة غير قابلين للتفرقة ومعتمدون

---

[1] انظر كتابه :- " LITHEOLOGY AND SANITY "

على بعضهم، أي أن الله هو إله واحد إلا أنه واحد يوجد به ثـــلاث تمـــيزات أو فوارق هي المتصلة بالأب والابن والروح القدس.

إن الكنيسة المسيحية تعترف صراحة بأن عقيدة التثليث يحيطها الغموض الكبـير بحيث أصبحت تعتبر عقبة أمام الراغبين في اعتناق المسيحية ومليئة بتعـــاليم غـــير معقولة تنكرها العقول المفكرة [1]. كما أن هذا الموضوع يعتـــبر نقطـــة الخـــلاف الرئيسية بين المسيحية وبعض الأديان الأخرى، وبصفة خاصة اليهودية والإسلام إلى جانب بعض الطوائف المسيحية التي ترفض عقيدة الثالوث المقدس الـــتي أثـــارت تساؤلات وتعرضت لهجوم من داخل أوساط الكنيسة ذاتها. ومن ثم يرى **روجـــر نيكول** ضرورة وضع تعريف سهل ومبسط لعقيدة التثليث وهو ما حاوله في هـــذا البحث الذي أعده. وفى رأى **روجر نيكول** فان عقيدة الثالوث المقدس تقوم علـــى العناصر الثلاثة الآتية :

١ - لا يوجد سوى إله واحد فقط.

٢ - هذا الإله يوجد بصورة أبدية في ثلاث أشخاص مختلفـــين، الأب والابـــن والروح القدس.

٣ - هؤلاء الثلاثة متساوون تماماً في كل الكمالات المقدسة وهم يملكون جميعـــاً الجوهر المقدس الكامل.

ثم يوضح روجر نيكول بعض الاعتقادات المسيحية نفسها التي يقول عنـــها أنها تعارض بعض الشيء عقيدة التثليث في إطار اعتراف هذه الطوائف بعنصريـــن من العناصر الثلاثة السابق بيانها وإنكار العنصر الثالث منها.

---

[1] روجر نيكول في بحث له بعنوان THE MEANING OF THE TRINITY BY ROGER NICOLE في هاميلتون الجنوبية بولاية ماسا تشوستس الأمريكية

ومنها أصحاب فكرة **الموداليزم** (**MODALISM**) الذين يعترفون بأن هناك إلـه واحد وأن الأب والابن والروح القدس يملكون جميعا الجوهـر المقـدس الكـامل ولكنهم ينكرون أن الله يوجد أبدياً في ثلاثة أشخاص، ويعتبرون الثلاثـة ظـهوراً متتالياً لنفس الشخص الواحد الذي هو الله ظاهراً في الابن وفي الـروح القـدس. ولكن يصطدم هذا التفسير في رأى **روجر نيكول** مع ما جاء في إنجيل متى ولوقـا حول تعميد المسيح، حيث يوجد الابن الذي تم تعميده، والأب الذي يتحدث مـن السموات والروح القدس الذي يتنزل في صورة حمامة. ثم يبدأ في بيان أخطاء هـذه الفكرة حيث أن تعبير الأب والابن يعنى وجود شخصين لا شخص واحد. ومـن ضمن القـائلين بفكـرة **الموداليزم** (**SWEDENBORG , SCHLEIERMACHER**)

(ثم يتحـدث **نيكـول** عـن الطائفـة الـتي تعتنـق فكـرة الخضـوع) (**SUBORDINATIONISM**) الذين يؤمنون بإله واحد وأنه موجود أبديـاً في ثلاثـة أشخاص مختلفين والاختلاف يكمن في أن الثلاثة ليسوا متساوين في الجوهر المقدس وإنما يكونون درجات كهنوتية، وهو اعتقاد يعنى تعدد الآلهة ويوصف بالشـرك في رأى المثلثين حيث يعتبر المسيح إنساناً عادياً ويعتبر الروح القدس مؤثراً على المسيح ويظل الأب فقط هو حامل جوهر الألوهية المقدس. ويرى **روجر نيكول** أن تعـاليم **آريوس** تدخل في هذا الإطار. ثم يتحدث عن المثلثين المتطرفين الذيـن ينكـرون وحدة الإله ويقولون بالوجود الأبدي للثلاثة في تساوى تام بينهم. وفى ضوء التثليث كما يتحدث عنه **روجر نيكول** فإن الله نفسه تجسد في شخص يسـوع وتحمـل العبء الكامل لمجازات الإنسان، ويعتبر أساس الفداء لكل من يسـتظلون بظلـه، وينتهي إلى القول بأنه في إطار عقيدة التثليث فإنه في عيسى المسيح الإله الإنسـان يظهر حب الأب وحب الابن وحب الروح القدس، كما تظهر عدالة الأب وعدالة الابن وعدالة الروح القدس، وأي تفرقة بين الثلاثة يعنى المساس بعملية الفداء ذاتهـا

وقد ضم كتاب (PETER TOON , J.SPICELAND) العديد من البحوث اللاهوتية عن عقيدة التثليث وصلة الإله بالإنسان والفداء والألوهية في مقارنة بين العهدين القديم والجديد وتحمل المسيح الإله للخطيئة الأولى ثم المزيد من شرح وتوضيح عقيدة التثليث المقدس لا تضيف أي عنصر جديد إلى ما قدمناه عن هذه العقيدة في هذا الكتاب من مصادره المسيحية ونذكرها للقارئ للرجوع إليها إن أراد مزيداً من التفصيلات حول الثالوث المقدس:-

م	اسم الكتاب	المؤلف
١	THE NEW TESTAMENT	BRUCE N, KAYE
٢	THE DISCERNMENT OF TRINITY	CHRISTOPHER B. KAISER
٣	THE FILOQUECLAUSE	ALASDAIRHERON
٤	THE PATRISTIC DOGMA	GERALD LEWIS BRAY
٥	PROCESS THEOLOGY	JAMES D. SPICELAND
٦	RECENT BRITISH THEOLOGY	BRAIN HEBBLETHWAITE

و البحث الأخير هام جداً في بيان الاتجاهات الليبرالية التوحيدية في الأوساط اللاهوتية في الكنائس والجامعات البريطانية خاصة كامبردج واكس فورد [1]. حيث يوجد انتقاد شديد للتفكير الثالوثي ورفض لمفهومه الكنسي التقليدي خاصة لدى الكنيسة الكاثوليكية، ويذهب بنا JURGEN MOLTMANN في كتابه " **التثليث ومملكة الله** " إلى شرح مفهوم التثليث وأهميته في الفكر الكنسي ليس من الناحية التاريخية فقط، وإنما من الناحية العملية أيضاً من خلال التجربة المتبادلة لكل من الله والإنسان وأثرها على حياة كل فرد من خلال تجربته مع الله. ويقول أن الله

[1] راجع فى ذلك أعمال كل من الأساتذة :- MAURICE WILES , GEOFFRY LAMPE

قد خلق هذا العالم ليس فقط بإرادته المطلقة، ولكن لحبه للابن الذي هو المسيح ويشير مولتمان إلى أن ايريك بيترسون [1] ERIC PETERSON أوضح أن عقيدة الكون باعتباره ملك الإله الواحد هو الذي أثر في إصلاح العقيدة اليهودية عن طريق (PHILO) الإغريقي، وأن إله اليهود الواحد تأثر بفكرة الملك السائدة في ذلك الوقت في الفلسفة اليونانية كما أن الشخصيات المعروفة التي كانت تدين بالتوحيد، TATIAN , JUSTIN والأب الكنسي TERTULLIAN وفى رأى مولتمان أن فكرة الملك لله الواحد فكرة دينية سياسية كانت تعتبر علاجاً للمشاكل التي تواجهها الإمبراطورية الرومانية بمجتمعها المتعدد الوطنيات والأديان، ولذلك فإن **مولتمان** يعتبر غزو عقيدة التثليث لعقيدة التوحيد من أعظم الإنجازات اللاهوتية للكنيسة ليس فقط في مجال الإيمان بل في الفكر السياسي أيضاً. ثم يشير إلى الإسلام باعتباره ديانة التوحيد الكبرى التي لو أدخلت في معتقدات وعبادات الكنيسة المسيحية فإن الإيمان بالمسيح يصبح مهدداً لأن المسيح في نظر **مولتمان** لا ينبغي أن يعود ليكون مجرد نبي من سلسلة الأنبياء الذين يدعون إلى إله واحد.

ويقول **مولتمان** أن فكرة الله الواحد تجعل من المستحيل تكوين عقيدة لاهوتية لأن الواحد لا يمكن أن يتجزأ أو ينقسم كما أنه لا يمكن وصفه [2]. ولذلك – في رأى **مولتمان** - كانت الكنيسة المسيحية على صواب عندما اعتبرت التوحيد أكبر خطر داخلي يهدد المسيحية، وذلك على الرغم أن الكنيسة حاولت من ناحية أخرى أن تأخذ بمفهوم الملك لله الواحد للإله المقدس وهو مفهوم يقترن بالتوحيد. ويستطرد **مولتمان** أن موضوع وجود الله وكيف يصبح الشخص مسيحياً يصبحان

---

[1] أستاذ علم اللاهوت في جامعة TUBINGEN بألمانيا

[2] راجع كتاب DIVINE SUBSTANCE لمؤلفة : STEAD الذي يتناول مفهوم التوحيد في الفكر الكنسي الأول

نتيجة عقيدة التوحيد موضوعين منفصلين، أما إذا سادت عقيدة التثليث التي توحد بين طبيعة المسيح والإله فانه يكون من نتيجة ذلك أن المسيح سوف يفهم عن طريق مفاهيم التقديس كما أن الله سيفهم بمفاهيم الكنيسة المسيحية. فالله لا يمكن أن يفهم بدون المسيح، كما أن المسيح لا يمكن أن يفهم بدون الله ومن هنا يجب رفض هرطقات كل من **أريان وسابيليان** SABELLIAN القائلين بالتوحيد. ونحن نعرف مما ذكرنا عن **آريوس** في موضوعه خلال هذا الكتاب أن المسيح هو عبد لله، إنسان عادى يحمل رسالة الله ومؤيد بروح القدس خلال حياته كلها.

وإلى نفس المعنى ذهب كل من (LUCIAN OF ANTICOM) أستاذ **آريوس وبول** (PAUL OF SAMOSATA)، وينتهي **مولتمان** إلى أن مجمع نيقية الذي انعقد في عام ٣٢٥ ميلادية لم يستطع أن يدين الفكر التوحيدي **لآريوس** إلا بصعوبة بالغة وفقط بمعاونه السلطة الإمبراطورية **لقسطنطين**. أما **سابيليس** فقد كان له تصور مختلف عن **آريوس** بالنسبة للتوحيد. فهو يعتبر الله واحداً هو المسيح إلا أنه يسمى الأب عندما يجعل نفسه موضوعاً لوحيه، ثم يسمى الابن والروح القدس عندما يصبح غاية وقوة وحيه. إذاً الله الواحد هو الذي يظهر للناس باعتباره الأب وهو الذي يظهر باعتباره الروح القدس، أي أن الله يأخذ ثلاثة أشكال الشكل الأول هو الأب ويكون بمثابة الخالق والمشرع، الثاني شكل الابن عندما يكون المخلص. والثالث شكل الروح القدس عندما يظهر باعتباره واهب الحياة. فالأب والابن والروح القدس هي صور الظهور الثلاثة التي يعبر بها الإله الواحد عن نفسه. أما هذا الإله الواحد نفسه فهو غير معروف وليس له اسم أو وصف. وقد كانت تعاليم **سابليس** هي السائدة في الفكر الكنسي في روما طوال القرن الثاني

الميلادي إلا أن هذا الفكر التوحيدي اعتبر بعد ذلك من الهرطقات[1]، وقـد أثـار موضوع التثليث بل وموضوع اعتبار المسيح هو إله عـدم ارتيـاح في الأوسـاط الكنسية خاصة في بريطانيا البروتستانتية، ومنذ فترة مضت حيث يبـدو أن هـذا المفهوم يتعارض مع مقررات العلوم الحديثة التي يحرص على أن يرتبط بها القـائمون بالوعظ والإرشاد في الكنيسة [2]. ونحن نعلم أنه عقـد في **منديـلا اكسـفورد** في **بريطانيا** عام ١٩٢١ مؤتمر حضره الكثير من الأساتذة ورجال الكنيسة وفي هـذا المؤتمر كما يقول الدكتور **أحمد زيدان** أعلن الدكتور **راشدال** عميـد **CARLISLE** أن قراءاته للعهد الجديد منعته بأن يعتقد بأن المسيح هو الله، ولذلك كان يؤمن بـأن المسيح هو إنسان عادى وليس إلهاً كما كان يؤمن بأنه علـى علمـاء اللاهـوت اللبراليين أن يشرحوا بكلمات محددة ماذا يعنون بـالضبط عندمـا يسـتخدمون المصطلحات التقليدية في موضوع تقديس المسيح، وصرح الدكتـور **راشـدال** في المؤتمر بأنه يجب أن يكون من الواضح تماماً أن المسيح لم يدع في الإنجيل بأنه ابـن الله بالمعنى الفيزيقي ولا بالمعنى الغيبي كما يحددهما الفكر اللاهوتي الكنسـي وإنمـا استخدم المسيح عبارة بنوته لله بمعنى مجازى، باعتبار أن كل الناس يعتبرون أبنـاء الله في علاقتهم به والتمسك بتعاليم وقيمه الأخلاقية [3] النابعة من رسـالاته الدينيـة وعارض **د.رشدال** **HASTINGS RASHDALL** نظرية التثليث كمـا أوضحـها **تشارلزجور** **CHARLES GORE** ويذهب الفكر الكنسي اللاهوتي إلى النظـر إلى الله باعتباره إنساناً يضفي على الناس من حبه وينجي برحمته الذين يستجيبون لهـذا

---

[1] الهرطقة تعنى الكفر فى المفهوم الكنسى

[2] انظر كتاب ONE GOD IN TRINITY المقدمة لمزيد من التفاصيل

[3] انظر كتاب CHRISTINAITY MYTH OR MESSAGE لمؤلفة الدكتور أحمد زيدان – الفصل الثانى، لمزيد من التفصيل فى هذا الموضوع، وكتاب GOD AND MAN لمؤلفة HASTINGS RASHDALL

الحب من البشر. بينما يذهب معتنقوا العالمية (UNIVERSALISM) إلى القول بأن الله المتجسد في صورة إنسان ينجي كل البشر سواء الذين يستجيبون بدعوته للمحبة أو لا يستجيبون. ويذهب أولئك وهؤلاء إلى القول بأن الصورة المثلى لتصور الإله في التجسد الإلهي في صورة شخص هو المسيح. ثم يطورون هذه العقيدة فيما يعرف بالثالوث المقدس أي باعتبار الإله ثلاثة أشخاص [1]. وقد دافع عن هذا المفهوم كثير من علماء اللاهوت المسيحيين ومن أشهرهم البريطاني) WILLIAM OF OACKHAM ويذهب **مجراث** في كتابه المشار إليه الذي يتحدث عن مفهوم الثالوث المقدس، إلى القول بأنه بعد أن أوضحت الأديان السابقة عن تاريخ الأنبياء والرسل أوصاف الإله فقد حان الوقت ليعبر الإله عن نفسه في صورة شخصية تجسيدية هي المسيح. وهكذا جاء الإله إلى الناس في الأرض بعد أن تخلى عن مجده وقوته وسلطانه وظهر في تواضع إلهي إلى الناس لكي يعرفوه بشخصه لا بمجرد أوصافه كما كان الحال في الماضي خاصة في الديانة اليهودية كما كانت أساساً في العهد القديم، ويستمر ماجراث قائلا أن اعتبار المسيح هو الله المتجسد لم يكن نتيجة قرار فردى من أي من رجال اللاهوت الكنسيين، وإنما هو نابع من رؤية المجتمع المسيحي كله ووثائق العهد الجديد عبر القرون. وهذا بالطبع لا يمثل الحقيقة بالنسبة لاعتماد وتقنين عقيدة تجسد الإله في شخص المسيح وعقيدة الثالوث المقدس بواسطة المجامع المسكونية المسيحية خاصة مجمع **نيقية** الذي عقد عام ٣٢٥ بعد الميلاد على ما سيبين للقارئ بالتفصيل في موضعه من هذا الكتاب، ثم يعترف ماجراث في كتابه أن هذه النظرة المزدوجة الحالية لطبيعة المسيح ليس مجمعاً عليها في الفكر اللاهوتي فهناك من يعتقدون بأن الله تجسد في شخص المسيح

---

[1] UNDERSTANDING THE TRINITY لمؤلفه ALISTER MCGRATH من علماء اللاهوت البريطانيين

ويؤمنون باستحالة ذلك بمنطق الأشياء ومعارف العلوم، وهم يعتبرون المسيح مـــن عظماء الرجال أو من الأنبياء والرسل، وينتقدون اشتراط الكنيسة الإيمـــان بـــالله المتجسد في صورة المسيح كشرط للانضمام إليها. وهم يقولون بـــالصلب ولكـــن باعتبار الذي صلب هو إنسان وليس إله المحبة الذي تؤمن به الكنيسة ولكن **مجـوات** الذي يشرح بحماس عقيدة الإله المتجسد في صورة المسيح - وتحت وطأة ظـــهور بعض المتناقضات في عقيدة التجسيد الإلهي - يفيض في بيان الثالوث المقدس الـــذي يؤمن به كضرورة حتمية للخروج من مأزق مثل اعتبار المسيح إلهـــاً ثانيـــاً... أو تفسير اتجاه المسيح بالعبادة إلى الله أو كون الإله في السموات وقت وجود المســـيح في الأرض... أو كون المسيح إلهاً فوق من ثم تنتفي عنه صفات البشـــرية فتظـــهر مشاكل خاصة بالصلب والفداء وحساب الناس وغير ذلك... أو كون المســـيح إنساناً فقط وبالتالي تنهدم دعائم المسيحية الحالية الـــتي تدعـــي تجســـد الإلـــه في الإنسان... ومن ثم راح **مجراث** يشرح مفهوم التثليث بأمثلة وإن كـــان لم يخـــف الحقيقة بأن كثيراً من نصوص العهدين القديم والجديد تشير بوضوح إلى وحدانيـــة الله [1] ويعترف **مجراث** في كتابه بأنه من الواضح أن العهد الجديد يتحدث عن الإلـــه

---

[1] (HEAR , O ISRAEL : THE LORD OUR GOD , THE LORD IS ONE)
DEUTERONOMY 6.14 ALSO : MARK 12:19 - CORINTHIANS 8:16 – EPHUTERONOMY 4:6 - , TIMOTHY 2:5 - JAMES 2 : 19

والأربعة مواضع يتحدث فيها الإله عن نفسه في العهد القديم بصيغة الجمع (سفر التكوين ١ : ٢٦ –٣٠ : ٢٢ – ١١ : ٧ – اسحق ٦ : ٨) إنما تعني جمع العظمة والسلطان أو الملك كما أن يقال " نحن ملك مصر" مثلا. كما أن العهد الجديد يؤكد في كثير من المواضع وحدانية الله كما يلي :

MATHEW	23:9
MARK	10:18 & 12:29
JOHN	5:44 & 17:13
ROMANS	3:30 & 1 CORINTHIANS 8:4 & 6
GALATHIANS	3 :20
EPHESIANS	4 : 6
1 TIMOTHY	1.17 & 2 :5
JAMES	2.19 & 4 : 12

كموجود غير المسيح، حيث يشير المسيح ذاته بأن الله هو موجود غيره وأنــه - أي المسيح - يتعبد أو يصلى لله وأخيراً يسلم روحه لله عند موته علـــى الصليـــب... ولكن **مجراث** يتمادى في لي النصوص وفى تغيير فهم معانيها الظـــاهرة ليصـــل في النهاية إلى تبرير عقيدة الثالوث المقدس وكلامه يفترض سذاجة القـــارئ لــه، وطاعته العمياء للكنيسة ويمكن الرجوع إليه في الطبعـــة الإنجليزيـــة المنشـــورة في **بريطانيا** عام ١٩٨٧ بواسطة **KINGSWAY PUBLICATIONS LTD - SUSSEX**

ويشرح **ماريا كفانا** القس الفلبيـــني (**JUSSUS MARIA CAVANNA**) مفهوم التثليث فيقول إنه في نفس الإله الواحد يوجد ثلاثة أشـــخاص متبـــاينون، الأب والابـــن والروح القدس[1]. والابن جاء بواسطة الأب عن طريق العلـــم وبالتالي فإن الابن هو فكرة أو كلمة أو حكمة الله. والروح القدس حـــاصل مـــن الأب والابن عن طريق المحبة، فهو يمثل الحب المطلق المشترك للأب والابن. وكـــل شخص من الثلاثة له نفس الطبيعة الواحدة المقدسة. كل واحد منهم هـــو الإلـــه الواحد الحقيقي، ومن ثم فإن الثلاثة متساوون في العظمة، ولهم نفس القوة والحكمة والخير بحيث لا يعتبر أي واحد منهم أعظم أو أكبر أو أصغر مـــن الآخريـــن لأن الثلاثة متســـاوون في الأبدية واللانهائية ويعتبرون إلهاً واحداً. واعترف أنني ارتحـــت عندما اعترف **ماريا كافانا** بأن هذا يعتبر لغزاً غامضاً يتجاوز ذكـــاء أو فـــهم أي إنسان أو ملاك، وعنده أن هذه العقيدة هي اللغز الأكبر الغامض للعقيدة المسـيحية، حقيقة لا يمكن أن نفهمها كاملة ولكن يجب علينا قبولها لأن الله الذي هو الحـــق

---

[1] انظر كتابه :- BASIC CHRISTIAN DOCTRINE
الصادر في الفلبين

المعصوم. وأن الله لا يمكن أن يعتبر إلهاً لا متناهياً في كمالاته لو كـــان مفـــهوماً بواسطة عقولنا المحدودة المتناهية. وننتهي إلى القول بأن هذا اللغز الغامض لا يمكـــن أبداً توضيحه أو فهمه كاملاً لعقولنا المحدودة. والحقيقة التي لا يمكن أن تقـــاس أو تمثل هي أن الله وكلماته ومحبته يعتبرون ثلاثة أشخاص متباينين كلاً منهم عـــن الآخر في الوقت الذي يظل كل واحد منهم والثلاثة مجتمعين، معتبرين إلهاً واحـــداً فنقول " **طبيعة واحدة في ثلاثة أشخاص** " أو " **رد ثلاثـــة أشـــخاص في طبيعـــة واحدة** ". أما عن طبيعة المسيح فيقول **ماريا كفانا** أنه له طبيعتان واحدة مقدســـة وواحدة بشرية متحدتان في شخص واحد مقدس هو الشخص الثاني من الثـــالوث المقدس. فالمسيح هو الإله الحق والإنسان الحق وهاتـــان الطبيعتـــان متحدتـــان في شخص واحد هو الإله الابن ومن ثم فكل ما فعله المسيح حتى في إطـــار طبيعتـــه البشرية باعتباره رجلاً، قد تم فعله من الله في الحقيقة، الله الابن وليس عن طريـــق أي شخص إنساني بحيث يمكننا أن نقول عندما نتحدث عن المسيح، أن الله قد ولـد ونمى ومشى وأكل ونام وتعب وتألم ومات.

و يحدثنا الأب **بولس الياسمي الياسوعي** [1] فيقول :

((من الناس من يقولون: لم يا ترى إله واحد في ثلاثة أقانيم ؟ أليس في تعـــدد الأقانيم انتقاص لقدر الله ؟ وأليس من الأفضل أن يقال : الله أحد وحسب؟))

لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بـــالتثليث، وكنـــه الله محبـــة (**يوحنا الأولى ٤ :١٦**) ولا يمكن أن يكون محبة، ليكون الله سعيداً، فالمحبة هـــي مصدر سعـــادة الله، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضـــان

[1] في كتابه " يسوع المسيح "

الماء وانتشار النور، فهي إذن تفترض شخصين على الأقل يتحابان، ويفترض من ذلك وحدة تامة بينهما. وليكون الله سعيداً - ولا معنى لإله غير سعيد وإلا انتفت عنه الألوهية - كان عليه أن يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته، ويكون بالتالي صورة ناطقة له، ولذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه، ووهبه ذاته، ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته. وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الأب والابن كانت الروح القدس. هو الحب إذا يجعل الله ثالوثاً وواحداً معاً.

((ولا يصح أن يكون هذا الكائن الذي حبس الله الأب محبته عليه إلا الابن، ولو كان غير الابن، ولو كان خليقة محدودة، بشراً أو ملاكاً لكان الله بحاجة إلى من دونه كمالاً، وعد ذلك نقصا في الله ، والله متره عن النقص، فتحتم إذا على الله والحالة هذه أن يحبس محبته على ذاته فيجد فيها سعادته، لهذا يقول بولس الرسول: إن الابن هو صورة الله الغير المنظور وبكر كل خلق))
(كولوس ١: ١٥)

((ليس الله إذا :كائناً تائهاً في الفضاء، منعزلاً في السماء لكنه أسرة مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة وتفيض منها على الكون براءته، وهكذا يمكننا أن نقول إن كنه الله يفرض هذا التثليث)) (٣)،أ،هـ

ويفسر الأستاذ الدكتور **أحمد شلبي** [١] ذلك بأن المسيحية مرت بعهود ضعف واضطهاد كثيرة، ومنيت بهزائم كثيرة من خلال بطش الحكام بالمسيحيين أضعفت مقاومتهم، ونتج عنها استتار المسيحيين أو جعلتهم على الأقل يكتمون تدينهم بين أضلاعهم فلا يعرفه أحد. وامتد الاضطهاد إلى إنجيل عيسى فالتهمه وقضى عليه،

---

[١] في كتابه القيم "المسيحية " من جمله كتب سلسله مقارنه الأديان

وفقدت المسيحية في ذلك كثيراً من رجالها في قمتهم المسيح نفسه، وفقدت أكثر مراجعها الأصلية، وأصبح مصدر المسيحية واهناً أو معدوماً، وعلى سبيل المثال كان اضطهاد اليهود للمسيحيين في البداية قاسياً وعنيفاً شمل القتل والصلب والتنكيل ثم كانت حركات الاضطهاد البشعة التي عانى منها المسيحيون في القرن الأول في عهد **نيرون** ثم في عهد الإمبراطور **دقلديانوس** الذي سمى عصر الشهداء وامتد قرابة العشرين عاما حتى عام ٣٠٥ ميلادية ثم في عهد **تيودوسيوس** ٣٩٥ م حيث ظهرت محاكم التفتيش التي تم بواسطتها اضطهاد المسيحيين لأبناء عقيدهم الذين كانوا ضد التصورات الجديدة التي أدخلها **بولس** على مسيحية التوحيد الأصلية التي بشر بها المسيح وتاريخ محاكم التفتيش هو تاريخ الاضطهاد الديني في أقصي صوره، وتاريخ قتل حرية الفكر بأبشع الوسائل إلى غير ذلك.

ودخل **بولس** المسيحية كما سبق وكان عارفاً بالفلسفة الإغريقية التي تمثلها مدرسة الإسكندرية ووجد **بولس** الميدان خالياً، واستخف الطرب ببعض المسيحيين لأن **بولس** عدو المسيحية اللدود قد انتسب إليها، وبدأ **بولس** يضع البذور التي نقل بها المسيحية من الوحدانية إلى التثليث، ووافقت فكرة التثليث الجماهير، وكانت الجماهير قد نفرت من اليهودية لتعصبها، ومن الوثنية لبدائيتها، فوجدت في الدين الجديد ملجأ لها، وبخاصة أنه أصبح غير بعيد عن معارفها السابقة التي ألفوها وورثوها عن آبائهم وأجدادهم.

ولم يقفل هذا الباب بعد بولس بل ظل مفتوحاً، واستطاع بعض اتباع **بولس** أن يصيروا من آباء الكنيسة وذوى الرأي فيها. وتم امتزاج تقريباً بين آراء مدرسة الإسكندرية وبين المسيحية الجديدة، ويقول **ليون جوتيه GAUTHIE** : ((**إن**

المسيحية تشربت كثيراً من الآراء والأفكار الفلسفية اليونانية، فاللاهوت المسيحي مقتبس من المعين الذي صبت فيه الأفلاطونية الحديثة، ولذا نجد بينهما مشابهات كثيرة)).

ويذهب الدكتور **يوسف بوست** في قاموس الكتاب المقدس إلى **أن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الابن، والله الأب، والله الروح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء. وإلى الروح القدس التطهير، غير أن الأقانيم الثلاثة تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء.**

ويقول **WILLIAM PATOUN**، إذا أردنا أن نفهم طبيعة الله **في المسيحية، فهناك نراه: الله الذي عاش معه يسوع في صلة وثيقة لا تنفصم عراها، صلة الابن بالأب، وكل ثروات الولاء والتعبد التي خلفها كتاب العهد القديم، كلها اختزنت في فكر يسوع المسيح عوناً لنا على فهم حقيقة الله، فهو الإله الذي تفوق قداسته كل تصورات الإنسان، عيناه أطهر من أن تريا الشر، هو خالق البشر والمسيطر على العالم، هو الأب ويحمل هذا اللقب كل معاني العطف والمودة والحنان.**

ويسوع يعلن الأب لا في كلمات ينطق بها فقط، بل في حياته وشخصه وبينه وبين الأب علاقة سرية متينة الأواصر و لم يستطع تلاميذه أن يتقصوا إلى مكوناتها ((**أنا في الأب والأب في، ومن رأني فقد رأى الأب**)) فإن رمنا أن نعرف طبيعة

الله، على قدر ما يستطيع الإنسان أن يعرف، فلا مندوحة عن الرجوع إلى شخص يسوع[1].

ويقول القس بولس سباط في ذلك ما يلي: **يرى النصارى أن الباري تعالى جوهر واحد، موصوف بصفات الكمال، وله ثلاث خواص ذاتية كشف المسيح عنها القناع وهي الأب والابن والروح القدس، ويشير بالجوهر الذي يسمونه الباري ذا العقل المجرد إلى الأب، وبالجوهر نفسه الذي يسمونه ذا العقل العاقل ذاته (أي الذي يعقل ذاته) إلى الابن، وبالجوهر عينه الذي يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته إلى الروح القدس، ويريدون بالجوهر ما قام بنفسه مستغنياً عن الظروف** [2].

ويقول القس إبراهيم سعيد في تفسير بشارة لوقا [3]: **يليق أن نوضح بكلمات موجزة المعنى المراد "بابن العلي أو ابن الله " فلم يقصد بها ولادة طبيعية ذاتية من الله، وإلا قيل ولد الله، ولم يقصد بها ما يقال عادة عن المؤمنين جميعاً أنهم أبناء الله، لأن نسبة المسيح لله هي غير نسبة المؤمنين عامة لله، ولم يقصد بها تفرقة في المقام من حيث الكبر والصغر ولا الزمنية ولا الجوهر، ولكنه تعبير يكشف لنا عمق المحبة السرية التي بين المسيح والله، وهي محبة متبادلة، وما المحبة التي بين الأب والابن الطبيعيين سوى أثر من آثارها وشعاع ضئيل من بهاء أنوارها. ويراد بها إظهار المسيح لنا أنه الشخص الوحيد الذي حاز رضا الله وأطاع وصاياه، فقبل الموت، موت الصليب، لذلك يقول الله فيه: هذا ابني الحبيب**

---

[1] أديان العالم الكبرى ترجمة حبيب سعيد ص ١٠٤ و١٠٨.

[2] المشرع ص ١٣- ١٤.

[3] تفسير بشارة لوقا ص ٦٩ – ٧٠.

الذي به سررت، له اسمعوا. وقد تكررت هذه العبارة عدة مرات مـدة خدمـة المسيح على الأرض لأنه تمم إرادة الله في الفداء. ويراد بهـا إظـهار التشـابه والتماثل في الذات وفى الصفات وفى الجوهر، كما يكون بـين الأب والابـن الطبيعيين، فقيل عن المسيح أنه بهاء الله ورسم جوهره، وقال هو عن نفسه مـن رأني فقد رأى الأب، أنا والأب واحد، ويراد بهما دوام شخصية المسيح باعتباره الوارث لكل شئ الذي منه وبه وله كل الأشياء، وقد يراد بها معاني كثيرة غـير معدودة يقصر دون إدراكها العقل.

ويقول القس بوطو [1] موضحا الثالوث ومبيناً لماذا لم يظـهر بوضـوح الابـن والروح القدس في التوراة ولا قال بهما اليهود: بعد ما خلق الله العـالم، وتـوج خليقته بالإنسان لبث حيناً من الدهر لا يعلن سوى ما يختص بوحدانيته، كمـا يتبين ذلك من التوراة، على أن المدقق لا يزال يرى بين سطورها إشـارات وراء الوحدانية، لأنك إذا قرأت فيها بإمعان تجد هذه العبارات : ((كلمـة الله، أو الروح القدس)) ولم يعلم من نزلت إليهم التوراة ما تكنه هذه الكلمات مـن المعاني لأنه لم يكن قد آن الوقت المعين الذي قصد الله فيه إيضاحها على وجـه الكمال بالتفصيل، ومع ذلك فمن يقرأ التوراة في ضوء الإنجيل يقف على المعـنى المراد، إذ يجدها تشير إلى أقانيم في اللاهوت. ثم لما جاء المسيح إلى العالم أرانـا بتعاليمه وأعماله المدونة في الإنجيل أن له نسبة أزلية سرية إلى الله تفوق الإدراك، فهو مسمى في أسفار اليهود ((كلمة الله)) وهى ذات العبارة المعلنة في الإنجيـل، ثم لما صعد إلى السماء أرسل روحاً، ليسكن بين المؤمنين وقد تبين أن لهذا الـروح أيضا نسبة أزلية إلى الله فائقة كما للابن ويسمى الروح القـدس، وهـي ذات

---

[1] رسالة الأصول والفروع ص ٤٣ – ٤٥.

العبارة المعلنة في التوراة كما ذكرنا، ومما تقدم نعلم بجلاء أن المسمى بكلمة الله والمسمى بروح الله في نصوص التوراة هما المسيح والروح القدس المذكوران في الإنجيل، فما لمحت به التوراة صرح به الإنجيل كل التصريح، وأن وحدة الجوهر لا ينقصها تعدد الأقانيم [1] وكل من أنار الله ذهنه وفتح قلبه في فهم الكتاب المقدس لا يقدر أن يفسر ((الكلمة)) بمجرد أمر من الله أو قول مفرد، ولا يفسر ((الروح)) بين القوى التأثيرية، بل لا بد له أن يعلم أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم متساوية في الكمالات الإلهية، ومتميزة في الاسم والعمل، والكلمة والروح القدس اثنتان منها، ويدعى الأقنوم الأول الأب، ويظهر من هذه التسمية أنه مصدر كل الأشياء ومرجعها، وأن نسبته للكلمة ليست صورية، بل شخصية حقيقية، ويمثل للإفهام محبته القائمة وحكمته الرائعة، ويدعى الأقنوم الثاني الكلمة لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية، وأنه وسيط المخابرة بين الله والنسل ويدعى أيضاً ابن، لأنه يمثل للعقل نسبه المحبة، والوحدة بينه وبين أبيه وطاعته الكاملة لمشورته والتمييز بين نسبته هو لأبيه ونسبة كل الأشياء إليه، ويدعى الأقنوم الثالث الروح القدس للدلالة على النسبة بينه وبين الأب والابن، وعلى عمله في تنوير أرواح البشر، وحثهم على طاعته، وبناء على ما تقدم يظهر جلياً أن عبارة الابن لا تشير كما فهم بعضهم خطأ إلى ولادة بشرية، ولكنها تصف سرية فائقة بين أقنوم وآخر في اللاهوت الواحد، وإذا أراد أن يفهمنا تلك النسبة لم تكن هناك عبارة أنسب من الابن للدلالة على المحبة والوحدة في الذات

---

[1] يرد السيد عبد الأحد داود على دعوى أن الوحدة لا تنافي التثليث بقوله : تدعى الكنيسة أن الثالوث لم يتشكل من ثلاثة آلهة، ولكنها تعترف بوجود نسبة بين الأقانيم، وأن لكل منها صفات وواجبات ليست للآخرين فمعنى هذا هو التغاير وعدم الكمال لكل منها وحده، وصفة النقص هذه تنفي الألوهية. (انظر الإنجيل والصليب ص ٩)

والإبانة للمشورة الإلهية، وأما من حيث الولادة البشرية فالله متره عنها، ولأجل هذه الإيضاحات الجلية علم خدام الدين المسيحي واللاهوتيين حسب ما قررته الكلمة الإلهية أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم حسب نص الكلمة الأزلية، ولكل منها عمل خاص في البشر.

ويختم هذا المؤلف شرحه لعقيدة التثليث بقوله: **قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا، ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاء في المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السموات وما في الأرض، وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية.**

والذي قال به القس **بوطر** قال به أيضاً الدكتور **الخوري جرجس فرج** وألفاظه هي:

لا تقل في قلبك كيف يمكن أن يتجسد الله ويصير إنساناً، فدع ذلك لأنه من شأنه الخاص [1].

ويقول القس وهيب عطا الله: **إن التجسيد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية، ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولم يكن معقولا** [2].

أما كيف اعتبر عيسى إلهاً والروح القدس إلهاً؟

---

[1] انظر كتاب " شرح رساله القديس إلى أهل روميه "

[2] انظر كتاب "طبيعة السيد المسيح " لمؤلفه " القس وهيب عطا "

فيقول HG. WELLS كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يبشر الناس، وكان اسم بولس في الأصل شاءول، وكان في بادئ الأمر من أبرز وأنشط المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد، ثم اعتنق المسيحية فجأة وغير اسمه فجعله بولس، وقد أوتي ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية، فتراه على علم عظيم باليهودية والمتراسية وديانة ذلك الزمان التي تعتنقها الإسكندرية، فنقل إلى المسيحية الكثير من فكراهم ومصطلح تعبيرهم، ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها (وهي فكرة ملكوت السموات) ولكنه علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب، ولا زعيم اليهود الموعود فقط، بل انه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر.

فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية. (وقد استعارت المسيحية أشياء كثيرة من هذه الديانات كالقسيس الحليق، وتقديم النذور، والهياكل والشموع والتراتيل والتماثيل التي كانت لعقائد متراس والإسكندرية، بل تبنت أيضاً حتى عباراتها من عباداتها وأفكارها اللاهوتية).

((وراح القسيس بولس يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أن شأن عيسى كشأن أوزوريس: كان ربا مات ليبعث حيا وليمنح الناس الخلود))[1].

---

١ A SHORT HISTORY OF THE WORLD PP. 178;180.

وهكذا وضع بولس بذرة ألوهية المسيح، وصادفت البذرة أرضاً خصبة في عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التي سبقت المسيحية، وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه المسيحيون الأوائل من الاضطهادات المدمرة التي سبق أن تحدثنا عنها، تلك الاضطهادات التي التهمت كثيراً من مراجعهم وقضت على أتباع المسيحية الحقيقية أو كادت، وقد استمرت هذه الاضطهادات أكثر من ثلاثة قرون (حتى سنه ٣١٣) وفى خلال هذه القرون فقدت المسيحية طابعها من كثرة ما تأثرت بالثقافات المختلفة بل بالخرافات المتعددة، وخرجت إلى الناس بعد هذه المدة وبعد تلك الأجيال، وفيها تناقض ظاهر في كل تعاليمها، وأشد أنواع التناقض هو ما اتصل بالسيد المسيح نفسه، فقد كان بعضهم يراه رسولاً ككل الرسل، ورآه آخرون إلهاً، واشتدت الاضطرابات بين الجماعات المسيحية.

تدخل قسطنطين وصيحة آريوس:

وهنا جمع قسطنطين إمبراطور الروم البطاركة والأساقفة فيما يسمى بمجمع نيقية NICEA سنه ٣٢٥ ليضع حداً لهذه الاختلافات، وليقرر حقيقة المسيح، وكان عدد المجتمعين ٢٠٤٨ وفى هذا الاجتماع صاح عالم مصري اسمه آريوس صيحته التي كانت يرددها دائما : (إن الأب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب إذ لم يكن الابن، أما كنيسة الإسكندرية -والإسكندرية عريقة التأثر بالفكر المصري وبالفلسفة الإغريقية وبالأفلاطونية الحديثة التي تقول بالتثليث - فقد قاومت آريوس، وانضمت إلى كنيسة الإسكندرية كنيسة روما، واختلف

المجتمعون وتضاربوا، و لم يستطيعوا أن يصلوا إلى قرار [1] ((فقـــرر الإمـــبراطور أن يفصل في الأمر بالتدابير الشديدة بعد أن تبين رأى صديقه الممثل الديـــني للغــرب (**كاهن روما**) فأصدر رأيه بإخراج الرؤساء الروحانيين الموحدين، ونفى الكثــــير منهم، وقتل آوريوس مع بعض من أيدوا رأيه، واجتمع الأعضاء القائلون بـــالتثليث وبألوهية المسيح وعددهم ٣١٨، فاتخذوا قراراً بذلك، وعند كتابة نـــص القـــرار اعترض بعضهم على عبارات المساواة بين الأب والابن ولكنهم خافوا أن يترل بهـــم ما نزل بمعارضي التثليث، فوضعوا إمضاءاتهم على هذه الوثيقة[2].

وفيما يلي نص هذا القرار:

نؤمن بالله الواحد، الأب، مالك كل شئ وصانع ما يرى ومـــا لا يـــرى، وبالابن الواحد يسوع المسيح، ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، الذي ولـــد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع إله حق، من جوهر أبيه الـــذي بيـــده أتقنت العوالم، وخلق كل شئ من أجلنا ومن أجل معشر الناس، ومـــن أجـــل خلاصنا نزل من السماء وتجسد في روح القدس، وحبل به وولد من مريم البتول ... وصلب أيام بيلاطوس، ودفن، ثم قام في اليوم الثالث وصعـــد إلى الســـماء وجلس عن يمين أبيه [3]، ويضيف القرار ما يلي للتخويف والتحذير:

الجامعة المقدسة الكنسية الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يوجد، وأنه وجد من لا شئ، أو من يقــول أن

---

[1] يتساءل السيد عبد الأحد داود : لماذا لم يترل الروح القدس على المجتمعين فيهديهم سواء السبيل ؟ فقد ادعى كاتب رسالة أعمال الرسل أن روح القدس نزل ويترل على الآباء الروحيين كلما أمر (الإنجيل والصليب ص ٢٠)

[2] الإنجيل والصليب ص ٢٠-٢١

[3] الشهرستاني، الملل والنحل جـــ ١ ص ٢٠٤

الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الأب، وكل من يؤمن أنه خلق بعد أبيه، أو من يقول أنه قابل للتغيير [1].

وهكذا تدخلت القوة فخلقت هذا القرار الذي اتخذته أقلية المجتمعين، و لم تكتف القوة بذلك بل فرضت هذا القرار فرضاً على الناس وحرمت كل من سواه، وحرمت على الناس الحديث بما يخالفه، وصادرت وأفنت كل ما كتب متجهاً غير هذا الاتجاه. وتعدت ذلك إلى اضطهاد من يقولون بالتوحيد وعزلهم من مكان الرياسة، ومعاقبتهم بالنفي والتشرد عند اللزوم.

وكان هذا العام (٣٢٥) أول تاريخ يتخذ فيه قرار ضد التوحيد ويحكم بألوهية المسيح، ولكن القائلين بالتوحيد لم يهدءوا على الرغم مما لاقوا من عنف، فنجدهم كما يروى ذلك ابن **البطريق** يعقدون مجمعاً إقليمياً في صور وقد حضره بطريق الإسكندرية، ووجد نفسه الوحيد بين المجتمعين الذي يعتقد بألوهية المسيح ويدافع عنها، وقد اشتد الخلاف بينه وبين الحاضرين، وانتقل الخلاف من القول إلى الفعل فاعتدوا عليه بالضرب الشديد وكادوا يقتلونه.

و يقول الأستاذ محمد أبو زهرة بحق: **إن بطارقة الإسكندرية كانوا يمثلون فلسفة الإسكندرية أكثر من تمثيلهم لمسيحية المسيح، وهذا هو مفتاح التاريخ الصحيح، ونضيف أن القوة أيدت كنيسة الإسكندرية وعسفت بأعدائها، فضعفوا بمرور الزمن وبكثرة التضحيات.**

[1] PENGAPJRAN GEREDJA KATHOTLK P. 92. وتاريخ الأقباط ص ٢٢٦ – ٢٣٨.

ونظرا لأهمية الدور الذي لعبه مجمع نيقية في تأليه المسيح فإننا نتحـــدث عنـــه بشيء من التفصيل، وقد انعقد المجمع بسبب عام هو الاختلافات الواسعة في طبيعـة المسيح التي كانت تمتلئ بها الساحة الدينية المسيحية في ذلك الوقت، وسبب خـاص يتعلق بنوع من هذه الخلافات وهو المسمى في التاريخ المسيحي **"بدعة آريوس"**.

كان **آريوس** يدعو في مصر إلى وحدانية الله مفكراً ما جاء في الأناجيل مما يوهم بألوهية المسيح، وقد كان لرأى آريوس في اعتبار المســـيح مخلـــوق لله مشـــايعون كثيرون فقد كانت الكنيسة في أسيوط على هذا الرأي وعلى رأسها **ميلنوس** كمـــا كان لهذا الرأي مشايعون في فلسطين ومقدونيه والقسطنطينيين وقد أراد بطريـــرك الإسكندرية أن يقضى على هذه الفكرة فلعن **آريوس** وطرده من حظيرة الكنيســة، وجاء بطريرك كنيسة الإسكندرية المدعو **إسكندر** فعقد مجمعاً في كنيسة وحكـــم على آريوس بالحرمان منها مما اضطره إلى مغادرة الإسكندرية إلى فلسطين. وقـــد تدخل **قسطنطين** إمبراطور الرومان في هذا الأمـــر فأرســـل كتابـــاً إلى آريـــوس والاسكندر يدعوهما إلى الوفاق، فجمع مجمع نيقية عام ٣٢٥ م. وقد وضع هـــذا المجمع المحدود المكون من ثمانية عشر وثلاثة مائة أسقف بناء علـــى رأى **بولـــس**، وضع هذا المجمع المحدود من الأساقفة قرارات في العقيدة والشرائع ليفيـــدوا بهمـــا المسيحيين ذكرها صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية وقال عنها ما نصـــه :- **" إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لا شـــئ، أو يقـــول أن الابن وجد من مادة أو جوهر غير الأب، وكل من يؤمن أنه خلق، أو من يقول أنه قابل للتغيير، ويعتريه ظل دوران "**.

لقد فرض هذا المجمع على الناس أوامر الدين وقرر أن تعاليم الدين لا تتلقى مـــن كتب المسيحية رأساً، بل لا بد من تلقيها من أفواه العلماء ورجال الكهنوت الذين تعتبر أقوالهم حجة بصرف النظر عن محتوى نصوص الأناجيل وقد أمر المجمع بحرق الكتب التي تخالف رأيه وحث الناس على تحريم قراءهّا. ويمكن أن نقول أن هـــــذا المجمع رغم سلوكياته لم يستطع أن يقضى على فكرة الوحدانيـــة رغـــم مشـــايعة **قسطنطين** بسلطانه للمخالفين للتوحيد. أما المجمع الذي قرر ألوهية الروح القـــدس فهو المجمع القسطنطيني الأول المنعقد عام ٣٨١ م وفى هذا المؤتمر يقول **ابن البطريق** ما نصه: –

قال تيماتاتوس بطريك الإسكندرية ليس روح القدس عندنا بمعنى غـــير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا أن حياته مخلوقة، فقد زعمنا أنـــه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعنة" وبذلك وافق قرار المجمع رأى بطريق الإسكندرية وزاده على مجمع نيقية هذا الأقنوم الثالث، **ويقول ابن البطريق في بيان قرارهم :– " زادوا في الأمانة التي وضعـــها الثلاث مائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية الإيمان بروح القـــدس الرب المحي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب والابن مسجود لـــه وممجـــد ، وثبتوا أن الأب والابن والروح القدس ثلاثة وجوه، وثلاثة خواص، وحديـــة في التثليث، وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحـــــد، جوهـــر واحد، طبيعة واحدة** " بذلك تقرر التثليث وتمت أقانيمه رغم وجـــود خلافـــات حول طبيعة المسيح الإنسانية والإلهية وكيفية اجتماعها، والتي انعقـــدت بســـببها العديد من المؤتمرات العامة والمجامع العامة من أشهرها مجمع **افســـس** الأول عـــام ٤٣١م الذي انعقد بسبب إنكار **النسطوريين** اتبـــاع **ناســـطور** رئيـــس كنيســـة القسطنطينية – لألوهية المسيح ومن النظر في هذه السلسلة الـــتي تـــأخذ الشـــكل

المنطقي بمقدماها ونتائجها يظهر أن أساسها ومقدماها الضرورية وهي أن روح القدس هي روح الله مقدمة ساقطة، لا يوافقه عليها أغلب الناس ولا يستطيع أن يقيم الدليل عليها، فالعقيدة السائدة الصحيحة هي أن روح القدس خلقه الله واتخذه ليكون رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقى عليه وحياً من خلقه أو أمراً كونيا [1].

ولكن هذا المجمع لم يكن يفكر، و لم يجتمع ليناقش بل ليتخذوا قراراً معداً قبل الاجتماع، ولذلك سرعان ما اتخذوا قرارهم بألوهية الروح القدس، وبلعن من يقول بغير ذلك، ويقول ابن البطريق أحد المؤرخين المسيحيين في إثبات القرار وشرحه ما يلي:

" زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية، الإيمان بروح القدس الرب المحي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب والابن مسجود له، وممجد، ثبتوا أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، ثلاثة خواص، وحدية في التثليث، وتثليث في وحدية، كيان واحد، في ثلاثة أقانيم، إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة ".

ومرة أخرى فرض هذا القرار فرضاً على المسيحيين، وعذب ولعن من خالفه، وحرم من الوظائف وصودرت آراؤه وقتل.

و لم يكتف بعض رجال الكنيسة بهذا الثالوث على هذا الوضع، بل نراهم كأنهم تصوروا منافسة بين الله جل جلاله وبين المسيح، فلم يقتنعوا بأن يكون الروح المقدس منبثقاً من الأب، بل عقدوا مجمعاً آخر هو مجمع طليطلة سنة ٥٨٩ وقرروا أن الروح القدس منبثق من الابن أيضاً، و لم تقبل الكنيسة اليونانية هذه الزيادة

---

[1] أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ١٢٤

الجديدة، ولا تزال عبارة " **ومن الابن أيضا**"، موضع خلاف بين الكنيسة اليونانية والكنيسة الكاثوليكية، وسببا في عدم الالتقاء بين الكنيستين، وتؤمن الكنيسة القبطية بمصر بأن روح القدس منبثق من الأب فقط [1].

ومجمع خليكدونية المنعقد سنة ٥٤١ م والذي تقرر فيه أن مريم العذراء ولدت الإله الرب يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية، والذي هو مع الناس في الطبيعة الإنسانية، بمعنى أن المسيح له طبيعتان وأقنوم واحد ووجه واحد و لم يعترف المصريون بقرار المجمع حسب ما جاء في كتاب " **تاريخ الأمة القبطية**" وقد كان قرار مجمع خليكدونية هو السبب في انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية، حيث كانت عقيدة الكنيسة المصرية كما يوضحها كتاب " **تاريخ المسيحية في مصر** " كنيستنا المستقيمة الرأي التي تسلمت إيمانها من **كيرأس، وديسقورس** ومعها الكنائس الحبشية والأرمينية، والسريانية والأرثوذكسية تعتقد بأن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم، اقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس، وأن الأقنوم الثاني، أي اقنوم الابن تجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء فصير هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية، فنزهه عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة ". [2]

---

[1] تاريخ الأقباط للأستاذ زكى شودة ص ٣٤١

[2] انظر كتاب : " محاضرات في النصرانية " للأمام الشيخ محمد ابو زهرة رحمه الله عليه لمزيد من التفاصيل فى هذا الموضوع

الروح القدس

ألوهية الروح القدس:

أما الروح القدس فلم يتخذ بشأنه قرار في اجتماع نيقية بل نص في ذلك الاجتماع على " **ترك الحرية للناس في الاختلاف على الروح القدس** ".

وهكذا كان متخذو هذا القرار يتمتعون بشيء من الحصافة فلم يشاءوا أن يقولوا بالثالوث مرة واحدة، بل اكتفوا بإعلان ألوهية المسيح وتركوا إعلان ألوهية روح القدس موضوع اختلاف بين الناس فلم يثبتوها و لم ينفوها بل أجلوها لفرصة أخرى حتى يكمل الثالوث الإغريقي. وسنتكلم فيما يلي عن وقت إعلان ألوهية روح القدس وظروف ذلك.

ملابسات إعلان ألوهية الروح القدس:

الروح القدس هو الذي حل على العذراء لدى البشارة، وعلى المسيح في العماد. وعلى الرسل بعد صعود المسيح إلى السماء[1]. والذي حل على العذراء بالبشارة هو في نظر المسلمين جبريل عليه السلام.

وقد سبق أن قلنا إن مجمع نيقية بعد أن قرر ألوهية المسيح ترك الحرية للناس في الاختلاف على الروح القدس، وفي ضوء هذه الحرية وجد اتجاهان يتصارعان تتزعم كنيسة الإسكندرية أحدهما الذي يقول بالتثليث، وأن المسيطر على العالم قوى

---

[1] الأب بولس إلياس يسوع المسيح ص ٧٣

ثلاث: المكون الأول، والعقل (الابن)، والنفس العامة (الروح القدس)، وتزعم الاتجاه الآخر بعض القسس في مقدمتهم **مقدونيوس** أسقف القسطنطينية، وقد أعلن هذا أن الروح القدس ليس بإله ولكنه مخلوق مصنوع، كما أعلن الأسقف **أوسابيوس** إنكار وجود الأقانيم الثلاثة، وقال أن الثالوث ذات واحدة وأقنوم واحد، وكان ذلك الخلاف داعياً لعقد مجمع جديد يبت في الأمر، أو قل كان الأوان قد آن ليكمل إعلان الثالوث فعقد الإمبراطور **تاوديوس الكبير** مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ولم يحضره إلا مائة وخمسون أسقفاً، وفي هذا المجمع أعلن حرمان الأسقفين السابقين، وأسقط كل منهما من رتبته، ثم قدم بطريرك الإسكندرية قياساً على هيئة الأقيسة المنطقية، ولكنه في الحقيقة بعيد عنها، فمقدماته غير مسلم بها، ونتائجه غير مرتبة ولا مبنية بالضرورة على المقدمات وهاك نصه:

"ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق فقد قلنا إن روح الله مخلوق، وإذا قلنا أن روح الله مخلوقة، قلنا أن حياته مخلوقة، وإذا قلنا أن حياته مخلوقة، فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن"[1]

ويشرح القس **بوطار** مفهوم الأقانيم الثلاثة في رسالة صغيرة سماها **"الأصول والفروع "** يقول فيها:

"بعد ما خلق الله العالم، وتوج خليقته بالإنسان لبث حيناً من الدهر لا يعلن له سوى ما يختص بوحدانيته، كما يتبين ذلك من التوراة على أنه لا يزال المدقق

---

[1] Geredia Katolil p 93

يرى بين سطورها إشارات وراء الوحدانية، لأنك إذا قرأت فيها بإمعان تجد هذه العبارات :

"كلمة الله، أو حكمة الله، أو روح القدس"، ولم يعلم من نزلت عليهم التوراة ما تكنه هذه الكلمات من المعاني، لأنه لم يكن قد أتى الوقت المعين الذي قصد الله فيه إيضاحها على وجه الكمال والتفصيل، ومع ذلك فمن يقرأ التوراة في ضوء الإنجيل يقف على المعنى المراد، إذ يجدها تشير إلى أقانيم في اللاهوت، ثم لما جاء المسيح إلى العالم أرانا بتعاليمه وأعماله المدونة في الإنجيل أن له نسبة سرية أزلية إلى الله، تفوق الإدراك، وتراه مسمى في أسفار اليهود : "كلمة الله " وهي ذات العبارة المعلنة في التوراة، ثم لما صعد إلى السماء أرسل روحاً، ليسكن بين المؤمنين، وقد تبين أن لهذا الروح أيضاً نسبة أزلية إلى الله فائقة، كما للابن، ويسمى الروح القدس، وسر ذات العبارة المعلنة في التوراة كما ذكرنا، ومما تقدم نعلم بجلاء أن المسمى بكلمة الله والمسمى بروح الله في نصوص التوراة هما المسيح والروح القدس المذكوران في الإنجيل،فما لمحت إليه التوراة صرح به الإنجيل كل التصريح، وأن وحدة الجوهر لا يناقضها تعدد الأقانيم، وكل من أنار الله ذهنه وفتح قلبه وفهم الكتاب المقدس لا يقدر أن يفسر الكلمة بمجرد أمر من الله أو قول مفرد، ولا يفسر الروح بالقوة التأثيرية، بل لابد له أن يعلم أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم متساوين في الكمالات الإلهية، وممتازين في الاسم والعمل، الكلمة والروح القدس اثنان منهم، ويدعى الأقنوم الأول الأب، ويظهر من هذه التسمية أنه مصدر كل الأشياء ومرجعها، وأن نسبته للكلمة ليست صورية بل شخصية حقيقة، ويمثل للإفهام محبته الفائقة، وحكمته الرائعة، ويدعى الأقنوم الثاني الكلمة لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية، وأنه وسيط المخابرة بين الله والناس ويدعى أيضا الابن، لأنه يمثل للعقل نسبة المحبة، والوحدة بينه

وبين أبيه وطاعته الكاملة لمشيئته، والتمييز بين نسبته هو إلى أبيه، ونسبة كـــل الأشياء إليه، ويدعي الأقنوم الثالث الروح القدس، الدلالة على النسبة بينه وبين الأب والابن، وعلى علمه في تنوير أرواح البشر، وحثهم على طاعته.

ويرجع **باري اوين**[1] عقيدة تجسد الله في شخص المسيح إلى أصلين من وثـــائق الكنيسة القديمة هما التمهيد الوارد في إنجيل يوحنا وقانون الإيمان المسيحي الــــذي تقرر في مجمع نيقية المنعقد عام ٣٢٥ م، وقد أشرنا إلى الوثيقتين في موضوعهما من هذا الكتاب. ويقدم باري أوين ست نقاط يقول أنه يجب وضعها في الاعتبار عنـــد الإيمان بتجسد الله في شخص المسيح: -

١- إن هذا الاعتقاد يتضمن مفهوم الخلق، أي الله باعتباره الخالق.
٢- نظراً للاختلاف البين بين الخالق والمخلوقات فإن الطبيعة الإلهية والإنسـلنية في المسيح كانتا غير ممزوجتين، وإن كانتا متحدتين ولا يمكن فصلهما.
٣- إن المسيح كان هو تجسد الابن والكلمة فالله ذو طبيعية واحدة كائنـــا في ثلاثة أشخاص، الأب والابن والروح القدس والابن هو الذي أصبح إنساناً في المسيح.
٤- إن المسيح هو الإله المتجسد منذ بداية حياته بمعنى أن الكلمــــة لم تتبنـــاه وجعله مقدساً.
٥- المسيح كان ذو قدسية كاملة.
٦- إن التجسد هو حقيقة أبدية.

ثم يضيف **باري أوين** أنه من أجل أن نفهم التجسد فإننا يجب أن نفســـره ليـــس بنزول الإله إلى الطبيعة الإنسانية، وإنما باعتباره فعلا رفع الإله بمقتضاه طبيعة إنسانية

---

[1] CHRISTAN THEISM

إلى الاتحاد بطبيعته. وهو يرجع عقيدة الثالوث المقدس إلى نصوص العهد الجديد ولكنه يعترف أن تعاليم العهد الجديد بالنسبة للروح القدس لم تتطور أو تتبلور إلى درجة التعاليم الخاصة بالابن حيث لا يوجد في الأناجيل ما يؤكد الخلود المتلازم للروح القدس مع الأب، ومن ثم يذهب أوين إلى نفس الرأي الذي ذهب إليه **K.E. Kirk** [١] من أن عقيدة التثليث تولدت عن طريق التجربة الروحية وليس على أسس من الفلسفة أو التأمل اللاهوتي.

تدور العقيدة في الإله في اللاهوت المسيحي حول مركزين أساسيين:

الأول: الإله المتجسد في شخص المسيح

الثاني: الثالوث المقدس، إله واحد ويذهب القس إبراهيم سعيد في تفسير بشارة لوقا عند تفسيره لكلمة ابن العلي أو ابن الله التي جاءت في إنجيل لوقا فيقول ما نصه **"يليق أن نوضح بكلمات موجزة المعنى المراد "بابن العلي" أو "ابن الله" فلم يقصد بها ولادة طبيعية ذاتية من الله وإلا لقيل ولد الله، ولم يقصد بها ما يقال عادة عن المؤمنين جميعاً أنهم أبناء الله، لأن نسبة المسيح لله هي غير نسبة المؤمنين عامة لله، ولم يقصد بها تفرقة في المقام من حيث الكبر والصغر ولا الزمنية ولا في الجوهر، لكنه تعبير يكشف لنا عمق المحبة السرية التي بين المسيح والله، وهي محبة متبادلة، وما المحبة التي بين الأب والابن الطبيعيين سوى أثر من آثارها، وشعاع ضئيل من بهاء أنوارها، ويراد بها إظهار المسيح لنا أنه الشخص الوحيد الذي حاز رضا الله، وأطاع وصاياه، فقبل الموت موت الصليب لذلك يقول الله فيه :"هذا ابني الحبيب الذي به سررت، له اسمعوا" وقد تكررت هذه العبارة عدة مرات مدة خدمة المسيح على الأرض لأنه تمم إرادة الله في**

---

[١] في كتابه Essay on the trinity and incarnation

الفداء،ويراد بها إظهار التشابه والتماثل في الذات، وفي الجوهر، كما يكون بين الأب والابن الطبيعيين، فقيل عن المسيح أنه بهاء مجد الله، ورسم جوهره، وقال هو نفسه : من رآني فقد رأى الأب، أنا والأب واحد، ويراد بها دوام شخصية المسيح باعتباره الوارث لكل شئ الذي منه وبه وله كل الأشياء، وقد يراد بها معان كثيرة غير معدودة يقصر دون إدراكها العقل".

ونحن نعلم أن عقيدة صلب المسيح فداء عن الخليقة وأن عقيدة أن المسيح يدين ويحاسب يوم القيامة كلها نتجت عن القول بتجسيد الله في المسيح والإيمان بالثالوث المقدس وهي أمور لا نناقشها بالتفصيل في هذا الكتاب.

طبيعة المسيح والآراء حولها

إن تقرير ألوهية المسيح لم يكن عملاً سهلاً، بل كان عملاً معقداً، سبب كثيراً من الاختلافات والاتجاهات، لا بين من قالوا به وبين من أنكروه فحسب، بل بين الجماعات التي اتفقت على المبدأ واعتنقته، ثم عادت تفكر فيه، وعلى هذا أوجدت المشكلة مجالاً للتفريق بينهم، وقد تحدثنا فيما سبق عن الاختلافات بين من قالوا بألوهية المسيح وبين من أنكروا هذا المبدأ، ونريد هنا أن نتحدث عن الاختلافات التي حصلت بين الطوائف التي اجتمعت حول القول بألوهية المسيح.

وكان مصدر الاختلافات بين هؤلاء هو التفكير في طبيعة المسيح للتوفيق بين الألوهية التي صدر بها قرار وأصبحت بموجبه اعتقاداً ملزماً، وبين الواقع وهو أن عيسى بن مريم كان يمشي على الأرض، وكان يأكل كما يأكل الناس، ويتحدث كما يتحدثون، وكان على العموم إنساناً في مظهره على الأقل، ومرة أخرى اتخذ المسيحيون المجامع وسيلة للحديث عن طبيعة المسيح كما اتخذوها من قبل وسيلة لإثبات ألوهيته، وسنتحدث فيما يلي عن آراء المسيحيين حول طبيعة المسيح، وأهم الاتجاهات التي اتجهوا إليها في ذلك ثلاثة :

١- مذهب النسطوريين:

مذهب النسطوريين ينسب إلى **نسطور** الذي كان بطريرك القسطنطينية سنة ٤٣١، ومذهب النساطرة محاولة للعودة إلى التوحيد أو القرب منه، ويقول **نسطور** شارحاً مذهبه: **إن مريم لم تلد إلهاً، لأن ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً، ولأن**

المخلوق لا يلد الخالق، فمريم ولدت إنساناً، ولكن كان آلة للاهوت. وعلى هذا فمريم لا تسمى والدة الإله بل والدة المسيح الإنسان، وقد جاء اللاهوت لعيسى بعد ولادته، أي اتحد عيسى بعد الولادة بالأقنوم الثاني اتحاداً مجازيا فمنحه الله المحبة ووهبه النعمة[1].

وقد وضع نسطور[2] بذلك الأساس للقول بطبيعتين في المسيح، ذلك القول الذي سيتبناه الكاثوليك والذي سنشرحه فيما بعد، ونبين اتفاقه وعدم اتفاقه مع رأي نسطور، أما الكنائس الشرقية فقد اتخذت موقفاً معارضاً لنسطور وقالت بطبيعة واحدة كما سيأتي.

وقد اعتبر ذلك بدعة من **نسطور**،ولذلك طرد من منصبه ونفى من القسطنطينية، ولكن مذهبه لم يمت، وأحياه فيما بعد عالم المسيحي أسمه **برصوما** كان مطران نصيبين، ومن ثم انتشر في الشرق، ولا يزال حتى الآن شائعاً في العراق والموصل والجزيرة.

٢- مذهب الكنائس الشرقية (الأرثوذكس): المذهب اليعقوبي:

أعلن مذهب الأرثوذكس عن طبيعة المسيح في مجمع عقد لهذا الغرض بمدينة إفسس بالأناضول سنة ٤٣١واتخذ المجمع قراراً يوافق عقيدة **البابا كيرلس** بطريرك الإسكندرية، وهو يقضي بأن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، ففي المسيح

---

[1] زكي شنودة : تاريخ الأقباط ١٥٩.

[2] سار نسطور إلى مصر بعد النفي وأقام بأخميم حتى مات.

أقنوم واحد تم بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج،ولذلك فالعذراء تدعي بحـــق والدة الإله، وفيما يلي نص كلمات **البابا كيرلس** سابق الذكر: **إن لسيدنا يســوع المسيح أقنوماً واحداً إلهيا اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحاداً تاماً بـــلا اختـــلاط ولا امتزاج ولا استحالة، فالعذراء والحالة هذه هي بحق والدة الإله، فمـــريم لم تلـــد إنسانا عادياً بل ابن الله المتجسد، لذلك هي حقا أم الله** [1] .

وبلغة أخرى يقولون بأن الكلمة (**الإله الابن**) انقلبت لحماً ودماً فصار الإلـــه هو المسيح، وهو الظاهر بجسده بل هو هو، وينتشر المذهب الأرثوذكسي في مصـــر والنوبة والحبشة.

وقد يسمى هذا المذهب بالمذهب اليعقوبي نسبة إلى داعيـــة مشـــهور اسمـــه **يعقوب البرادعي** قام بالدعوة له ونشره.

وكان هذا الاتجاه حول طبيعة المسيح من الأسباب الـــتي فصلـــت الكنيســـة الشرقية عن الكنيسة الغربية.

٣ – مذهب الكاثوليك: الملكانية :

مذهب الكاثوليك هو مذهب الطبيعتين والمشيئتين وقد اعتنقته كنيسة رومـــا، واتخذت به قراراً في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١، وهذا المذهب يقول بأن للمســـيح طبيعتين ومشيئتين، فالمسيح أقنوم إلهي بحت، ولكن له ذاتان وكيانان همـــا الإلـــه والإنسان، ومن الواضح أن هذا القول متأثر إلى حد ما باتجاه نسطور سالف الذكـر الذي يرى بأن المسيح إنسان غمره اللاهوت بعد ولادته، ولكن الكاثوليك يختلفون

---

[1] زكي شنودة : تاريخ الأقباط ١٦٠-١٦١

عن نسطور في اعتقادهم أن مريم ولدت الاثنين جميعاً، فهي قد ولـــــدت يســوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ومع الناس في الطبيعية الإنسانية، فــــهو طبيعتان ومشيئتان وأقنوم واحد، وقد حضر زوج الملكة مجمع خلقيدونية ولذلـــك يسمى هذا المذهب بالمذهب الملكاني. وكنيسة هؤلاء من الطقس البيزنطي، وتنشــر الملكانية في سوريا ومصر وفلسطين، ولهم جالية كبـــيرة في الولايـــات المتحـــدة، ولصلتهم بالطقس البيزنطي تسمى كنيستهم بكنيسة الروم.

٢- المذهب الماروني:

المذهب الماروني نسبة إلى رجل اسمه يوحنا مارون دعـــا ســنة ٦٦٧إلى أن للمسيح طبيعتين ولكن له مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد، ولكـــن البطارقة لم يقبلوا ذلك وأشاروا على الإمبراطور أن يعقد مجمعـــاً، فعقـــد مجمـــع بالقسطيطنية سنة ٦٨٠ وقرر أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، وكان ذلك تـــأكيداً لمذهب الكاثوليك، وقد لعن هذا المجمع كل من يقول بغير ذلك.

الفصل الثاني

المسيح في الفكر الغربي

المسيح في نظر المفكرين الغربيين

يمكن القول دون تردد أن أغلب المفكرين الغربيين لا يدينون بالمسيحية كما يدين بها عامه المسيحيين، وكما تعلمها الكنيسة والقسس، ويمكن القول كذلك أن الثورات التي أشعلها المفكرون والمسيحيون في الماضي ضد المسيحية التي تعلمها الكنيسة، لا يزال المفكرون المحدثون يرفعون لواءها، وكل ما هناك من فرق أن الكنيسة في الماضي عدت أولئك متمردين وحاربتهم حرباً قاسية سقط فيها آلاف الضحايا، أما الكنيسة اليوم فلم يعد في يدها سلطان فاكتفت بأن حرمت على أتباعها المخلصين أن يقرءوا ما يكتبه هؤلاء المفكرون مما اعتبرته الكنيسة ضلالاً وإلحاداً [1]، وهذه الحقيقة يدركها كل الذين يقرءون عن المسيحية كتابات المفكرين الغربيين من غير رجال الكنيسة.

وقد آثرت أن أثبت هنا ترجمة كاملة لما كتبة واحد من هؤلاء وهو **gerald Berry** في كتابه **Religions of the World** [2] ولن أحذف من ترجمة ما كتبه **Berry** إلا تفاصيل قليلة لا تمس جوهر الموضوع [3].

[1] بناء على قرار الفاتيكان الصادر سنه ١٩٢٩ والذى لا زال معمول به حتى كتابة هذه السطور، تصل الكتب المحظور قراءتها على الكاثوليك إلى خمسة الاف كتاب، منها جميع مؤلفات ميترلنك، واميل رولا، ومنها أكثر مؤلفات رينان. وجاك جاك روسو وديماس الأب ديماس الأبن وديكات ولامينية وفيكتور هوجو، ومنها انحلال الأمبراطورية الرومانية وسقوطها لجيبون وتاريخ الأدب الإنجليزي لتين وأفكار ورسائل إقليمية لباسكال وغيرها.

[2] من ص ٦٨ إلى ص ٧٦.

[3] عن كتاب " المسيحية " للأستاذ الدكتور أحمد شلبى

وقبل أن أبدأ ذلك أسجل حقيقية هامة تختلف فيها المسيحية عن الإسلام اختلافاً يكاد يكون تاماً. وتلك الحقيقة هي أن مبادئ الإسلام واحدة عند جميع المسلمين عامتهم ومفكريهم، فوحدانية الله، وكون محمد عبده ورسوله، والقرآن الكريم، ونظام المواريث والزواج والطلاق وغيرها من أمور الدين والدنيا لا تختلف عند المسلمين عالمهم وجاهلهم، أما المسيحية فيمكن القول أن هناك نوعان منها، يتبع المفكرون نوعاً وتتبع الكنيسة وعامة الناس نوعاً آخر بعيداً جداً عن النوع الأول.

وهناك حقيقة أخرى تترتب على تلك التي سبق إيرادها، وهي أن المسلم يزيد حبه للإسلام وتقديره له كلما زاد تعمقاً في دراسته وتفكيراً في مبادئه وفلسفته وحضارته وآدابه، أما المسيحي فعلى العكس من ذلك لأنه كلما زاد تعمقاً في دراسته للمسيحية ظهر له ما بالمسيحية من تعقيد واستحالة، فيبعد عن مسيحية الكنيسة ويتخذ مسيحية أخرى، أو ربما بعد عن المسيحية كها واعتنق ديناً آخر، أو لجأ إلى اللادينية وإن بقى اسماً في عداد المسيحيين، وذكر الأستاذ **العقاد** بعض هؤلاء المفكرين في كتابه " **عقائد المفكرين في القرن العشرين** "[1] فيقول:

إن الأوروبيين الذين خرجوا على سلطان الكنيسة الرومانية، ظهر منهم أناس يؤمنون بالله، ولا يؤمنون بالكتب، ولا بشعائر الكنيسة، وتسمت منهم طائفة بالربانيين Diests من كلمة ديوس بمعنى الرب أو الإله، وسموا دينهم دين الطبيعة، تمييزاً له من دين الكنيسة، واشتهر من هؤلاء في البلاد الإنجليزية لورد هربرت شربري CHERBURY المتوفى قبيل منتصف القرن السابع عشر، فدعا إلى دين طبيعي يقوم على أركان خمسة : هي الإيمان بالله والعبادة والفضيلة

---

[1] ص ٦٣.

والتوبة واليوم الآخر، ثم تلاه أنتوني كولنس COLLINS الذي يعتبره الكثيرون أستاذاً لفولتير وبنيامين فرنكلين في حرية الفكر، ويحسبون كتابه " محاضرة في الحرية الفكرية " DISCOURSE ON FREETHINKING إنجيل هذه النحلة، ثم تلاه تندال TINDAL فألف كتابه الذي جعل عنوانه " المسيحية قديمة كقدم الخليقة " ليثبت به أن الإيمان سابق للكنائس، أن الكنائس أفسدت ما كان سليماً.

والآن هيا بنا إلى أحد المفكرين الغربيين الذي يبين لنا في المسيحية اتجاهاً يكاد يكون عاماً لهؤلاء المفكرين.

يقول BERRY:

في رأى الكنيسة إن المسيح الإله انقلب فأصبح إنساناً وعاش مع الناس كواحد منهم ليعلمهم طريقة مثلى للعيش، وقتل هذا الإله بمؤامرة دبرها أعداؤه، دفن ثم خرج من قبره وصعد للسماء، وقد احتمل هذه الألم لينقذ المؤمنين به من الخطيئة، فالذي يدرس هذه المسيحية يجدها اقتباساً من الوثنية واليهودية والحياة الشرقية والرومانية، ويجد بها عناصر أجنبية كثيرة بارزة بها كاملة أو محرفة:

فمن الأفكار الإغريقية التي اقتبستها المسيحية " **الكلمة** " وهي ترادف " **الإلـه**" عند الإغريق لأن الكلمات لا تفنى بالاستعمال كما لا يفنى الإله..

ومن اليهودية اقتبست المسيحية فكرة الأبوة بين الله والناس، أي فكرة أبوة الإله للخلق، وفكرة الأخوة بين الناس، كما اقتبست المثاليةً التي تكلمت عنها اليهودية **– وإن لم يتبعها اليهود –** وهي الحب والرحمة والعدالة.

ومن الحياة الشرقية اقتبست المسيحية الفنون والرسوم التي ازدانت بها الكنائس، كما اقتبست استعمال الفسيفساء والصور والبخور والأنغام.

أما الحياة الرومانية فقد اقتبست الكنيسة منها النظم التي اتبعتها لتوزيع السلطان، وسيأتي مزيد من التفاصيل عن هذه الاقتباسات.

وليس من المقطوع به أن **عيسى** شخص تاريخي، بل إن ذلك مجرد احتمال، و لم يبدأ التاريخ الميلادي من ميلاد المسيح كما يُظن، بل إنه ولد في عهد **أوغسطوس** أي في العام الرابع قبل التاريخ الميلادي، في بلدة الناصرة بفلسطين، وأمضى الثلاثين سنة الأولى من حياته في حانوت النجارة الذي كان يملكه أبوه يوسف النجار، ويؤيد علم الآثار القديمة بعض التأييد للرأي القائل بأنه أمضى وقتاً طويلاً في الطواف بالشرق وبأوربا حتى وصل بريطانيا.

وفي سن الثلاثين كان تصوُر فكرة أبوة الله وأخوَة الناس قد اكتمل في نفسه. وصادف في ذلك الوقت أن أُلْقِيَ القبض على **"يوحنا المعمدان"** (يحيى)، فخلا له الجو، فأعلن دعوته، وكان ذلك في عهد **"تيربريوس"** وكان لليهود طريقان يقابلون بهما عسف الدولة الرومانية الحاكمة، وهذان الطريقان هما المقاومة، وقوة العقيدة، وقد اختار المسيح الطريق الثاني.

وقد بنى **عيسى** تعاليمه على الثقافات اليهودية القديمة والمعاصرة له، والجديد الذي جاء به هو أنه كان يتكلم كإنسان في يده نفوذ أكثر من أن يقنع بأن يكون مفسراً وشارحاً، واستطاع بفصاحته أن يجذب له كثيراً من الأتباع و لم يدع **عيسى**

قط أنه المسيح الذي ينتظره اليهود، ولكن كثيرين من أتباعه (**الذين هم في الأصل يهود ينتظرون المسيح**) منحوه هذا اللقب، وقد نادى **عيسى** -كما ينادي المصلحون المحدثون -بعالم جديد خال من البؤس والحاجة والشقاء بل وخالٍ من الموت، و لم يخضع **عيسى** للعادات ولا للقانون، فأثار غضب الطبقات العليا من اليهود، وبهذا قدم للمحاكمة بتهمة ملفقة عن خيانة سياسية، وكانت المحاكمة أمام **بونتيوس بيلاطس (Pontius Pilates)**

ولكن هذا لم يجد أدلة كافية ضد **عيسى**، بيد أن الطبقات العليا من اليهود صاحت تريد قتله فأدين وصلب، وبعد صلبه ذاب أتباعه، وفي خلال السنوات التالية لم يعد أحد يسمع **بعيسى** ولا بأتباعه[1].

وكان **عيسى** يدعو الناس ليتبعوا مشيئة الله وأن يحسنوا علاقاتهم بإخوانهم وأن يكونوا شفوقين رحماء، ولأن عيسى اتبع طريقة العظة اليهودية القديمة واجهت دعوته في حياته استجابة كبيرة لدى طبقات العامة، لأنه جعل لهذه الطبقات مكانة وقيمة، وتعرض لمشكلات الناس اليومية بطريقة ودية سهلة، وكان ذكياً جداً، فيسرت له كل هذه الأمور أن يحصل على الأتباع والمريدين، ومن مواعظه قوله:

- تعالوا أيها الضعفاء والمثقلون بالذنوب.
- اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله.
- ... فليرجمها منكم من لم يرتكب خطيئة.

---

[1] ومثل هذا ما يقوله Wells في هذا الموضوع وعبارته : وبعد صلب عيسى انهارت دعوته انهياراً تاماً وتخلى عن فكرته أتباعه عن بكرة أبيهم، ولما اتهم بطرس بأنه واحد منهم قال: "لا أعرف هذا الرجل " Outline of History Vol.3 679

وهكذا كانت المسيحية تتجه لتربية روح الأخلاق، ولم تعط عناية تذكر للجسم والمادة بل حقرت من شأنهما في كثير من الأحيان.

هذا هو عيسى وتلك هي دعوته التي أوشكت أن تفنى بعد موته كما سبق القول، ومر الزمن وجاء شاءول **Saul** وهو يهودي روماني من الفريسيين أحد طبقات اليهود العليا، لم ير عيسى ولا سمعه يبشر الناس، وقد لعب شاءول هذا دوراً أنقذ به المسيحية بعد أن أوشكت أن تدخل عالم النسيان الذي ضم كثيراً من أمثال هذه الحركات، وقد كان شاءول هذا في أول عهده أكبر أعداء المسيحيين، فأنزل بهم ألواناً من الاضطهاد والقتل والتعذيب، لكنه فجأة تحول إلى المسيحية، واستخدم تجاربه ومكانته، لينقذ المسيحية ويوجهها على نحو ما أراد.

وكان عيسى يهودياً، وقد ظل كذلك أبداً، ولكن شاءول كون المسيحية على حساب عيسى، فشاءول - الذي سمي فيما بعد بولس - هو في الحقيقة مؤسس المسيحية الحالية [١]، وكان شاءول يمتاز بأنه صاحب دراية في السياسة والابتكار، في حين كان عيسى صاحب أوهام وأحلام، وقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب له أتباعاً من اليهود فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد **Lord** استطاع الجنس البشري بواسطته أن ينال النجاة ، وهذه الاصطلاحات التي قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق وبخاصة في **Mithras**و**Cubele** فانحاز أتباع هذه الفرق إلى ديانة بولس، وعمد بولس كذلك - ليرضي المثقفين - فاستعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف **Philo** فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق

---

[١] ويقرب من هذا ما يقوله **Wells** ونص عبارته: أن (يسوع الناصرى هو نواة المسيحية أكثر منه مؤسساً)
Outlline of History Vol. 3 679

"الكلمة " The Logos أو عن طريق "ابن الإله" The Sun of God أو عـــن طريـــق "الروح القدس" .The Holy Ghost

وبدأ بولس ديانته في إنطاكية Antioch حيث نشأ لأول مرة التعبـــير الشـــهير Christian [1] أي الانتساب لدين المسيح. وبدأت تنتشر هذه الديانة في المدن حيـــث تكثر الحاجة والفقر، وثم انتشرت في بقاع أخرى بعد ذلك، ورسائل بولـــــس إلى هذه الجماعات التي استجابت لدعوته تمدنا بالجزء الأعظم من المادة التي تكون منها العهد الجديد.

بالإضافة إلى رسائل بولس يتكون العهد الجديد من الأناجيل الأربعـــة الـــتي تنتسب إلى أربعة من الحواريين (؟) وإن كانت هذه الأناجيل في الحقيقة ليست مـــن إنتاج هؤلاء الحواريين، ولا شك أن تأريخ حياة المسيح ودعوته كانت قد كتبـــت بلغته الآرامية، ولكن هذا الأصل قد فقد، ولعل هذه الأناجيل قد أخذت عنه. وقـــد كتبت هذه الأناجيل الأربعة باليونانية بعد وفاة عيسى بجيل أو جيلـــين، وأقدمـــها عهداً هو إنجيل مرقص Mark (٦٥م) وآخرها إنجيل يوحنا (١٠٠م).

وبولس هو المؤسس الحقيقي للديانة المسيحية، وقد طور فكرة المســـــيح مـــن الناحية اللاهوتية والناحية الإنسانية وجعلها تتناسب مع فكرة الإنقاذ القديمة ، فقدم آداباً مستحدثة في طابع قديم مألوف. وبهذا فصل دعوة عيسى عن اليهوديـــة، و لم

---

[1] لم يسمح عيسى خلال حياته لأتباعه أن ينسبوا أنفسهم له، فكلمة مسيحي أو نصراني أو ما شابه ذلك كانت ممنوعة لأن عيسى كان يعد نفسه حلقة من حلقات أنبياء بني إسرائيل ، وكانت شريعة موسى هي شريعته ، و لم تظهر كلمة Christian (مسيحي) إلا في القرن الثالث في المجلس الذي عقد بمدينة نيس.
انظر : The Sources of Christianity

ينفر بولس من الطقوس الوثنية، بل على العكس اقتبس كثيراً من هـــذه الطقـــوس ليضمن نشر ديانته بين الوثنيين دون أن يفروا منه، وليبعد ديانتـــه أيضـــاً عـــن أن تذوب في اليهودية، ومن الصور التي حقق بها هذا الغرض أن جعل عطلة الأســبوع يوم الأحد متبعاً في ذلك تقاليد **Mithras** وأهمل يوم السبت وهو اليوم المقدس عنـد اليهود[1] واقتبس بولس من الوثنيات كذلك أعياد رأس السنة وعيد القيامة، وعيـــد الغطاس، وأطلق عليها مسميات جديدة ، فعيد الربيع عند **Ostara** أصبـــح عيـــداً لخروج عيسى من القبر **Easter** ، وطقوس السر المقدس أخـــذت مكـــان معبـــد التضحية عند اليهود، وعيسى أصبح "**ابن الله**" حملت به أمه العذراء حمـــلاً غـــير طبيعي، واحتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا حـــورس وأوزوريس **Hurus and Osiris** في كل الكنائس، وأما المعابد ذات الأهمية الكبـــيرة فكانت تذكار الأحراش والغابات ذوات الأشجار الكثيفة التي كانت مكاناً للعبـادة لدى الأمم القديمة.

تلك أمثلة مما اقتبسته المسيحية من الوثنية، ولكن يجب ألا ننسى أنه على الرغم من كثرة ما أخذت المسيحية من الوثنية لم تصر المسيحية وثنية في روحـــها ، بـــل ظلت متمسكة بتحفظها الديني الذي ورثته من اليهودية، كمـــا حـــافظت علـــى ابتعادها عن الناحية الجسمانية والشهوانية، وقد ظلت المسيحية كذلك طالما كـانت مضطهدة، تحارب لتعيش، فما أصبحت أقوى من أعدائها تغيرت الأحـــوال فقـــل صفاؤها وضعف، وظهرت بها الفرق والأحزاب التي استقلت كل منـــها بتنظيـــم، وأصبح رؤساؤها رجال سياسة وقادة دينيين في نفس الوقت.

---

[1] خروج ١٧:٣٣وتثنية ٥ : ٣.

وعند نهاية القرن الثاني كان أتباع المسيحية أكثر من أتباع أي دين آخر، وكان الرومان من تسامحهم تجاه كل الأديان يضطهدون المسيحيين لأسباب ثلاثة:

١- اعتبرهم الرومان غير مخلصين للوطن لتنبؤهم بسقوط الإمبراطورية ولأنهم امتنعوا عن الخدمة العسكرية وعن شغل الوظائف.

٢- اعتبرهم الرومان غير متجاوبين مع الاتجاه الاجتماعي في الإمبراطورية لأنهم لم يشتركوا في الأعياد العامة.

٣- اعتبرهم الرومان أميل للفجور وسوء الأدب لأن أغلب الأسر التي تنصرت كان مصيرها الفرقة والانحلال.

اعتراف الإمبراطورية بالمسيحية وأسبابه ومراحله:

وفي ابتداء القرن الرابع بدأ الأباطرة أمثال **Constsntine, Galerius** يقدرون التأييد الضخم الذي يمكن أن يحصلوا عليه من المسيحيين ليسندوا بذلك الجمهورية التي كانت تهتز وتتهاوى، ففي سنة ٣١٣ صدر منشور **(فرمان)** يعترف بالمسيحية ويساويها بالأديان الأخرى، ثم جاء الإمبراطور قسطنطين الذي بذل جهداً خاصاً ليكسب تأييد المسيحيين، فأعفى القسس من الضرائب، وبنى الكنائس على حساب الدولة، وترك للكنيسة شئونها القضائية. وجعل يوم الأحد إجازة رسمية. واستمرت محاباة المسيحية بعد ذلك حتى أخمدت الوثنية نهائياً بقانون ثيودوس الذي صدر سنة ٤٣٨م، وبمقتضاه أصبح على جميع المواطنين أن يصيروا أعضاء بالكنيسة الكاثوليكية، وانتشرت الديانة الجديدة كذلك بسرعة بين برابرة الجرمان على حدود الإمبراطورية فعظمت بذلك الكنيسة الكاثوليكية، ولكن انتصار الكنيسة نشأ معه شئ حاد هو عقوبة المخالفين عقوبات قاسية تصل إلى الموت.

وازدانت الكنيسة بألوان الثقافات والفنون الإغريقية، ويرجع الفضل في ذلك إلى رجال مثل أوجستين وقسطنطين وجريجوري الأول (Augustine, Constantine and Gregory 1) وقد أثر الفن المعماري بالكنائس على الفن المعماري بالقصور الرومانية، فظهرت الأعمدة الكثيرة التي تحمل السقف **(وهي في الحقيقة منحدرة من المعابد المصرية ومن ديانات الوثنيين كما سبق القول)** وأصبحت الكنيسة تزدان كذلك بالنقوش والفسيفساء والصور والزجاج الملون، وكثرت بها الآنية المرصعة بالأحجار الكريمة، وهذه المظاهر الخلابة جذبت للمسيحية أتباعاً جدداً ، كما أن ادعاء الكنيسة أن النجاة تتوقف عليها جعل كثيرين من الناس يتدفقون على دخول المسيحية، وأعلنت الكنيسة أن التعميد يغسل الماضي ويزيل الذنوب الأساسية، وأن مداومة الاتصال بالكنيسة تمحو ما يجد من سيئات، وأذاعت الكنيسة معجزات نسبتها إلى القديسين لتثبت بذلك حقها اللاهوتي وقوتها السامية الإلهية.

واشتغل الرهبان بجمع المخطوطات ونسخها وتقديم نسخ منها إلى المكتبات التي تطلبها، وبذلك حفظت الكنيسة كثيراً من التراث العلمي اليوناني واللاتيني الذي كان على وشك أن يضيع في ظلام العصور الوسطى.

قلنا من قبل إن الكنيسة استعارت من الرومان أوضاع رجال الدين وتوزيع السلطات (System of Organization) ونعود إلى ذلك بشيء من الإيضاح فنقول إنه في خلال القرون الأولى للمسيحية كانت هناك تنظيمات قليلة في الكنيسة لأن المسيحيين كانوا ينتظرون عودة المسيح ليقود حياتهم، ومن هنا كانت كل كنيسة لها رئيس مؤقت كان يلاحظ فيه كبر السن واسمه مستعار من الإغريقية

وهو (Presbys) أي الرجل الشيخ (The Old Man) فلما لم يعد عيسى وكانت الكنيسة قد عظمت وكثر أتباعها بدأ المسيحيون يعملون نظماً أكثر دقة ودواماً وهي كالآتي :

١- أصبح للكنيسة رجال منقطعون لها ولا عمل لهم سواها ، وكل منهم يسمى **Priest** أي قسيس أو رجل دين.

٢- أطلق على هؤلاء **Clergy** أي رجال الدين للتمييز بينهم وبين العلمانيين وهم غير المنقطعين لخدمة الدين.

٣- كبير القسس في كل مدينة أطلق عليه **Bishop** أي أسقف أو مطران.

٤- الأساقفة في المدن الرئيسية أطلق على كل منهم أسم **Archbishop** أي رئيس الأساقفة في دائرته.

٥- من بين رؤساء الأساقفة ارتفع خمسة إلى مكانة أسمى وأصبح لهم نفوذ كبير، وأخذ كل منهم لقب **Patriarch** أي بطريك أو بطريق وهؤلاء رؤساء الأساقفة في المدن التالية : إنطاكية **(Antioch)** وبيت المقدس **(Jerusalem)** والإسكندرية **(Elexandris)** والقسطنطينية **(Constantinople)** روما **(Rome)** ومن الملاحظ أن أربعة من هؤلاء في الشرق وواحداً فقط في الغرب، ويلاحظ كذلك أن أسقفاً واحداً غربياً كان قوياً وكان صاحب نفوذ وهو أسقف **(Carthage)** أما باقي الأساقفة الأقوياء فكانوا شرقيين.

٦- قبل القرن الحادي عشر كان كل من الأساقفة ورؤساء الأساقفة يطلق عليه **(Pope)** ولكن في القرن الحادي عشر في عهد جريجوري السابع **(Gregory VII)** اختص بهذا اللقب رئيس أساقفة روما.

ذلك هو التنظيم الديني للكنيسة ومن الملاحظ أنه يتبع مراحل التنظيم الإداري للدولة الرومانية كما سبق القول.

سلطة رئيس أساقفة روما:

وقد استطاع رئيس الأساقفة في روما أن ينال نفوذاً أكبر لعـدة عوامـل. فروما كانت العاصمة، وكان رئيس الأساقفة بها يطمع في نفوذ يعادل مكانة البلـدة التي يشغل منصبه بها، كما كان هناك اعتقاد أن كنيسة روما قد أسسـها St.peter بتفويض من عيسى نفسه، ثم إن الذين تولوا هذا المنصب في العصور الأولى كـانوا أقوياء ورجال سياسة مبرزين فوجهوا أنظار الناس لهم، وأخيراً كان لرومـا أثـر واضح في الدعوة للمسيحية، وفي سنة ٤٤٥م أصدر الإمبراطور قراراً يجعل رئيـس أساقفة روما رئيساً عاماً للكنائس المسيحية، وكان ذلك في عهد جريجوري العظيـم (Gergory the Great) الذي كان رئيس أساقفة روما من سنة ٤٤٠ إلى سـنة ٤٦١ فأصبح هذا بمقتضى القرار السابق رئيساً للكنائس المسيحية كلها، وفي عهد هـذا الرجل حدث حادث عظيم هو استيلاء هذا البابا على السلطة السياسية في رومـا وظل السلطان السياسي في أيدي البابوات اثني عشر قرناً.

وبعد ذلك بعدة سنوات أخذ رئيس كنيسة القسطنطينية رياسة الكنـائس الشرقية.

الكنيسة تضم السلطان السياسي للسلطان الديني:

وقد تم استيلاء هذا البابا على السلطان السياسي عندما بدأت الإمبراطوريـة الرومانية تنشطر، فبادرت كنيسة روما فعزلت نفسها مـن السـلطة السياسـية للإمبراطورية، ثم استولت على الأمور السياسية بالإضافة إلى الروحانية وكونـت

الكنيسة بذلك دولة، وكانت الكنيسة غنية قوية، فساعدها ذلك على ادعاء أن لها الحق في أن يمتد حكمها فيشمل جميع المسيحيين في كل البقاع، وأذاعت أن مكانتها أسمى من مكانة الملوك والأباطرة، وأن البابا له السيادة العليا في القضاء والإدارة، وأنه المشرع، والمفسر النهائي للكتاب المقدس، وأنه مالك مفتاح الرحمة وباب السماء، وجبت الكنيسة الضرائب ، وسيطرت على القضاء، واستعملت حق الحرمان كأكبر عقوبة تنزلها بمخالفيها، واستصدرت قانوناً جديداً عكف على إعداده عدد كبير من القسس، وأصبح يعاقب بمقتضاه القسس إذا أخطأوا، كما يعاقب بمقتضاه جميع المذنبين في حق الكنيسة كالمنشقين والمارقين والفساق والذين يمسون الأشياء المقدسة بدنس.

وأصبحت الكنيسة تمثل الغنى والترف، وكان غناها من إيراد الممتلكات الواسعة التي كانت تمتلكها، ومن جمع الزكاة، ومن الهبات التي طالما كان يوصي بها الناس للكنيسة قبل موتهم لتضمن لهم نعيماً في الحياة الآخرة، وبالتالي أصبحت الكنيسة مركز نشاط اجتماعي وثقافي. فأشرفت على المدارس والمستشفيات ووزعت الصدقات وسيطرت على الجامعات ودور النشر.

واجتمع في يد الكنيسة جميع شئون الأسرة كالزواج والطلاق وتقييد المواليد والوراثة والوصايا، وأصبح للكنيسة سعاة يجمعون لها الأخبار ويبلغون عنها التعليمات، وعد رجال الكنيسة أنفسهم ممثلين لله، فأخذوا حق قيادة أفكار الناس وأعمالهم، وأعلنت الكنيسة بقوة أنها تسيطر على باب الله، وأنها منفذ الرحمة، وبهذا أبرزت خطر الحرمان الذي هو حاجز بين المحروم وباب السماء.

وجذبت هذه المكانة التي استمتع بها رجال الدين كثيرين من الناس ليدخلوا الكنائس ولينضموا إلى رجالها لينعموا بهذا النفوذ، وقد استطاع كثير من هؤلاء أن يحققوا أملهم وأن يصيروا من رجال الكنيسة، وتسبب عن ذلك أن أصبح هناك عدد كبير من الجهلة ورجال الأطماع وعبدة الدنيا محسوبين في عداد رجال الدين.

ولما ازدادت قوة الكنيسة وأهميتها زادت طقوسها المقدسة عدداً، وتنوعت هذه الطقوس، وامتدت لها يد الحبك والزخرفة، وتدخلت هذه الطقوس وهذه الأسرار في كل شئ، وفي حياة الإنسان وبعد موته، ثم انقصت الكنيسة الطقوس إلى سبعة أهمها:

١- تعميد الأطفال عقب ولادهم لتمحي عنهم آثار الخطيئة الأصلية، وليعطى الطفل شيئاً من الحرية والمقدرة لعمل الخير.

٢- العشاء الرباني، وهو يكون بالماء أو الخمر ومعه الخبز الجاف، وقد ارتبط هذا القداس بخبر إعجازي، وهو تحول هذا الماء أو الخمر إلى دم عيسى وتحول الخبز إلى عظامه، ويجري هذا القداس مرتبطاً بالأنوار والعطور والزهور.

٣- الاعتراف، ويتبع الاعتراف الغفران، وكان الاعتراف يتكرر عدة مرات مدى الحياة، ولكن منذ سنة ١٢١٤ أصبح لازماً مرة واحدة على الأقل، وسنتحدث عن الاعتراف وما جره من فضائح عند الحديث عن حركة الإصلاح الديني.

٤- حضور القسيس عند الزواج ليقيم وحده بين الرجل والمرأة.

٥- حضور القسيس عند الموت ليمسح المريض المشرف على الموت بالزيت ، وبخاصة أعضاء الحواس والصلب والأقدام.

(انتهى ما كتبه Berry)

ولنا تعليق سريع على ما كتبه Berry ذلك هو أن رأي هذا العالم الأوربي لا يجعل أي ارتباط بين عيسى وبين المسيحية الحالية، ويؤكد أن المسيحية الحالية من صنع بولس.

عقول مسيحية تنكر ألوهية المسيح[1]:

لقد وجدنا علماء كثيرين صرحوا في قوة بأن المسيح لم يكن إلا رسولا، وأنه لم يكن أكثر من بشر، وقد قبسوا ذلك من الأناجيل نفسها، فهذا رينان قد جهر بذلك في قوة وجرأة و لم يمنعه حرمان الكنيسة له من الإصرار على رأيه والذود عنه، وهذا تولستوي ينكر على المسيحيين ألوهية المسيح، وتنتهي نتائج بحثه إلى أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح، بل طمسها، والكنيسة زادت تعاليم المسيح بالنسبة للاعتقاد غموضاً وإخفاء.

ولنترك الآن الكلمة لذلك الفيلسوف، فهو يقول: " **إنه ينبغي لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقي، كما كان يفهمه هو أن نبحث في تلك التفاسير والشروح الطويلة التي شوهت وجه التعليم المسيحي، حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام، ويرجع بحثنا إلى أيام بولس الذي لم يفهم تعليم المسيح، بل حمله على محمل آخر، ثم مزجه بكثير من تقاليد الفريسيين، وتعاليم العهد القديم، وبولس كما لا يخفى كان رسولاً للأمم، أو رسول الجدال والمنازعات الدينية، وكان يميل إلى المظاهر الخارجية الدينية، كالختان وغيره**

[1] كتاب "محاضرات في النصرانية " للإمام الشيخ محمد أبو زهرة

فأدخل أمياله هذه على الدين المسيحي فأفسده، ومن عهده ظهر التلمود المعروف بتعاليم الكنائس وأما تعليم المسيح الأصلي الحقيقي فخسر صفته الإلهية الكمالية، بل أصبح إحدى حلقات سلسلة الوحي التي أولها منذ ابتداء العالم، وآخرها في عصرنا الحالي، والمستمسكة بها جميع الكنائس، وأن أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع إلهاً دون أن يقيموا على ذلك الحجة، ويستندون في دعواهم على أقوال وردت في خمسة أسفار: موسى، والزبور، وأعمال الرسل، ورسائلهم، وتأليف آباء الكنيسة، مع أن تلك الأقوال لا تدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله".

هو إذن ينكر ألوهية المسيح، وينكر ألوهية روح القدس، ويعتقد بأن الله واحد أحد فرد صمد، وينكر أن تكون كتب النصارى كتبت بإلهام، ويعلن في جرأة أنها حرفت وعراها التغيير والتبديل، فيقول في صراحة المستمسك بالعروة الوثقى: "إن المسيحيين واليهود والمسلمين يعتقدون جميعهم بالوحي الإلهي، فالمسلمون يعتقدون بنبوة موسى وعيسى ولكنهم يعتقدون كما أعتقد بأنه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانة النصرانية، وهم يعتقدون بأن محمداً خاتم الأنبياء وأنه قد أوضح في قرآنه تعاليم موسى وعيسى الحقيقية، كما قالاهـا دون زيادة ولا نقص، وأن كل مسلم أمامه القرآن يقرؤه، ويتمسك به ويسير بموجب أحكامه، ولا يعترف بغيره من الكتب مهما اشتهر واضعوها بالتقوى والصلاح، ويسمى المسلمون ديانتهم بالمحمدية، لأن محمداً وضعها بخلاف الكنيسة المسيحية التي تسير الآن بموجب تأليف الآباء الذين يدعون بأن ما كتبوه هو من روح القدس، فكان الأحرى بالمسيحيين أن يسموا كنيستهم بالروحية القدسية أولى من تسميتها بالمسيحية".

وجدير بالذكر أن علماء اللاهوت المسيحيين حاولوا أن يجدوا حلولاً للمشكلات والصعوبات التي يثيرها القول بالتجسيد وبالتثليث على النحو التالي :-

١- التوفيق بين التوحيد في التوراة والتثليث عندهم، فقالوا أن التثليث موجود في التوراة ولكنه غير واضح فوضحه العهد الجديد. وحاولوا أن يدللوا على ذلك كما رأيت أنفاً في كلام القس بوطر. وأحياناً كانوا يدركون أن ما في التوراة لا يساعدهم على القول بالتثليث، وأن مثل ما قال به القس بوطر ظاهر الصنعة، فكانوا يلجئون إلى طريق آخر يوضحه لنا حبيب سعيد بقوله: قد يقال: **"هل في نظر المسيحية شئ ما يعدو حدود العهد القديم في ضوء العهد الجديد**[١]. وهو بهذا كما ترى يحتم أن يوجه العهد القديم وجهة العهد الجديد، أو قل يجعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً.

٢- عكس الحل السابق بأن حاولوا التوفيق بين التثليث عندهم والتوحيد في التوراة، فكأنهم سلموا بالتوحيد وراحوا يخضعون اعتقادهم له، ومن أجل هذا ابتدعوا قولهم **"تثليث في وحدة "** وفي ذلك يقول يوحنا في رسالته الأولى: **"إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس "**. وهؤلاء هم واحد[٢].

٣- الطريق الثالث الذي لجئوا إليه هو إعلان عدم خضوع مثل هذا الاعتقاد إلى العقل، فقالوا إن هذا شئ يجب الإيمان به واعتقاده أولاً، وبعد ذلك يجتهد المسيحي في فهم ما اعتقد، كما قال بذلك القديس انسليم. ويقول

---

[١] أديان العالم الكبرى ص ١٠٧.

[٢] رسالة يوحنا الأولى : ٥،٧.

حبيب سعيد. إن الإنسان لن يبلغ هذا الإيمان عن طريق المطارحات النظرية، بل بإلهام من الله وإعلان منه[1].

٤- وقد اهتدى قليل منهم إلى الحل الصحيح وهو القول بالتوحيد الخالص وترك القول بالتثليث. وقد كان لهذا الرأي أتباع من المسيحيين على مدى العصور وفي مختلف البلاد. ومن هؤلاء برنابا وهو من الحواريين وأريوس المصري (٣٣٦) وسرفيتوس الأسباني (١٥٥٣)ومن مشاهير الإنجليز نذكر تشبري (Cherbury) المتوفى قبيل منتصف القرن السابق عشر وغير هؤلاء مئات آلاف من المفكرين المسيحيين ظهروا على مختلف الأزمنة والأمكنة، ولكن صيحة هؤلاء لم تتغلب على ضجيج الكنيسة وقدسيتها، و لم تصل إلى قلوب العامة والجماهير.

على أن القول بتثليث في وحدة أي بإله واحد له أقانيم ثلاثة يقود إلى مشكلة أخرى، هي: كيف خرج أحد هذه الأقانيم الثلاثة ودخل رحم مريم ثم امتزج بالناسوت وأصبح إنساناً في مظهره؟ ألا يدل ذلك على تعدد ظاهر؟ لأن معبود النصارى لو كان واحداً له أقاينم ثلاثة كأضلاع المثلث ما أمكن خروج أحد هذه الأقانيم وحده ونزوله إلى الأرض.. ولقد أدرك القس بولس سباط هذا الاعتراض فراح يقرر أن الأقنوم مع نزوله إلى الأرض ظل أقنوماً يمثل جانباً في الإله الواحد و لم ينفصل عنه حتى بعد اتحاده بالناسوت.. وهذا كلام يصعب الاقتناع به.

[1] أديان العالم الكبرى ص ١٠٦.

الفصل الثالث

كانا يأكلان الطعام

"كانا يأكلان الطعام"

﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾ المائدة /٥٧. هنا يخاطب القرآن العقل المتحلي بالمعرفة. المعرفة المتعلقة بالعديد من العلوم التي تتصل بالإنسان في تركيبه العضوي وأدائه الفسيولوجي، وما يتصل بهما من التكوين العقلي والنفسي والروحي السليم في الجسم السليم الذي يؤدي وظائفه الطبيعة على النحو المعتاد. فالحديث هنا حديث علمي بحت. ومعنى كانا يأكلان الطعام أنهما كانا بشرين أكمل ما تكون البشرية فيما يتعلق بأداء الجسد بجميع أعضائه التي يتكون منها جسم الإنسان لوظائفه الطبيعية. فالذي يأكل الطعام يتبرز ويتبول كسائر الناس نتيجة تكامل العملية الهضمية عندهم. فهو يتغذى جسده بالغذاء العادي الذي يتغذى به كل إنسان بشر. وينمو ويتطور جسده وفق قوانين النمو والتطور الطبيعية التي تنطبق على سائر البشر، وان كان **عيسى** قد تميز منذ ولادته بقدرات عقلية وروحية متقدمة جدا وهبها الله إياه ضمن عمليات الخلق المعجز لعيسى ذاته. والمسيح وإن كان وجد بلا أب، أي من أم فقط فإن هذا لا يعني أنه وجد دون واسطة أو دون سبب، فقد وجد المسيح من أم عن طريق الواسطة الذي هو جبريل الروح القدس الوسيط بين الله سبحانه وتعالى والرسل جميعهم - الذي تمثل لمريم العذراء بشراً سوياً وهو الذي وهب لها - بذرة الغلام الذي حملت به دون المساس بعذريتها كما في الاتصال بين البشر، حيث تكونً في رحمها تكوناً طبيعياً مدته تسعة شهور تطور فيها الجنين طوراً من بعد طور، فما دام روح القدس جبريل قد تمثل لها في صورة بشرية فإن أمر الحمل والولادة بالنسبة لمريم يخضعان لقانون البشرية في تطور ونمو الحمل حتى الولادة.

والحمل تم بلا جماع كما هو معتاد بين البشر وإنما بالكيفية التي يستطيع بهـــا روح القدس جبريل أن يهب الأنثى عذراء من البشر بذرة الحياة لجنينها الذي يخضع بعـد ذلك لقانون البشرية الطبيعي في النمو والتطور داخل الرحم حتى الولادة. وهـــذه العملية الروحية الإعجازية التي هي هبة الحياة للإنسان داخل رحم مريم هي الـــتي وصفها القرآن في قوله ﴿ **وكان أمراً مقضياً** ﴾ والقرآن يقول أيضـــاً ﴿ **واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً. قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً. قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً. قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً. فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً. فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً** ﴾ مريم ١٦:٢٤.

ونحن نعلم أن الملائكة والروح كلهم رسل لله حيث يخبرنا القـــرآن ﴿ **الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شئ قدير** ﴾ فاطر١.

فالملائكة يؤدون وظائف معينة ومحددة ينفذون بها أمر الله وفق إرادته سـبحانه وتعالى. وربما كان كلام الروح جبريل إلى مريم بهذا المعنى العام، كما أنه ربما يكـون في إطار معنى خاص باختيار الله سبحانه وتعالى لروح القدس جبريل بالذات ليـؤدي مهمته تحقيق إرادة الله بأمره الذي ينفذ بالكلمة **كن فيكون** بتحقيق أمر حمل مـــريم بعيسى ثم إنجابه من خلال الواسطة البشرية السوية التي تمثل بها روح القدس جـبريل لمريم. المهم أن روح القدس الذي تمثل في الصورة البشرية هو الذي وهـــب لمـــريم

غلامها عيسى بكيفية لازلنا رغم التقدم الهائل في علومنا المعاصرة، نجهل طبيعتها وهي الكيفية التي عبر عنها القرآن كما قلنا ﴿ **وكان أمراً مقضياً** ﴾ وتلقى بعض الآيات القرآنية الأخرى الضوء على عملية حمل مريم للمسيح كما في الآية ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً** ﴾ النساء ١٧١.

وكذلك الآية ﴿ **والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين** ﴾ الأنبياء ٩١. وأيضاً الآية ﴿ **ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين** ﴾ التحريم آية ١٢. وهو نفس الأمر الذي تم بالنسبة لخلق آدم أبو البشر وخلق الحياة فيه كما في الآية ﴿ **إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾٧١:٧٢. وكما في الآية ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ الحجر ٢٨:٢٩. ونلاحظ من هذه الآيات عملية "**التسوية**" أو "**جعل البشر سوياً** " في الحالتين عيسى وآدم - قبل النفخ من الروح بما يعني أن محل النفخ كان معداً ومسوى ومؤهلاً في بشريته لتلقي النفخة الروحية "**هكذا في أمر مريم العذراء أو في أمر أبو البشر آدم**". وقد جاء المخاض مريم وهي تحت النخلة، ثم ولدت الغلام الذي كان يتصف بقدرات خارقة للطبيعة مستمدة من تأييد الله سبحانه وتعالى له بروح القدس جبريل طوال حياته. كيف يمكن إذاً، والأمر كذلك أن يكون هذا البشر شخصاً تجسد فيه الله سبحانه وتعالى، أو كيف

يكون ابناً لله سبحانه وتعالى بأي مفهوم من مفاهيم التثليث الكنسية. الأمر لا يستقيم ولا يقره عقل وفيه جهل بمقام الألوهية وصفات الإله المتره سبحانه وتعالى عن الوالد والولد والشبيه والمثل والكفء الذي يستحيل في حق ألوهيته وصفاقما التنزيهية. أن يتخذ صاحبة أو ولد. إن عيسى بشر بكل معاني البشرية وهو بذلك رسول من الله إلى بني إسرائيل كغيره من الرسل الذين سبقوه إلى أقوامهم وخاصة موسى الذي سبقه رسولاً إلى بني إسرائيل والذي جاء عيسى بعده ليكمل الناموس لا ليهدمه، و لم يدع أحد بألوهية موسى.

وإذا كان روح القدس جبريل قد خاطب مريم بقوله ﴿ **إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً** ﴾ مريم /١٩. فإن ذلك لا يختلف عن تقرير القرآن في موضع آخر ﴿ **لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكراناً وإناثا ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير** ﴾ الشورى ٤٩ :٥٠. وليس في "الهبة" أي اتصال تجسيدي بين الله سبحانه وتعالى والبشر الموهوب وإنما المعنى هو تحقيق الإنجاب بالذكورة أو الأنوثة وفقا لإرادة الله ومشيئته بواسطة البشر في الحالة الثانية وبواسطة جبريل في الحالة الأولى. وكما كان الأمر كذلك بالنسبة للمولود عيسى فإنه كان من الضروري أن يتم إمداد عيسى بقدرات خارقة للعادة من مصدر للطاقة خارجي أو مصدر للقوة خارجي - روحي وغير بشري - حتى يمكنه أن يأتي خوارق الطبيعة الحسية التي كان يأتي بها وهو ما نسميه الآيات أو المعجزات. وهذا ما يقرره القرآن صراحة عندما ينص على تأييد عيسى بروح القدس، أي بطاقة أو قوة من روح القدس جبريل ﴿ **إذا قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير.**

بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني.. ﴾ المائدة ١١٠. وأول ما ينبغي أن نلاحظه أن الملائكة والروح حينما يتجسدون فإنهم لا تكون لهم الطبيعة البشرية كما هي معروفة في فسيولوجية البشر، وهم لا يأكلون الطعام كما يأكل البشر وإنما تكون لهم خصائصهم الروحية وطبيعتهم الروحية المختلفة عن الطبيعة البشرية حتى مع تجسدهم ﴿ **ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث إن جاء بعجل حنيذ. فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط** ﴾ هود ٦٩:٧٠. ومن هنا كان من الضروري وجود مريم كواسطة بشرية تحمل بشراً وتتطور بذرته فيها تطوراً بشريا طبيعياً حتى لحظة المخاض التي تسبق الولادة والتي تأتي كل النساء الطبيعيين. ومن هنا أيضاً كان من طبيعة الأمور نسبة عيسى إلى أمه مريم، بشر ابن بشر بينما يظل حملها به وقدراته التي تمتع بها بعد ولادته، آية من آيات الله التي تبرهن على قدرة الله وتحقق أمره المعبر عن إرادته بسر الكلمة التي هي (**كن فيكون**) التي تعْني تحقيق النظام أو القانون الذي يريده الله سبحانه وتعالى، حتى ولو كان مخالفاً لقانون البشر الطبيعي المعروف. أنه بكل المقاييس، مقاييس العقل والروح والإيمان، لا يمكن أن يكون عيسى قد ادعى أنه إله أو ابن الله، لأنه كان بشراً مثل سائر البشر، غاية الأمر أنه كان مؤيداً بروح القدس في معجزاته الخارقة للطبيعة كغيره من الرسل السابقين عليه والمؤيدين من الله بالمعجزات الحسية الخارقة للطبيعة، والتي يفعلها أيضاً - باعتبارها كرامات - المؤمنون الصالحون من ذوي المواهب الروحية العالية أو غير العادية في الأزمان قبل عيسى وبعد عيسى حتى وقتنا الحالي، والتي ربما تختلف عما كان يأتيه عيسى من معجزات، وكل ما ورد عن ألوهية المسيح المتجسد أو بنوته للإله لم يكن في عصر عيسى نفسه وإنما لابد أن يكون قد أدخل على كتاب عيسى في وقت لاحق.

الفصل الرابع

سر الكلمة

الله يتجلى في النظام الكوني، والنظام الكوني يشمل الطاقة وتشكلاتها، والمادة وصورها، والكائنات الروحية النورية، والكائنات النارية، والكائنات العاقلة الأخرى التي يأتي في قمتها الإنسان العاقل.

والنظام الكوني بما يشمله من نظم للكائنات الحية والعاقلة يسير وفق قوانين ثابتة يسميها القرآن السنن. والعالم الروحي أيضاً له قوانينه، والتي يسميها القرآن أيضاً السنن. وكلا العالمين الطبيعي والروحي بما فيهما من كائنات ذكية يطلبان مقلم الله سبحانه وتعالى، ويسعيان للتقرب إليه من خلال العبادة بمعناها الواسع الشامل. والمُشاهَد إن النظام الكوني كله يسير وفق قواعد من التطور والترقي، ويتجه من البساطة إلى التعقيد، هكذا في النظام الكوني الطبيعي وفي النظام الخلقي العاقل الذكي. والله سبحانه وتعالى يتعامل مع كل النظم عن طريق القوانين أو السنن في تطبيقاتها على الكائنات بكل أشكالها وصورها، وفق ما هي مهدية إليه من خلال خصائصها وطبائعها الذاتية التي وضعها الله الخالق فيها وهو ما يوضحه القرآن فيما يلي قال ربنا ﴿**الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى** ﴾طه /٥٠. والله سبحانه وتعالى لا يتعامل مع هذه النظم من خلال الفوضى أو التضارب، وهو ما ينتج عن تعدد الآلهة. ولما كان الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له فإن القرآن يذكر لنا ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون**﴾ الأنبياء/٢٢. والنشاط الطبيعي للمخلوقات كلها يسير وفق علم الله وإرادته وفي إطار مشيئته. (**ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن**). كذلك فإن أحداث التاريخ بما تتحقق فيها من الماضي والحاضر والمستقبل هي أثر من آ

الكلمة الإلهية (**كن**) المعبرة عن الإرادة وتحققها في الزمان وهو معنى (**يكون**)، وعلى ذلك فالأمر الإلهي المعبر عن الإرادة بالكلمة يعني تحقق الأشياء والأحداث في البعد الزماني مضافاً إلى الأبعاد الأخرى المعروفة لنا في العالم الطبيعي. أي أن تحقق الشيء في اللحظة الزمنية المكانية المعينة أو في إطار الزمان فقط أو المكان فقط - حسب السرعة التي يتحقق بها الشيء - هو معنى تحقق سر الأمر المعبر عن الإرادة بالكلمة، أي كن فيكون. وفي هذا المعنى نسوق بعض الآيات القرآنية التي توضح مطابقة الكلمة لمشيئة الله وإرادته السابقة على تحقق مقتضاها من الأحداث في الكون كله، أو الأحداث في الأرض في نسبة إلى الإنسان.

١- ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب**﴾ هود /١١٠.

٢- ﴿**وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾هود/١١٩.

٣- ﴿**وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب**﴾ الشورى/١٤.

ولكن لاستعمال الكلمة في القرآن معاني أخرى تشير مرة إلى كلام الله الموحى به إلى الأنبياء والرسل للإبلاغ كما في الآية ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾ التوبة /٦ كما تشير معاني الكلمة في القرآن مرة أخرى إلى المخلوقات على اختلاف أنواعها كما في الآيتين التاليتين ﴿**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً** ﴾ الكهف/١٠٩. ﴿**ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز**

حكيم ﴾ لقمان/٢٧. والخلق الذي تعبر عنه الكلمة في الآيتين السابقتين هو الـذي يدخل عيسى المسيح في الإطار معناه باعتبار عيسى المسيح كلمة من الله **﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾** آل عمران /٤٥. **﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ﴾** النساء /١٧١. وذلك ضمن إطار معنى فيكون الذي أوردناه فيما سبق، حيث تتحدث الآية السابعة والأربعين من سورة آل عمران عن خلق الله ما يشاء بالأمر المعبر عن الإرادة بكلمة كن فيكون **﴿ قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾**آل عمران/٤٧. بحيث أنه إذا قدر الله في سابق علمه حدوث أمر ما فإن ذلك الأمر حادث لا محالة في وقته وزمانه ومكانه المحدد في إطار الأسلوب الذي يتعامل به الله سبحانه وتعالى مع المخلوقات كلها، وهو أسلوب النظام الذي تتحقق وفق قوانينه الأحداث التي يريد الله لها أن تتحقق وفق سابق علمه بما يحقق تنفيذ المشيئة الإلهية المعبر عنها بالأمر الإلهي (**كن فيكون**)، وليس بأي صلة أخرى تجسيمية أو تشبيهية أو مادية حلولية أو اتحادية أو تجزيئية أو إشراكية أو توالدية أو تخيلية أو تصويرية أو تجسيدية أو تعطيلية. الخ، وقد تحققت المشيئة الإلهية بالنسبة لخلق **عيسى** عن طريق النفخة الروحية من الروح القدس جبريل، بما يعتبر تنفيذاً من الروح الأمين جبريل لكلمة الله أي إرادته كما هي في سابق علمه، وتحقيق هذه الإرادة بالخلق الإعجازي الذي نتج عنه خلق بشر في رحم مريم. ومن هنا فليس في المسيح عيسى ابن مريم إلا طبيعة واحدة هي الطبيعة البشرية، لأنه خلق من أم طبيعتها البشرية وتطور في رحم وبطن أمه تطوراً طبيعيا بشرياً، وولد ولادة بشرية طبيعية وكانت النفخة من الروح القدس جبريل عبارة عن تنفيذ لأمر الله حيث تمت عملية تلقيح ذاتي منه خلق

عيسى بعد أن تمثل الروح القدس جبريل لمريم في صورة بشرية سوية أي طبيعية بالنسبة لها. فالبويضة التي أنتجها مبيض مريم العذراء لم تحتج للالتقاء بحيوان منوي يأتي من أبيه الذكر ليشكل جنيناً ثم طفلاً قابلاً للحياة. إن الظاهرة التي تؤدي إلى ميلاد الكائن الحي دون تدخل من العنصر المخصب الذكر تسمى **"التلقيح الذاتي"** **(Parthenogenese)** ويمكن ملاحظة التلقيح الذاتي في عالم الحيوان تحت ظروف معينة كما في حالة بعض الحشرات واللافقريات. وقد أمكن بالتجربة عند بعض الثدييات كأنثى الأرنب، الحصول على بداية لتطور البويضة إلى حالة جنينية في مرحلة أولية جداً دون إدخال حيوان منوي، وإن لم يمكن خلال التجربة الذهاب إلى أكثر من هذا، كما أنه لا يعرف عن هذه الثدييات أي مثال لتلقيح ذاتي مكتمل لا بالتجربة ولا بالطبع. ومن هنا يعتبر البعض المسيح استثناء بيولوجيا أي حالة خاصة، حيث كانت مريم عذراء واحتفظت بعذريتها و لم تلد أطفالاً غير المسيح، ومن أصحاب هذا الرأي الطبيب الفرنسي الذي أسلم **موريس بوكاي**. والمعنى أن خلق المسيح كان بمعجزة من الله سبحانه وتعالى بمعنى خلق المسيح على غير سلوك القوانين العادية المعروفة لنا في الحمل.

سر الكلمة هو سر الخلق، أي سر المخلوقات الموجودة في الكون، والكون الطبيعي يتكون من مادة وطاقة. وفي حياتنا اليومية تعطينا الطاقة انطباعا بالحركة والحيوية والقوة، وهذه الثنائية في الكون إنما تعكس في الحقيقة وجهاً واحداً حيث أن المادة تعتبر طاقة مخزونة، والقول بأن الطاقة والمادة وجهان للكون لا يعتبر دقيقاً إذ أنهما يعتبران جانبين لوجه واحد.

والوجود الكوني كله بأحداثه وكائناته متحقق بالأمر الإلهي المتحقق عن الإرادة الإلهية كما يبينه لنا القرآن **﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾** يس/٨٢. فتحقق الشيء بالوجود والحدوث أي بالكينونة هو نتيجة مباشرة للأمر المعبر عن الإرادة، وكل ما يتحقق في الوجود هو بعلم الله المحيط بالكون كله ومن فيه وما فيه.

والزمان الذي تتحقق فيه الأحداث والموجودات الكونية التي هي ملك الله وملكوته هو زمان نسبي للكائن العاقل الذي يراقب أحداث الكون. فالإنسان مثلاً يعد ويحصى الزمان في قياسات متصلة بالمجموعة الشمسية سواء بحركة الشمس أو حركة القمر (**السنة الشمسية والسنة القمرية**).

أما بالنسبة لله سبحانه وتعالى فهو خارج هذا البعد الزماني ولا يقاس، إليه الزمان كما يقاس بالنسبة للإنسان.

فأحداث الكون تتحقق فيما يعرف بصفر زمن أو لا زمن بالنسبة لله سبحانه وتعالى، بينما هي بالنسبة للإنسان قد تمتد إلى آلاف وملايين السنين محسوبة بالحساب الزمني الأرضي.

﴿ إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ﴾ المعارج٦:٧ وكما يقول إقبال رحمه الله: (**يمكن تصور الزمان في الله ولكن لا يمكن تصور الله في الزمان**) لأنه الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية، فالله سبحانه وتعالى إذا استعملنا التعبير العلمي الدارج لا يفنى ولا يستحدث وإنما هو باق أبدي.

والزمان يبدأ فقط مع بداية وجود الكائنات المخلوقة، المادية والطاقية وكلها ذات حركة وتجدد وتمدد وتغير وتحول وتكاثر وتناقص وتبدل إلى آخره.

ومن ثم فإن القوة ذات القدرة السابقة الوجود على هذه الكائنات تكون في حالة وجود دائم أي في حالة ديمومة هي شغل أو عمل أو صنع مستمر لكل ما هو موجود، فالموجودات كلها تتجدد وتتغير صورها وأشكالها بمفهوم (**الخلق الجديد**) الذي أشار إليه القرآن في تقريره ﴿**بل هم في لبس من خلق جديد**﴾سورة ق/١٥، ومن هنا فإن تجدد الخلق حادثاً في الزمان كما قلنا بمعنى تجدد الخلق في الزمان بالنسبة لمخلوق يتميز بالوعي والإدراك بحيث يعي ويدرك ويحس بوجود الزمان، ويرى المظاهر والشئون المتجددة من خلال هذا البعد الزماني ﴿**كل يوم هو في شأن** ﴾سورة الرحمن/٢٩.

وتجدد الخلق يعني استمرار ترقي العلم الإنساني الذي يعتبر -رغم ترقيه المستمر- محدودا بالنسبة لعلم الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شئ في كل وقت ولا يحيط الإنسان بشيء من العلم الإلهي إلا بما شاء الله ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** ﴾ البقرة /٢٥٥، وعملية الخلق والإيجاد والتصوير مستمرة بقدرة الله سبحانه وتعالى ولا تنتهي وهو المعنى المقصود- والله أعلم - من النصين القرآنيين التاليين ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً** ﴾ الكهف /١٠٩، ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله** ﴾ لقمان/٢٧.

فكلمات الرب أو كلمات الله هي المخلوقات الخاضعة للربوبية وللألوهية، وهي غير كلام الله الذي هو صفة من صفاته تعكس علمه القديم اللانهائي أو الذاتي الذي تنطوي تحته كافة المخلوقات التي هي كلمات الرب أو كلمات الله.

أما الكلمة القرآنية فهي صفة قديمة من صفات الله سبحانه وتعالى، وهي لا تتجدد في ذاتها إنما يمكن أن تتجدد في معناها وفي فهمها وفي تأويلها حتى نبلغ المستوى العلمي الذي يدركه الراسخون في العلم الذين يشاهدون تطابق المعاني القرآنية مع الحقائق الوجودية المخلوقة في آفاق الكون الفسيح وفي الأبعاد العميقة للنفس بالدرجة التي يتبين لهم معها الحق واضحاً جلياً ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد** ﴾ فصلت /٥٣، ويظل الله سبحانه وتعالى فوق كل ذي علم عليم.

ولما كان التغير أو التحول وضع طبيعي لكل الكائنات، العاقلة وغير العاقلة فإنها لابد أن تكون مستمدة طبيعتها ومستمدة لخصائصها ووجودها من مصدر غير متغير وغير متحول، أي ثابت ودائم الرقابة لا تأخذه سنة ولا نوم، بحيث تكون لهذا المصدر القدرة المستمرة والدائمة على الصنع والإيجاد أي الخلق المستمر والمتجدد في ظل نظام أو قانون مستمر غير متضارب؛ لأنه إن لم يكن هذا المصدر كذلك لأصبح هو مفتقراً ومحتاجاً لهذا المصدر، كما أن انتظام القانون واستمراره وعدم تضاربه كما هو مشاهد في الكون يعني وحدانية هذا المصدر، لأنه لو شاركه في الخلق والإيجاد والصنع مصدر آخر لفسد القانون وتضطرب ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ الأنبياء /٢٢. أو لذهب كل خالق بما خلق يدبر شئونه على غير النمط الوحدوي المشاهد في الكون وقواه.

فالإنسان مطالب بالقراءة في القرآن -كلام الله - وفي الخلق الكوني -كلمات الله - وكلاهما كتاب ﴿ **يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾ الأنبياء/١٠٤. آياته وأسراره لا تنفذ ﴿ **وفوق كل ذي علم عليم**﴾ يوسف /٧٦.

فكلمات الله تكون مقروءة في كتاب هو القرآن بآياته ومشهودة في كون مخلوق، وهو أيضا كتاب بآياته، ولذلك نفهم الصلة بين آيات القرآن العربي وبين آيات الكون المخلوق، وهي الصلة التي تستشف من آيات القرآن ذاته الذي يتحدث عن الكونيات والإنسانيات وأحداثهما وسائر الموجودات والمخلوقات بهدف بيان الحق في النهاية ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد** ﴾ فصلت/٥٣.

فالكلمة هي الأمر المعبر عن الإرادة وينتج عنها عمل وصنعة أو خلق يتحقق في الوجود بقدرة الكلمة بالأسلوب التواجدي الذي يريده صاحب الكلمة سبحانه وتعالى، تطور أو خلق مباشر، كما في المسيح عيسى بن مريم وكما في آدم وكما في نار إبراهيم في الآيات:

١- (عيسى بن مريم) ﴿ **وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين. قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ آل عمران /٤٥-٤٧.

٢- (آدم) ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون.** ﴾آل عمران ٥٩.

٣ - (إبراهيم) ﴿ **وقلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم** ﴾ الأنبياء ٦٩.

والذي يتدبر آيات القرآن يجد في الكثير من المواضع وضوح صلة الإلهية بالمخلوقات، حيث أن المخلوقات هي صنعة الله سبحانه وتعالى وتظهر هذه الصلة واضحة بصفة خاصة في العلاقة بين أسماء الله الحسنى وبين المخلوقات كلها، باعتبار أن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شئ، وواضع النظام والقانون لسلوكيات كل شئ ﴿**وخلق كل شئ فقدره تقديراً**﴾ الفرقان /٢. وتظهر هذه الصلة بين الخالق والمخلوق في شكل القوانين أو السنن الطبيعية في الكون كله مما نعرف من سلوك المادة والطاقة والكائنات الحية والخواص الدقيقة لكل منهم.

والحقيقة التي يدركها الإنسان بعقله في حدوده الفيزيقية - حتى في أعلى مراتب التجريد الرياضي - قد لا تكون بالضرورة هي الحقيقة التي يدركها الإنسان بشفافيته الروحية في مستوى إدراكه الزائد عن الحواس. كما قد لا تكون بالضرورة هي الحقيقة التي تدركها الكائنات الروحية النورية الصرفة كالملائكة والروح. فالإنسان يدرك بعقله أن هناك عالم غيبي روحي هو غير العالم المشهود، بحيث يمكن أن تتخذ الحقائق الكونية مظهراً وجودياً آخر تحكمه قوانين مغايرة للقوانين الفيزيائية التي تحكم الوجود الطبيعي.

ذلك المظهر الوجودي الآخر هو العالم الروحي أو ما يعرف بعالم الأمر، وهو عالم تحكمه اتصالات الفكر والوعي وحركته متصلة بالفكر وتشاهد فيه الحقيقة في أبعاد تختلف عن أبعاد عالمنا الحي المعروفة. وإذا افترضنا أن جميع الطاقات الكونية المشعة للضوء في الوجود قد انعدمت أو تلاشت لكان معنى ذلك أن يتحول الكون إلى فراغ تعمه الظلمات.

وإذا افترضنا وجود الإنسان وحده في هذا الكون بهذا الشكل فإنه لن يرى شيئاً لأن حاسة البصر لديه تعمل نتيجة وجود الموجات الكهرومغناطيسية للضوء في أطوالها التي يمكن أن يرى من خلالها الإنسان، فإذا انعدمت لن يرى الإنسان شيئاً على الإطلاق، ولن يمكنه أن يحصل على أي قدر من المعلومات - ولو ضئيل - عما حوله لأنه سيكون محجوباً بالظلمات.

وكما أن الإنسان لن يستطيع رؤية ما هو بعد الظلمة أو فوق الظلمة فكذلك لن يستطيع رؤية ما بعد النور أو فوق النور الخارج عن إمكانيات بصره، ويختلف الأمر بالنسبة للعوالم الملكية النورية أو الروحية النورية التي تبصر من خلال نور ذاتي لا يفارقها هو جزء من طبيعتها التي خلقها الله عليها، كما كان بالنسبة للروح الأمين والنبي محمد ﷺ في تجربة المعراج.

فالنور يخترق الظلمات التي لا تصبح بالنسبة إليه عائق أو حجاب ولكنه يواجه حجاباً من نوع آخر يشابه طبيعته ذاتها هو حجاب النور الذي يحجب الله سبحانه وتعالى عن العالم الملائكي أو الروحي الذي يطلب الله ويسعى للتقرب إليه كما نسعى نحن.

ونحن نستدل من العالم الفيزيقي الطاقي بعضاً من المفاهيم التي توضح لنا شـــدة قوة الروح النوري.

ونلاحظ أن الروحية الحديثة والباراسيكولجي أكثر دلالة وتوضيحاً للمفـــاهيم المتصلة بشدة قوة الروح النوري.

ورغم قدر معارفنا المحدودة في هذين العلمين فإن معلوماتنا عن الروح النـــوري أو النور الروحي ما زالت قليلة ﴿ **ويسألونك عن الـروح قل الـروح من أمـر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ الإسراء /٨٥. ومما نعرفه الآن أن العـــالم الروحي النوري له قوانينه الخاصة به، وهي مختلفة عن قوانين الكون الفـيزيقي. وأن قوة أو طاقة الروح تفوق بكثير مثيلاتها في الكون الفيزيقي، ويبدو أن حركة الروح تماثل الحركة الفكرية لدى الإنسان بمعنى أن قدرة الروح على التحرك في المســـافة تماثل سرعة الفكرة لدى الإنسان، ومن ثم فإن سرعة الضـــوء الثابتـــة في الكـــون الفيزيقي، والتي تعتبر أكبر سرعة على الإطلاق، تتضاءل أمام سرعة حركة النـــور الروحي، ولما كانت معلوماتنا محدودة بسرعة الضوء فإنه لابد أن تكون معلومـــات العالم الروحي أكثر اتساعاً وأكبر قدراً من معلوماتنا.

إن الله سبحانه وتعالى له سلطة على هذا الكون ويديره بواسطة القوانين الـــتي تخضع لها طاقات وقوى الكون المختلفة، ويستلفت النظر أن القرآن وصف الـــروح الأمين بأنه (**شديد القوى**) في سورة النجم، وهو يعني نوعاً من القوة يفوق أو على الأقل يماثل قوة الربط في الذرة التي تعرف بالقوى الشديدة، مما يدعونا إلى القـــول أن هناك قوى من العالم الروحي تمتد إلى القوى الموجودة في العالم الطبيعي لتعطيـــها خواصها الفعالة أو المؤثرة.

والعوالم الروحية الصرفة لا تحتاج لأي طاقة فيزيقية لتحريك أو أداء نشاطها كما هو الأمر بالنسبة للملائكة والروح، لأن طاقاتها الروحية الواعية تستمد من نور رباني يمثل صورة غير معروفة لنا من صور الطاقة التي أوجدها الخالق سبحانه وتعالى والتي تدخل في عالم الأمر الرباني الذي لا يزال الإنسان قليل المعلومات حولها كما قلنا.

وفي فترات تلقي الوحي القرآني على القلب كان النبي ﷺ في مستوى الوعي الروحي الذي يتلقى الروح القرآني من الروح الجبريلي ليستقر بعد إفاقته في مستوى الوعي العقل فيحفظه عن ظهر قلب ثم يقرأه على الناس على مكث.

والذي نريد أن نؤكده هنا هو أن العوالم الروحية تعلو في قدراتها على العوالم الفيزيقية بالوعي والعقل إلى جانب القدرات والقوى والطاقات التي يمكن أن تؤثر وتعمل في العالم الفيزيقي غير متأثرة بقوانينه وإنما وفقا لقوانينها هي بما يمكن أن يأتي بالخوارق التي تفوق إدراك العقل الإنساني، ومن هنا يمكننا أن نقول ونحن مطمئنون أن النور الروحي يعلو النور الفيزيقي في الكون ويأتي في مرحلة سابقة في الوجود عليه في عالم له أبعاد مختلفة عن أبعادنا الفيزيقية المعروفة.

وإذا كان النور الروحي يمكنه أن يتعامل من خلال العالم الفيزيقي أيضاً فإن العكس ليس صحيحاً.

والنور الروحي تعلوا أنواره بعضها فوق بعض حتى مستوى أنوار تجليات الأسماء التي تحجب الذات الإلهي في غيبه الذي لا يدركه مخلوق، فلا يـــدرك ذات الله إلا ذات الله لأنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ في كل شئ.

كذلك فإن الحقيقة في تقديرنا روحية أساساً، ويؤيد ذلك أن الحق الذي جاء بـه القرآن فيما يتعلق بحقائق العالم الفيزيقي والروحي على السواء، جاء عـــن طريـــق التنزل بالوساطة الروحية إلى الخاصية الروحية المدركة في الخلق المزدوج الفـــيزيقي والروحي لفرد من الإنسانية اختير لتلقي وإبلاغ الحقيقة هو النبي الخاتم محمد صلـــى الله عليه وسلم **﴿ نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين ﴾** الشعراء /١٩٣:١٩٤.

فالقرآن في تفسير آياته وتأويلها يمكن أن يفسر الحقائق الفيزيقية والروحية علـــى السواء لأنه يتناولهما من منظور شامل والقـــرآن روح: **﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾** الشورى/٥٢. ومصدره روحي **﴿ نزل به الروح الأمين ﴾** الشعراء /١٩٣. وبذلك تكون الروحية هي السبيل المؤدي إلى تفسير الحقائق الـــتي تعجز العلوم الطبيعية أن تجد لها تفسيراً مادياً صرفاً مما يمكن أن يعطينا تصـــورات ومعلومات عن حقائق الوجود تختلف تماماً عما نقدمه من أبعاد وخصائص كونيـــة ندركها بمعلوماتنا الحسية. فالإدراك أو الوعي الروحي عبارة عن مستوى أعلى مـــن الإدراك متصل بالحقائق كلها الفيزيقية والروحية على السواء، وتتعامل مع القوانـــين الروحية بالضبط كما تتعامل القوانين الفيزيقية مع العالم الفيزيقي.

جاء في إنجيل يوحنا النص التالي " **في البدء كان الكلمة والكلمة كان عنـد الله وكان الكلمة الله** " يوحنا١:١ ونحن نعلم أن العهد الجديد كتب باللغة اليونانيـــة

ومن ثم فإن الكلمة اليونانية المرادفة (**لوجوس**) وهذه الكلمة لها أربع مرادفات هي: الكلمة، الأمر، العهد، الخبر، وهذه المرادفات تعني قدرة الله في أنه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون. وقد ناقش الأستاذ الدكتور **محمد جميل غازي** من علماء الأزهر الشريف ما جاء في إنجيل يوحنا قائلاً:

هذا النص هو إحدى الدعائم التي قامت عليها عقيدة التجسيد عند النصارى، وهو الركيزة الأولى التي استند إليها دعاة التجسيد الأولون في تشكيل العقيدة النصرانية وفي إعطائها الصورة التي طلعت بها على الناس.

لقد فهم دعاة النصرانية ومبشروها من هذا النص أن الكلمة هي الله. وأن الله هو الكلمة وأن الكلمة قد خلق به كل شئ. وأنه صار جسداً وحل بيننا في شخص المسيح الذي رآه الناس في عصره الذي ظهر فيه. في أرض اليهودية. وقام بدعوته في مواجهة اليهود، وطلع عليهم بمعجزاته التي اختلف الناس من أجلها في تصور حقيقته!

ومفهوم هذا النص على هذا الوجه لا يسلم به إلا مع كثير من التجوز الذي يخرج المنطق ويلغي العقل فهناك مثلاً: عبارة (**في البدء كان الكلمة**).

ونتساءل أي بدء تعني؟ ما حده الزمني؟ وإذا كان له حد زمني فهل يكون له متعلق بالله؟ وهي ذلك مما يليق بكمال الله الذي لا يحصره شئ.. زماناً..ومكاناً؟ فالله سبحانه أول بلا ابتداء.

ثم العبارة (**والكلمة كان عند الله**).

فماذا تعني العندية هنا، وكيف يتفق أن تكن (الكلمة) بدءً بمعنى الأولية المطلقة لم توصف بأنها كانت عند الله.

كيف ترتفع العندية، ويكون الكلمة الله، لا عند الله هذا التناقض هو ما يعطيه هذا النص كما تنطق بذلك ألفاظه وعبارته.

فهل يرجع ذلك إلى التسامح في الترجمة وعدم دقتها ؟
قد يكون.

عملية تصويب بإضافة المحذوف لتصويب المعاني:

ولا تساق العبارة (**في البدء كان الكلمة**) وذلك في مفهوم الكلمة (**الأمـــر**). فالأمر الإلهي كن فيكون تقرر (**والكلمة كان عند الله**) أي الأمر الإلهي كـان أزلاً وأبداً موصوفاً بها فهي من صفات الله الأزلية.

(**وكان الكلمة الله**) فيه حذف المضاف - وهو سائغ شائع - أي (**وكـــان رب الكلمة الله فهو صاحب الأمر والنهي على الإطلاق**).

ثم قول **يوحنا** بعد ذلك (**والكلمة صار جسداً**) يوحنا ١٤:١ فيــــه حـــذف المضاف أيضاً أي (**وأثر الكلمة صار جسداً**) مثال ذلك جاء في ســــفر التكويــن بشأن الخلق :

"**قال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها بهائم ودبابات ووحـــوش أرض كأجناسها وكان كذلك** ". تكوين ١:٢٤، "**وقال الله ليكن نـــور فكـــان نور**" تكوين٣:١.

فالكلمة إذن هي الأمر الإلهي في قوله "**لتخرج الأرض** "، وقوله "**ليكن نـــور** " ويؤكد هذا ما جاء في الرسالة إلى العبرانيين "**بالإيمان نفهم أن العـــالمين أتقنـــت بكلمة الله** " ١٣:١١ أي "**بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بالأمر الإلهـــي** " ومـــا حاء في رسالة بطرس الثانية "**الأرض بكلمة الله قائمة** " ٣ :٥ أي "**الأرض بـــأمر الله قائمة** " وما جاء في المزامير "**بكلمة الرب صنعت السموات**" مزمـــور ٣٣ : ٦ أي "**بأمر الرب صنعت السموات**".

وعلى هذا فالمعنى صحيح، وهو ما يجب حمل النص عليه. أما لو حملناها علـــى ظاهرها قلنا: إن الكلمة هو الله كما هو منطوقها وأضفنا لهذا النص "**والكلمة صار جسداً** "يوحنا١ :١٤ لاستحال ذلك لأن صيرورة الله جسداً محال لتترهــــه عـــن التغيير، إذ المتغير حادث لا محالة ولصار النص مختل المبنى ركيك المعنى، بل لا معـــنى له أصلاً، لأننا لو قرأناها مفسرة أي بجعل الكلمة الله كما يفسرونها على ظاهرهـــا هذا:

في البدء كـــــان (الكلمة / الله) كان عند الله و(الكلمة / والله) وكـــــان (الكلمة / الله) الله

وأي معنى لهذا، ومع هذا فالآية لا تشير إلى السيد المسيح عليه السلام من بعيـــد أو قريب فأين لنا الاستدلال بها على ذلك ؟

وليكن معلوماً أن إنجيل **يوحنا** هو الإنجيل الذي انفـــرد بـــين الأنـــاجيل الأربعـــة باصطباغه بالصبغة اليونانية، ويأخذ بكثير من مقولات الفلاسفة اليونانيين.

ولكن قد يقول قائل كيف نشأت نظرية التجسد والفداء؟

إنه **بولس** الذي اندس - داعياً بتعاليم شديدة الكفر - كما قال ذلك عنه **برنابــا** في افتتاحية إنجيله. اندس بين التلاميذ خلسة ويقرر **لوقا** عن ارتياب التلاميـــذ منـــه قائلاً:

"وما جاء شاول إلى أروشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ " أعمال الرسل ٩ :٢٦.

هذا **بولس** الذي قال لتلميذه **تيموثاوس**: **"وبالإجماع، عظيم هو سر التقـــوى الله طهر في الجسد"** تيموثاوس أولى ٣: ١٦، وقال في رسالته إلى أهـــل فيلـــبي: **"فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً الذي إذا كان في صـــورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله. لكنه أخلى نفسه آخذاً صـــورة عبـــد صائراً في شبه الناس وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى المـــوت موت الصليب"** فيلبي ٢:٥-٨.

وهكذا انحرف **بولس** بدعوة المسيح دعوة التوحيد الامتداد الطبيعي للشـــريعة الموسوية إلى دعوة التثليث الامتداد الطبيعي لدين الإمبراطورية الرومانية الوثنية.

الفصل الخامس

الروح القدس

(روح القدس)

ماذا يقول القرآن عن الروح؟

لقد وردت الروح في القرآن الكريم بمعان ثلاثة هي :

١- بمعنى جبريل، قال تعالى

﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾ البقرة /٨٧

﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ﴾ مريم/١٧

﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ الشعراء /١٩٣

﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ المعارج/٤

﴿ تنزّل الملائكة والروح فيها ﴾ القدر/٤

٢- بمعنى الوحي بوجه عام أو القرآن بوجه خاص، قال تعالى :

﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره ﴾ النحل /٢

﴿ يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ غافر/١٥

﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾ الشورى /٥٢

٣- بمعنى القوة التي تحدث الحياة في الكائنات، قال تعالى :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ الإسراء /٨٥

﴿ إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ الحجر ٢٨-٢٩

﴿ والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا ﴾ الأنبياء /٩١

﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ﴾ التحريم/١٢

والآية السابقة ﴿ **يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي** ﴾، واضحة الدلالة على أن هذه القوى التي تحدث الحياة في الكائن هي من علم الله، وأن الله سبحانه خص نفسه بمعرفة كنهها، وهو وحده الذي يمنحها فتدب الحياة أو يأخذها فتصبح الأجسام هامدة.

والآيات التالية تطبيق لذلك، فالله خلق بشراً من طين ثم أودعه الروح، وباللغة القرآنية، نفخ فيه من روحه، أي أودعه القوى التي لا يعرفها ولا يسيطر عليها سواه، فجاء آدم.

وأودع هذه القوى رحم مريم العذراء التي أحصنت فرجها والتزمت بالعفاف وعدم مخالطة الرجال، ونتيجة لنفخ روح الله في رحم مريم أي إيداع الله القوى التي تخلق الكائن الحي في رحم السيدة العذراء، جاء السيد المسيح.

ومن هنا تجئ الآية الكريمة، ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم..** ﴾ آل عمران.

ويلاحظ في الآيتين الكريمتين السابقتين المرتبطتين بالسيدة العذراء وحملها أن الآية الأولى تقول ﴿**فنفخنا فيها**﴾والثانية تقول ﴿**أحصنت فرجها فنفخنا فيه**﴾ والمقصود في الآية الأولى منحنا مريم القوى التي جعلت طفلاً يدب في رحمها، فالضمير لمريم، أما الآية الثانية فاتجهت للوسيلة التي يجئ الأطفال عن طريقها وذلك للتقريب، وهناك إحدى القراءات في هذه الآية تقول (فيها) أيضاً، والنفخ هو تسلط الإرادة كما سنرى بعد قليل وليس نفخاً بالمعنى المعروف.

ويتجه الإمام البيضاوي اتجاهاً ميسراً في شرح هذه الآيات فيرى أن "**من**" حرف زائد، وأن المقصود أودعنا في الطين أو في الرحم روحنا أي القوة التي لا يملكها سوانا، والتي بمقتضاها يجئ كائن حي بدون الوسائل العادية. وكلماته هي، روح خلقناه بلا توسط أصل[1].

ويقول الباحثون المسلمون إن معنى النفخ هو تحصيل آثار الروح أي أن تدب الحياة، ويقولون إن منح الله القوة في كل الأرحام ضروري للحمل والحياة، وأن كثيراً من الأزواج يلتقون بزوجاتهم، ولا يحصل حمل مدة من الزمن لأن الله سبحانه لم يمنح هذه القوى التي يبدأ بها الحمل أو تبدأ بها الحياة، ثم يتفضل الله عندما يشاء فيمنح هذه القوة ويبدأ الحمل، ومعنى هذا أن نفخ الروح في الأرحام ضروري لكل البشر، وإنما ورد النص في حالتي آدم وعيسى لأن الخلق في آدم والحمل في عيسى جاء بغير الطريق الطبيعية، لكن بالنسبة لله سبحانه وتعالى تستوي كل الطرق.

ولعل هذا يرتبط بما يذكره ابن هشام حول تفسير قوله تعالى ﴿ **هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء** ﴾ آل عمران٦، فإنه يذكر أن عيسى عليه السلام كان ممن صور في الأرحام كما صور غيره من بني آدم[2].

وقد أعطى الله سبحانه وتعالى لعيسى عليه السلام هذه القوى ليستعملها في هيئة الطير التي صنعها من الطين ثم نفخ فيها فأصبحت طيراً بإذن الله. قال تعالى

---

[1] تفسير البيضاوي ص ٩١ من الجزء الثاني

[2] سيرة ابن هشام ج٢ ص١٦١.

﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم، أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ﴾ آل عمران٤٩.

النفخ:

وإيضاحاً لكلمة النفخ التي تكرر ورودها في القرآن الكريم متصلة بخلق آدم أو بخلق عيسى عليهما السلام أو بخلق طير من الطين أو متصلة بالنفخ في الصور، نذكر أن المفسرين يرون أن معنى النفخ هو تحصيل آثار الروح أي أن تدب الحياة، فهو تسلط الإرادة بالحياة في حالة آدم وعيسى وهيئة الطير التي أعدّها عيسى، وتسلط الإرادة بالبعث يوم القيامة، وكلمات المفسرين التفصيلية هي: أصل النفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر، ولما كان الروح يتعلق أولاً بالبخار اللطيف المنبعث من القلب، وتفيض به القوة الحيوية فيسري حاملاً لها في تجويف الشرايين إلى أعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخاً، والمقصود تعلق الإرادةِ على كل حال.

وعلى هذا فخلق عيسى على هذا النمط هو على نمط خلق آدم وخلق الطائر من الطين الذي يهيئه عيسى على هيئة الطير، وهو تصرف لا يحتاج لجهد ولكن المسيحيين عندما اتخذوا ذلك وسيلة لتأليه عيسى عقّدوا الأمور، وصوروا عيسى ابن الله... والله سبحانه لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

وقد اتجه بعض الكتّاب المسلمين إلى تأليف كتاب جعل عنوانه **﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ﴾** وذلك لدقة الصلة بين الحالتين.

وروح منه

"منه " هنا ليست للتبعيض، فإن أصول التوحيد في الإسلام تفيد أن ليس في ذات الله إلا ذات الله وليس في الخلق إلا الخلق.. فالله سبحانه وتعالى لم يتوالد من ذاته شئ كما أن ذاته لم تتوالد من شئ ﴿**لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**﴾ الإخلاص. والقرآن صريح في بيان نسبة الروح المخلوق إلى الله الخالق بالنسبة لعيسى في تقديره ﴿**فأرسلنا إليها روحنا..**﴾ فهنا أيضاً لا تبعيض، وإنما نسبة المخلوق إلى الخالق أو الصفة إلى الصانع، والمقصود هنا هو روح القدس أو الروح الأمين جبريل الوسيط الواحد الدائم بين الله وأنبيائه ورسله عبر مختلف عصور التاريخ. والمراد هنا روح من أمره أو من خلقه أو من صنعه. وقد وصف القرآن المسيح بأنه روح باعتبار طبيعته الإنسانية أو البشرية العاقلة الحية ونفسه الناطقة. والروح - كما يخبرنا القرآن في موضع آخر - من أمر الله، وهو تأكيد لحقيقة واقعة وهي أن علوم الإنسان لم ترتق بعد إلى الدرجة التي تعرف فيها أسرار طبيعة الروح ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ وقد استعمل القرآن تعبير "منه" أيضاً في نسبة المخلوقات إلى صنع الله في آية أخرى هي ﴿ **وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه** ﴾ الجاثية/١٣

"**ومنه**" هنا ليست للتبعيض أيضاً وإلا لكان معنى ذلك أن جميع المخلوقات آلهة ونتناول مسألة الروح كما تناولها الإمام ابن القيم الجوزية في كتابة "**الروح** " لنوضح مفهوم الروح القدس كما تناولته آيات القرآن الكريم.

مفهوم الروح عند الإمام بن القيم.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية[1] : **والروح في القرآن على عدة أوجه:**

أحدها: الوحي: كقوله تعالى ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾ الشورى/٥٢.

وقوله تعالى : ﴿ **يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾ غافر/١٥.

وسمي الوحي لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح.

والثاني: القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من شاء من عباده المؤمنين كما قال: ﴿ **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾ المجادلة /٢٢.

الثالث: جبريل كقوله تعالى: ﴿ **نزل به الروح الأمين. على قلبك** ﴾ الشعراء/١٩٣:١٩٤.

وهو روح القدس

قال الله تعالى: ﴿ **قل نزله روح القدس** ﴾ النحل /١٠٢.

الرابع: الروح التي سأل عنها اليهود فأجيبوا بأنها من أمر الله وقد قيل إنها الروح المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون** ﴾النبأ /٣٨.

وأنها الروح المذكورة في قوله: ﴿ **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم** ﴾

الخامس: المسيح بن مريم قال تعالى: ﴿ **إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾ النساء /١٧١.

---

[1] في كتابه "الروح"

وأما روح ابن آدم فلم تقع تسميتها في القرآن إلا بالنفس قال تعالى : ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة**﴾ الفجر/٢٧.

وقال تعالى: ﴿**ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾ القيامة /٢.

وقال تعالى: ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾ يوسف /٥٣.

وقال تعالى: ﴿ **أخرجوا أنفسكم** ﴾ الأنعام /٩٣.

وقال تعالى: ﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ الشمس/٧:٨.

وقال تعالى: ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ آل عمران /١٨٥.

وأما في السنة فجاءت بلفظ النفس والروح والمقصود أن كونها من أمر الله لا يدل على قدمها وأنها غير مخلوقة. انتهى.

والإمام ابن قيم الجوزية من الذين يقولون بخلق الروح لا بقدمها وفي هذا الشأن يقول:

(وما استدلالهم – أي الذين يقولون بقدم الروح – بإضافتها إليه سبحانه وتعالى "ونفخت فيه من روحي " فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله سبحانه وتعالى نوعان:–

١– صفات لا تقوم بأنفسها: كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر..فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها. فعلمه وكلامه وإرادته وقدرته وحياته صفات له غير مخلوقة وكذلك وجهه ويده سبحانه وتعالى.

٢– أعيان منفصلة عنه كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح...

فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ومصنوع إلى صانعه لكن إضافتها تقتضـــي تخصيصاً وتشريفاً يتميز به المضاف عن غيره.." انتهى.

ويذهب الإمام **ابن القيم** إلى تقسيم الأعيان المنفصلة إلى قسمين:-

الأول:- إضافة إلى ألوهيته تقتضي تشريفاً واختياراً وهي إضافة خاصة ومنها إضافة الروح.

الثاني:- إضافة إلى ربوبيته تقتضي الخلق والإيجاد وهي إضافة عامة.

فالروح عند الإمام ابن القيم في "**ونفخت فيه من روحي** " عين منفصلة مخلوقـــة أضيفت إلى الله سبحانه وتعالى بمعنى التشريف والاختيار، وليست إضافة عامـــة ولا إضافة صفات لا تقوم بنفسها.

الفصل السادس

المسيح يدعو إلى التوحيد

ماذا كانت حقيقة دعوة المسيح عليه السلام؟

إن المصادر المسيحية الموثوق فيها تقر بأن دعوة المسيح كانت توحيد الله، ثم ما لبثت أن دخل عليها صنوف من عقائد أهل الشرك، حتى ما إذا جاء القرن الرابع الميلادي كانت عقيدة التثليث المسيحي واحدة من نتاج ما يسمى بالمجامع المسيحية المقدسة. جاء في دائرة المعارف الأمريكية ما نصه[1] " **لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جداً في التاريخ، وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير منذ عشرات السنين. لقد اشتقت المسيحية من اليهودية، واليهودية صارمة في عقيدة التوحيد. إن الطريق الذي صار من أورشليم (مجمع تلاميذ المسيح الأوائل) إلى نيقية (حيث تقرر مساواة المسيح بالله في الجوهر والأزلية عام ٣٢٥ميلادية)كان من النادر القول بأنه كان طريقا مستقيما.**

إن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع الميلادي لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الله، بل لقد كانت على العكس من ذلك انحرافاً عن هذا التعليم. ولهذا فإنها تطورت ضد التوحيد الخالص أو على الأقل يمكن القول بأنها كانت معارضة لما هو ضد التثليث كما أن انتصارها لم يكن كاملا" انتهى.

لقد كانت عقيدة المسيح توحيداً خالصاً، ثم بدأ يتسرب إليها من العقائد المختلفة وخاصة العقائد الوثنية في العالم الروماني ما صبغها بالتثليث ومن ثم أصبحت المسيحية التقليدية الشائعة هي مسيحية الثالوث المقدس. ومع ذلك فلا

[1] جزء ٢٧ صفحة ٢٤٧

تزال توجد إلى اليوم طائفة هامة وقوية من بين الطوائف المسيحية المشهورة هي طائفة "**الموحدين**" **Uniterians** التي أصبحت ظاهرة في وقتنا الحالي في الولايات المتحدة الأمريكية. ويتلخص قول المسيحيين الموحدين في القول التالي : "**لا إله إلا الله ـ المسيح رسول الله** " أي أن المسيح إنسان فقط لا غير. وفيما يلي خلاصة مركزة لبعض مبادئ الفكر التوحيدي المسيحي :

١-إن كنيسة الموحدين تعتبر الكتاب المقدس تسجيلا قيما للخبرات الإنسانية وهي تصر على أن كاتبيه كانوا معرضين للخطأ، ولهذا السبب فإن أغلب الأجزاء الرئيسة للمعتقدات المسيحية قد رفضت.

٢- إن الثلاثة جواهر وبالتالي ثلاثة آلهة، وإن الأسفار لم تعط أي مستند للاعتقاد في التثليث.

إن نظام الكون يتطلب مصدراً واحداً للشرح والتعليل لثلاثة مصادر ولذلك فإن عقيدة التثليث تفتقد أي قيمة دينية أو علمية.

٣- لقد قدمت اعتراضات قوية ضد عقيدة لاهوت يسوع المسيح وإن الكتاب المقدس لم يقل بذلك، كما أن يسوع فكر في نفسه كزعيم ديني هو المسيح وليس كإله.

وبالمثل اعتقد التلاميذ أن يسوع مجرد إنسان، إذ لو كان عند أي من بطرس أو يهوذا أي فكر على أن يسوع إله لما كان هناك تفسير معقول لإنكار بطرس ليسوع وما كان هناك تبرير لخيانة يهوذا. إن الإنسان لا يمكن أن ينكر أو يخون كائنا إلهياً له كل القوى.

٤- إن الحقيقة المزعومة عن أن يسوع مات من أجل خطايانا وبهذا وقانا لعنة الله إنما هي مرفوضة قطعاً، إن الاعتقاد في أن موت يسوع كان له هذه

النتيجة إنما يعني الطعن في أخلاق الله. إن الله يجب ألا يعرف عن طريق اللعنة بل عن طريق الحلم والحكمة والمحبة. إن الموت الدموي على الصليب من أجل إطفاء لعنة الإله يعتبر أمراً مناقضا للحلم الإلهي والصبر الود والمحبة التي لانهاية لها.

٥- إن الموحدين ينظرون إلى يسوع باعتباره واحداً من قادة الأخلاق الفاضلة للبشر، وأنه لو كان المسيح إله فإن المثل الذي ضربه لنا بعيشته الفاضلة يفقد كل ذرة من القيمة حيث أنه يمتلك قوى لا نملكها. إن الإنسان لا يستطيع تقليد الإله[١].

وترجع جذور حركة الموحدين إلى السنوات الأولى لبداية الكنيسة المسيحية حيث كان هناك طوائف تخالف ما بدأ يتجه إليه التفكير اللاهوتي من تثليث أو تجسيد الله في شخص المسيح، وأشهر هذه الطوائف:- **Samosatenians- Ibionites-** أتباع **آريوس** **Photinians – Arians** وكانت هذه الطوائف الأولى من الموحدين (**uniterians**) لأول مرة في القرن السادس عشر الميلادي من جانب بعض المنشقين البروتوستنط على مذهب التثليث، ويعتبر كل من **فرنسيس ديفيد** **فاوستوس تسوسينوس** **(Franis David)** **ومايكل سرفاتوس(Michael Servetus)** الذي مات حرقاً عام ١٥٥٣ م لما سمى في ذلك الوقت **"الهرطقة التوحيدية"** يعتبرون الأساس الذي نشأت عنه طوائف الموحدين المعاصرين، وفي عام ١٥٦٨م قام الملك **جون سيجموند** **(John Sigismund)** حاكم المجر وكان من الموحدين، قام بإصدار أول مرسوم بالحرية الدينية في بلاده التي بلغ عدد الكنائس التوحيدية فيها

---

[١] دائرة المعارف الأمريكية -جزء ٢٧صفحة ٣٠٠-٣٠١

عام ١٦٠٠، ٤٢٥ كنيسة[1] وقد دخل الموحدين الولايات المتحدة الأمريكية منـــذ أكثر من ١٦٠عام وانتشروا في كل أنحاء البلاد. ومن الأسماء المشهورة المنتميـــة إلى طائفة الموحدين أسماء مثل:

Thomas Jefferson – George Bancroft – john Quincy Adams – William Cullen Bryant – Ralph Waldo Emerson – William Ellery Channing – Oliver Wendell Holmes – Henry W. Longfellow – James Russel Lowel – Horace Mann – Framcis Parkman

كما كانت هناك في نهاية القرن الثاني الميلاد طائفة القائلين **بالتبني** **Adoptianists** من أمثال **ثيودوتوس** **Theodotus** الأصغر والأكبر وقد كانا من الموحدين الذيـــن يعتبرون المسيح إنساناً وإن كان يتمتع بتأييد روح القدس.

وفي بريطانيا يرجع تاريخ الموحدين إلى عام ١٧٧٠م عندما دافع القس **جوزيف بريستلي** **Joseph Priestley** عن التوحيد في نداء إلى العلماء المســـيحيين بعنـوان **(Appeal to the Serious and candid professors of christianity)** وأعقـــب ذلـــك انسحاب **الإنجليكاني تيوفيلوس ليندس** **(Theophilus Lindsey)** من كنيسة انجلـــترا في عام ١٧٧٣ م وهو نفس العام الذي أصدر فيها دراسته الشهيرة عن التوحيـــد تحت عنوان **Historical View of the state of the unitarian doctrine and worship from the reformation to our own time** ويعتبر **جيمس مارتينو** **James Martineau** أستاذ الفلسفة بكلية مانشستر الجديدة ثم عميدها بعد ذلك (١٨٠٥-١٩٠٠) مـــن أشهر الموحدين في بريطانيا. وقد قام القس **جوزيف بريستلي** بجـــهد رئيســـي في إنشاء أول كنيسة للموحدين في فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٧٩٦م وذلك بعد اضطهاد الكنيسة الإنجليزية له وطرده من بريطانيا. ويعتبر **وليام تشـــانج** **(William Ellery Channing)** الأب الروحي للموحدين الأمريكيين. وفي بداية القرن

---

[1] انظر كتاب : Religions of America لمؤلفه Lio Rosten

الحالي - العشرين - طوى الموحدون دعوتهم إلى المناداة الى دين عالمي يتسع ليشمل كل الناس على أساس تعاليم المسيح الأصلية البسيطة غير المعقدة التي تدعو إلى توحيد الله واعتبار المسيح بشراً من الناس دعا لمكارم الأخلاق وحرض على الفضيلة، وإن كل إنسان يستطيع أن يتم علاقة مباشرة مع الله دون حاجة إلى وساطة كهنوتية[1] وتسمى هذه الدعوة **universalism**.

[1] لمزيد من التفصيل في هدا الموضوع انظر "دائرة المعارف الأمريكية " تحت عنوان universalism

في إنجيل لوقا (١٨:١٨-١٩) سأله رئيس التلاميذ قائلا **أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله**: لقد حرص المسيح عليه السلام أن ينفي عن نفسه صفة الصلاح ويردها إلى الله وحده فكيف يقال بعد ذلك أن المسيح إله أو ابن الإله. وفي إنجيل مرقص (١٢:٢٨-٢٩) "**فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله: أية وصية هي أول الكل ؟ فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي اسمع ياإسرائيل الرب إلهنا رب واحد**" فلم يدع المسيح أنه إله يعبد لكن موقفه أمام الله كموقف كل بني إسرائيل. وفي إنجيل يوحنا (١٧-٣) **وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته**. وفي حديث المسيح مع مريم المجدلية الذي ذكره إنجيل يوحنا (٢٠:١٧-١٨) **قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبي إلى أخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم**.

حين نتأمل تاريخ الأنبياء نجد أن **موسى** عليه السلام بعد أن قتل المصري هرب إلى البرية، وبقي بها أربعين سنة يرعى الغنم ويتأمل صنع الله في الأرض والسماء وكان ذلك تحت رعاية الله سبحانه وتعالى حتى يتأهل لحمل الرسالة بمشاقها ومتاعبها. وكذلك تعرض **يوسف** عليه السلام لمحن كثيرة بدأت بتآمر أخوته عليه ثم بيعه إلى عزيز مصر ليخدم في بيته ثم اتهامه مع إمرأة العزيز، حتى برّأه الله سبحانه وتعالى وصار بعد ذلك الوزير الأول لملك مصر. وكذلك كان أمر المسيح عليه السلام فقبل أن يبدأ دعوته في سن الثلاثين – حسب كلام لوقا – نجده قد ذهب

من بلدته الناصرة إلى البرية، وبقي هناك أربعين يوماً بلا طعام حتى جـــاءه إبليـــس ليجربه بثلاث تجارب نجح فيها المسيح جميعاً وانتصر على إبليس، وأصبح بذلـــك معداً ليكون رسول الله. ثم يقول إنجيل لوقا (٤:١٤-١٥) **ورجع يســـوع بقـــوة الروح إلى الجليل وخرج خبر عنه في جميع الكورة المحيطـــة. وكـــان يعلـــم في مجامعهم ممجداً من الجميع.** ونجد في إنجيل متى (٤:١١) **ثم تركـــه إبليـــس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه.** لقد أعد المسيح للرسالة كما أعد سائر الأنبيـــاء قبله وكما أعد محمد ﷺ خاتم الأنبياء من بعده. يقول بطرس رئيس التلاميـــذ (في سفر أعمال الرسل: ٢٢: **أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال. يســـوع الناصري رجل قد يبرهن لكم من قبل الله بقوى من الله وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم تعلمون.** لم يقل بطرس أن المسيح هو الله لكنه قـــال أنه رجل إنسان أجرى الله على يديه معجزات وآيات. كذلك يقـــول بطـــرس في سفر أعمال الرسل (١٠:٣٨) **يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بـــالروح القدس والتقوى الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليـــس لأن الله كان معه.** أما كون المسيح رسول الله فنبينه من كلام الأناجيل نفسها فنجـــد في إنجيل (يوحنا ١٣:١٦) **الحق الحق أقول لكم أنه ليس عبد أعظم من ســـيده ولا رسول أعظم من مرسله.** وكذلك في إنجيل (يوحنا ٨:٣٧:١٦) **أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم لكنكم تطلبون أن تقتلوني لأن كلامي لا موضع له فيكم. أجابوا وقـــالوا له أبونا هو إبراهيم. فقال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتـــم تعملـــون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بـــالحق الذي سمعه من الله.**

وكذلك نجد في إنجيل (يوحنا ٨:٤٤:٤٥) يدفع المسيح اليهود بالأبالسة قائلاً: **أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه كذاب وأبو الكذاب.**

الأبوة والبنوة في الأناجيل:

من هنا نفهم قول المسيح لتلاميذه وهو يعلمهم الصلاة ليقولوا (**أبانا الذي في السموات**) ولما جاء ليندد باليهود نسب أبوهم إلى إبليس لأنهم كانوا ذرية إبراهيم حسب الجسد، إلا أنهم بسلوكهم وأفكارهم الشريرة كل هذا جعلهم كأبناء لإبليس، لكن المؤمنين الذين آمنوا بالله الواحد الأحد وبالمسيح إنساناً ورسولاً ونبياً فهؤلاء نسبهم الإنجيل كأنهم أبناء الله، وكل حديث في الكتاب المقدس عن هذا النوع من البنوة إنما هي بنوة مجازية ولا يمكن أن تكون حقيقة على الإطلاق.

كذلك نجد في إنجيل (يوحنا ١٦:٧-١٨) **أجابهم يسوع وقال تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي. من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم.** وفي إنجيل (يوحنا ٤٤:١٧) **الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم.**

وفي معجزة إقامة الميت التي يذكرها إنجيل (يوحنا ١١:٣٨-٤٤) **فانزع يسوع أيضاً في نفسه وجاء إلى القبر. وكان مغارة وقد وضع عليه حجر قال يسوع ارفعوا الحجر- قالت له مرثا أخت الميت: يا سيد قد أنتن لأن له أربعة أيام. قال لها يسوع ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت، ليؤمنوا أنك أرسلتني. ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً. فخرج الميت.** لقد كان المسيح دائماً يصلي ويضرع إلى الله قبل أن تجئ المعجزة على يديه. لقد كانوا ينادون المسيح بالمعلم لأن المعلم هو الإنسان الذي يحيطه التلاميذ. فعندما ظهر المسيح اتخذ لنفسه اثناً عشر تلميذاً ونجد في إنجيل متى (٨:٢٣-٢٦) **"لما دخل السفينة تبعه تلاميذه وإذا اضطراب عظيم قد حدث في البحر حتى غطت الأمواج السفينة وكان هو نائماً فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين: يا سيد نجنا فإننا نهلك. فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان. ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم"** كيف ينام الإله ويغفل عن الكون؟ لقد كان المسيح بشراً يجرى عليه ما يجرى على سائر البشر من نوم ويقظة وتعب وراحة وخوف وطمائنينة لكن الله سبحانه وتعالى كما يقول القرآن بحقه ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾ البقرة ٢٥٥.

المسيح رسول الله

نورد هنا مقتطفات من إنجيل يوحنا صريحة وواضحة بأن المسيح نبي مرسل من عند الله سبحانه وتعالى:

١- في يوحنا ص ١ : ٥١ (**من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة السماء مفتوحة وملائكة السماء يصعدون وينزلون على ابن الإنسان**) فاعترف بأنه ابن إنسان وليس ابناً لله ولا هو الله.

٢- يوحنا ص ٤ : ٦ (**يسوع قد تعب من السفر**) ومحال أن يتعب الله الذي بقوته قامت السموات والأرض وما فيها.

٣- يوحنا ٣: ٢٦ (**فجاءوا إلى يوحنا المعمدان وقالوا له يا معلم هو الذي كان معك في نهر الأردن الذي أنت قد شهدت له هو يعمد والجميع يأتون إليه أجاب يوحنا وقال لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أعطى من السماء أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت لست أنا المسيح بل أني مرسل قدامه فأنتم ترونه قد شهد على المسيح بأنه إنسان وأنه لا يقدر أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أعطي من السماء وبأنه المسيح**. وقال عنه في ٣٠ (**ينبغي أن ذلك يزيد وأنا أنقص**) ومعلوم أن الإله لا يزيد ولا ينقص.

٤- يوحنا ص ٣: ٣٤ **لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح فأنتم ترون أن يحيى جعل المسيح** رسولاً **لله يتكلم بكلام الله**.

٥- يوحنا ص ٤: ٣٤ **قال لهم يسوع طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم علمه - وهنا شهد بأنه رسول الله يعمل مشيئة الذي أرسله**.

٦- يوحنا ص ٤: ٤٤ **لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبي كرامة في وطنه وهذا صريح في نبوته وأنه كسائر الأنبياء لا يلقون الكرامة في أوطانهم إنما يقوم بنصرهم البعداء**.

٧- يوحنا ص ٤:١٩ قالت له المرأة يا سيدي أرى أنك نبي أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح يأتي فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شيء قال لها يسوع أنا الذي يكلمك هو - وذلك يثبت أنه نبي وأنه المسيح الذي وعدوا به.

٨- يوحنا ص ٥:٢٤ الذي يراني ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية فاعترف بأنه يُرىَ ومعلوم أن الله لا يُرىَ واعترف بأنه رسول.

٩- يوحنا ص ٥: ٤٤ كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجد بعضكم من بعض والمجد الذي من الإله واحد لستم تقبلونه.

١٠- يوحنا ص ٦:١٤ إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم.

١١- يوحنا ص ٦: ٢٩ أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله.

١٢- يوحنا ص ٦: ٢٨ لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني وهذه مشيئة الأب الذي أرسلني إن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئا بل أقيمه في اليوم الأخير لأن هذه هي مشيئة الله الذي أرسلني.

١٣- يوحنا ص ٧-١٦، ١٨ أجابهم يسوع وقال تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي، من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه. وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس منه ظلم.

١٤- يوحنا ص ٧: ٢٨ فنادى يسوع هو يعلم في الهيكل قائلاً تعرفوني وتعرفون من أين أنا ومن نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو حق.

١٥- يوحنا ص ٧: ٣٣) فقال لهم يسوع أنا معكم زمناً يسيراً بعد. ثم أمضى إلى الذي أرسلني.

١٦- يوحنا ٨: ٢٦ **الذي أرسلني هو حق وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم.**

١٧- يوحنا ص ١٣ : ١٦ **ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول من مرسله.**

يقول الدكتور **محمد جميل غازي**[١] إن القول بألوهية المسيح، أو بكونه واحداً من الأقانيم الثلاثة التي تكون الإله الواحد هو قول نابع من فكر وثني عاش في خلد الوثنيات القديمة التي صورتها لنفسها - أو صور لها الكهنوت - أن لله ابناً أو أن له أبناء. والوثنيات القديمة التي شاركت في هذا الإفك - أو الشرك - هي الوثنيات المصرية والإغريقية والرومانية والهندية والعربية. وما إليها من وثنيات تواصت بالفكرة والخرافة وقد قدم الدكتور/ **محمد جميل غازي** في الكتاب الذي أشرنا إليه مقارنة بين المسيحية والمثراسية نقله عن روبرت سون حسب ما جاء في كتابه "**المسيحية والوثنية**" عند ديانة الفارسية الأصل والتي ازدهرت هناك قبل الميلاد بحوالي ستة قرون ثم نزحت إلى روما حوالي عام ٧٠ميلادية. وانتشرت في بلاد الرومان وصعدت إلى الشمال حتى وصلت إلى بريطانيا، وقد اكتشفت بعض آثارها في مدينة يورك ومدينة شستر وغيرها من مدن إنجلترا. ونذكر هذه الديانة أن:

١- ميثراس كان وسيطا بين الله والناس.

٢- كان مولد ميثراس في كهف أو زاوية من الأرض.

٣- وكان مولده في الخامس والعشرين من ديسمبر.

٤- كان له اثنا عشر حوارياً.

٥- مات ليخلص البشر من خطاياهم.

٦- دفن ولكنه عاد للحياة بقيامته من قبره.

---

[١] في كتاب : مناظرة بين الإسلام والنصرانية - لمجموعة من العلماء.

٧- صعد إلى السماء أمام تلاميذه وهم يبتهلون له ويركعون.

٨- كان يدعي مخلصاً ومنقذاً.

٩- ومن أوصافه أنه كان الحمل الوديع.

١٠- وفي ذكراه كل عام يقام العشاء الرباني.

١١- ومن شعائره التعميد.

١٢- واعتبار يوم الأحد يوم العبادة يوما مقدساً.

يقول **روبرتسون** أن ديانة **ميثراس** لم تنته في روما إلا بعد أن انتقلت عناصرهـا الأساسية إلى المسيحية حيث تعتبر:

١-إن المسيح وسيط بين الله والناس.

٢- مولده كان في مذود البقر.

٣-مولده كان يوم ٢٥.

٤-كان له اثنا عشر حوارياً.

٥-مات ليخلص العالم.

٦-دفن وقام في اليوم السادس.

٧-صعد إلى السماء من تلاميذه.

٨-خلع عليه بولس لقب المخلص والمنقذ.

٩-وصفه يوحنا المعمدان بأنه حمل الله الوديع.

١٠- رسم له بولس العشاء الرباني.

١١- المعمودية.

١٢- تقديس يوم الأحد.

ولقد واجه القرآن هذه الوثنيات وناقشها وهي وثنيات تتشابه وتتشابك في الشكل والموضوع.

فسجل كفر النصارى وقولهم بأن المسيح هو الله، وابن الله، أو ثالث ثلاثة، قال تعالى ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قال فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً** ﴾ المائدة/١٧.

﴿ **لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وأن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم. أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم، ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون** ﴾ المائدة/ ٧٢-٧٥، وقد ذكرت هذه الآيات :

١- إن المسيح عليه السلام لا يعدو أن يكون رسولاً من رسل الله الذين خلوا من قبل، كذلك محمد ﷺ فلقد قال الله عنه كذلك ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾ آل عمران /١٤٤.

٢- وعن أمه - عليها السلام - لا تعدو أن تكون صدِّيقة، فهي ليست بنبية ﴿ **وأمه صدِّيقة** ﴾.

٣- ثم قال ﴿ **كانا يأكلان الطعام** ﴾ وهذا من أظهر الصفات النافية للألوهية، لأن الأكل في حاجة إلى ما يدخل جوفه ليشبعه من جوع، وكذلك هو في حاجة إلى أن يخرج ما في جوفه من الفضلات ليتخلص من الأذى. وإذا كان القرآن الكريم قد نفى الألوهية عن المسيح عليه

السلام، فقد أثبت له العبودية، كما قال تعالى ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون. وقالوا ألهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون. إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل** ﴾ الزخرف٥٧:٥٩. وأخبر سبحانه وتعالى – إن أول كلمة نطق بها المسيح وهو في المهد، هي الإقرار بعبوديته لله – قال تعالى ﴿ **فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً. قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً** ﴾٩مريم /٢٩-٣١

وإذا كان القرآن الكريم قد ناقش الثالوث النصراني فلقد ناقش أيضاً الثالوث بكل صورة وتصوراته. وإذا كان القرآن الكريم قد ناقش النبوة اللاهوتية النصرانية فلقد ناقش أيضاً النبوة الوثنية في كل أطوارها وتطوراتها فهو يقول عن الوثنيين العرب وعن غيرهم من الوثنيين:

﴿**وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم**﴾ الأنعام /١٠٠ ﴿ **افأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً. إنكم لتقولون قولاً عظيماً** ﴾ الإسراء/٤٠ ﴿ **فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون. أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون. ألا أنهم من إفكهم ليقولون. ولد الله وإنهم لكاذبون. أصطفى البنات على البنين. ما لكم كيف تحكمون. أفلا تذكرون. أم لكم سلطان مبين. فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون. سبحان الله عما يصفون** ﴾ الصافات/١٤٩-١٥٩.

﴿ **يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى الله**

وكيلاً. لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾ النساء /١٧١-١٧٢ ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** ﴾ التوبة/٣٠-٣١. وقوله تعالى ﴿ **يضاهئون قول الذين كفروا من قبل** ﴾ إشارة بليغة معجزة إلى قصة الوثنيات القديمة الممتدة عبر العصور والدهور.

ونستطيع أن نفهم من آيات القرآن المتعلقة بالمسيح عيسى وأمه مريم النقاط الأساسية التالية :

١- المسيحية الصحيحة دين توحيد مطلق، وهي تعترف أن الله وحده هو الإله الخالق المقتدر. وعيسى كان يدعو إلى التوحيد وهو عبد الله ورسوله، ودعوته للتوحيد هي السمة العامة للأديان السماوية كلها.

٢- عيسى رسول الله إلى بني إسرائيل خاصة.

٣- عيسى دعا للصلة المباشرة بين الله والناس وتكلم عن ملكوت الله المفتوح لجميع الصالحين.

٤- إنجيل عيسى الأصلي قريب الصلة بالقرآن، وأن اختفاء هذا الإنجيل مهد للتحريف في تعاليم الدين المسيحي.

٥- عيسى بشر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

٦- عيسى هو ابن لواحدة من النساء هي مريم وبالتالي كان إنساناً.

٧- مريم أم عيسى كانت امرأة شريفة فاضلة اصطفاها الله وكرمها وفضلها على نساء العالمين في وقتها.

٨- عيسى كان كلمة الله وروحاً منه، بشراً كامل البشرية وهو المسيح الذي كان ينتظره اليهود.

٩- حقق الله على يد عيسى المعجزات منذ بدء ولادته التي تمت بمعجزة دون اتصال ذكر بأنثى وأنه كان مؤيداً بروح القدس وكان يأتي معجزاته دائماً بإذن الله.

١٠- الله سبحانه وتعالى أنزل على عيسى الإنجيل مكملاً للتوراة التي نزلت على موسى.

١١- عيسى أحيا الموتى بإذن الله وأبرئ الأعمى والأكمه والأبرص بإذن الله إلى غير ذلك من المعجزات.

١٢- عيسى لم يصلب و لم يقتل بل رفعه الله إليه. وبالتالي لم يكن وجوده تكفيراً عن خطايا الإنسان حيث أن المبدأ في أعمال البشر في الحياة الدنيا هو ﴿ **ألا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾

الفصل السابع

التوحيد في الإسلام

التوحيد هو الخاصية الأساسية التي يتميز بها دين الإسلام الخاتم، وهو بذلك يكمل الحلقة الأخيرة في سلسلة الأديان السماوية التي أنزلها الله للإنسان في الأرض.

كما أن الصفة الأساسية التي يتصف بها الإله المعبود في دين الإسلام الخاتم هي الأحدية. فالله واحد لا ثاني له، وأحد لا شريك له، وهو خالق هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه، وهو ملكه الذي يملكه بلا شريك، ويتصرف فيه بلا معين، وهو فعال لما يريد، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. والإله المعبود في دين الإسلام الخاتم هو خالق الإنسان وواهب الروح له التي بها يحيا ويفكر من خلال قدراته العقلية المتميزة.

ومقامات التوحيد أربعة:

توحيد الله لله، وتوحيد الملائكة والروح لله، وتوحيد العلماء لله، وتوحيد العامة لله ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ آل عمران/١٨:١٩ وقد جاء القرآن بكم كبير من الآيات التي تناولت أمور الاعتقاد ليثبت المؤمنين على العقيدة الحقة التي تملأ القلوب، وتريح العقول، وتقيم اتصالاً مباشراً بالله سبحانه وتعالى دون وساطة كهنوتية.

والقرآن بذلك يهدي العقول ويشبع تطلعها إلى المعرفة بالإله الواحد الذي دعا إليه النبي الخاتم، وكان أساس العقيدة الجديدة التي أتى بها الله يتمثل في التوحيد الخالص من كل شرك ظاهر أو خفي، حتى تتجه قلوب المؤمنين بالإسلام في بداية

الدعوة إلى ربها يضفي عليها قوة من قوته، وعوناً من عونه، يهيئ هؤلاء المؤمنين لتحمل الشدائد والمصاعب التي ابتلوا بها في بدايات الدعوة إلى الدين الخاتم.

وكانت كلمات الشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله تعني شهود المؤمن بحقيقة الإله الواحد الذي لا شريك له، شهوداً في النفس وفي آفاق الكون من ناحية، ثم شهود تطابق الحق القرآني مع الخلق في النفس وآفاق الكون ومجتمع الإنسان من ناحية أخرى، كان هذا الشهود هو شرط الدخول في الدين الإسلامي والتحقق بمقام الإيمان بالإله الواحد.

ويقول المرحوم الأستاذ **سيد قطب** في تفسير سورة الفاتحة[1]:

"فإطلاق الربوبية في هذه السورة، وشمول هذه الربوبية للعالمين جميعاً، هي مفرق الطريق بين النظام والفوضى في العقيدة. لتتجه العوالم كلها إلى رب واحد، تقر له بالسيادة المطلقة، وتنفض عن كاهلها زحمة الأرباب المتفرقة، وعنت الحيرة كذلك بين شتى الأرباب.. ثم ليطمئن ضمير هذه العوالم إلى رعاية الله الدائمة وربوبيته القائمة. وإلى أن هذه الرعاية لا تنقطع أبداً، ولا تفتر ولا تغيب، لا كما كان أرقى تصور فلسفي لأرسطو مثلاً يقول بأن الله أوجد هذا الكون ثم لم يعد يهتم به، لأن الله أرقى من أن يفكر فيما هو دونه ! فهو لا يفكر إلا في ذاته ! وأرسطو– وهذا تصوره – هو أكبر الفلاسفة، وعقله هو أكبر العقول!

---

[1] في تفسيره (في ظلال القرآن)

لقد جاء الإسلام وفي العالم ركام من العقــائد والتصــورات والأســاطير والفلسفات والأوهام والأفكار.. يختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بــالزائف، والدين بالخرافة، والفلسفة بالأسطورة.. والضمير الإنساني تحت هــذا الركــام الهائل يتخبط في ظلمات وظنون، ولا يستقر منها على يقين.

وكان التيه الذي لا قرار فيها ولا يقين ولا نور، هو ذلك الــــذي يحيــط بتصور البشرية لإلهها، وصفاته وعلاقته بخلائقه، ونوع الصلة بين الله والإنســان على وجه الخصوص.

ولم يكن مستطاعاً أن يستقر الضمير البشري على قرار في أمر هذا الكـون، وفي أمر نفسه وفي منهج حياته، قبل أن يستقر على قرار في أمر عقيدته وتصـوره لإلهه وصفاته، وقبل أن ينتهي إلى يقين واضح مستقيم في وسط هذا العماء وهذا التيه وهذا الركام الثقيل.

ولا يدرك الإنسان ضرورة هذا الاستقرار حتى يطلع على ضخامـــة هـــذا الركام، وحتى يرود هذا التيه من العقائد والتصورات والأساطير والفلســـفات والأوهام والأفكار التي جاء الإسلام فوجدها ترين على الضمير البشري، والـتي أشرنا إلى طرف منها – فيما تقدم – صغير. (وسيجيء في اســــتعراض ســور القرآن الكثير منها، مما عالجه القرآن علاجاً وافياً شاملاً كاملاً).

ومن ثم كانت عناية الإسلام الأولى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة، وتحديد التصور الذي يستقر عليه الضمير في أمر الله وصفاته، وعلاقته بالخلائق، وعلاقة الخلائق به على وجه القطع واليقين.

ومن ثم كان التوحيد الكامل الخالص المجرد الشامل، الذي لا تشوبه شائبة من قريب ولا من بعيد..هو قاعدة التصور التي جاء بها الإسلام، وظل يجلوهـا في الضمير، ويتتبع فيه كل هاجسه وكل شائبة حول حقيقة التوحيد، حتى يخلصها من كل غبش. ويدعها مكينة راكزة لا يتطرق إليها وهم في صورة من الصور.. كذلك قال الإسلام كلمة الفصل بمثل هذا الوضوح في صفات الله وبخاصة ما يتعلق منها بالربوبية المطلقة.

فقد كان معظم الركام في ذلك التيه الذي تخبط فيه الفلسفات والعقائد كما تخبط فيه الأوهام والأساطير.. مما يتعلق بهذا الأمر الخطير، العظيم الأثر في الضمير الإنساني، وفي السلوك البشري سواء.

والذي يراجع الجهد المتطاول الذي بذله الإسلام لتقرير كلمة الفصل في ذات الله وصفاته وعلاقته بمخلوقاته، هذا الجهد الذي تمثله النصوص القرآنية الكثيرة.. الذي يراجع هذا العهد المتطاول دون أن يراجع ذلك الركام الثقيل في ذلك التيه الشامل الذي كانت البشرية كلها تهيم فيه. قد لا يدرك مدى الحاجة إلى كل هذا البيان المؤكد المكرر، وإلى كل هذا التدقيق الذي يتتبع كل مسالك الضمير..، ولكن مراجعة ذلك الركام تكشف عن ضرورة ذلك الجهد المتطاول، كما تكشف عن مدى عظمة الدور الذي قامت به هذه العقيدة – وتقوم في

تحرير الضمير البشري وإعتاقه، وإطلاقه من عناء التخبط بين شتى الأرباب وشتى الأوهام والأساطير!

وإن جمال هذه العقيدة وكمالها وتناسقها وبساطة الحقيقة الكبرى التي تمثلها.. كل هذا لا يتجلى للقلب والعقل كما يتجلى من مراجعة ركام الجاهلية من العقائد والتصورات، والأساطير والفلسفات ! وبخاصة موضوع الحقيقة الإلهية وعلاقتها بالعالم.. عندئذ تبدو العقيدة الإسلامية رحمة. رحمة حقيقة للقلب والعقل، رحمة بما فيها من جمال وبساطة، ووضوح وتناسق، وقرب وأنس، وتجاوب مع الفطرة مباشر عميق" انتهى.

كما جاء الإسلام ليصحح العقائد المنحرفة عن التوحيد الخالص، وليضع حداً للتصورات والأقوال غير العلمية عن الله سبحانه وتعالى. وأول ما أرساه هو توحيد الله في الاعتقاد وفي العبادة وفي التشريع والمعاملات وفي الأخلاق. وكانت عقيدة البشر في الإله قد مرت عبر مراحل كثيرة في تاريخ الإنسان واتسمت في مجملها بالسحر والخرافة والأساطير والتعددية والخيال كما نعرف من تاريخ الاعتقاد البشري للمجتمعات المختلفة فيما يتصل بإلهها المعبود. ثم جاء القرآن ليقرر أن الله المعبود الحق إله واحد لا شريك له، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد، ووضع أساساً جديداً مبني على المعرفة والعلوم، يجرد فيه الإله من صفات التجسيد أو الاتحاد أو الحلول أو التشبيه أو الخيال أو الشرك... وقرب مفهوم الإله إلى الفكر الإنساني مع تنزيه ذاته، بما أضفى عليه من أسماء حسنى عدد منها القرآن تسعا وتسعين اسماً، حتى يكون مفهوم الله محيطاً بالإنسان في فكره وفي نفسه وفي شعوره وفي سلوكه الفردي والاجتماعي، إحاطة تجعل من الله رقيباً على معتقدات

وأعمال كل فرد من الإنسانية أين كان وكيف كان في هذا الكون الفسيح الممتد.
وربط القرآن بين عقل الإنسان وروحه وبين الكون المحيط به من خارجه والكون الممتد بداخله، أي في النفس وفي الآفاق، ليلحظ ويتأمل ويعقل ويفكر ويتدبر ويتذكر ويفقه ويعلم ويشهد آيات الله المعجزة في الكونيين، بما يزيد من ارتباطه بالله ويقوي إيمانه به وخوفه منه ورجاءه فيه وحبه له، متحققاً بالأمل في رحمته بما يحقق الاستقامة البشرية في السلوك من خلال مراقبة الله الذي يعلم السر والعلن، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم، والذي يكون حاضراً شاهد مطلعاً على أمور الإنسان - منفرداً أو في الأسرة أو في الجماعة ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** ﴾ البقرة/١٦٣:١٦٤

ويقول المرحوم الأستاذ **سيد قطب** في تفسير الآيتين السابقتين[١]:

" إن وحدة الألوهية هي القاعدة الكبيرة التي يقوم عليها التصور الإيماني، فلم يكن هناك جدل حول الاعتقاد بوجود إله - تختلف التصورات حول ذاته وحول صفاته وحول علاقاته بالخلق ولكنها لا تنفي وجوده - ولم يقع أن نسيت الفطرة هذه الحقيقة، حقيقة وجود إله، إلا في هذه الأيام الأخيرة حين نبتت نابتة منقطعة عن أصل الحياة، منقطعة عن أصل الفطرة، تنكر وجود الله. وهي نابتة شاذة لا جذور لها في أصل هذا الوجود، ومن ثم فمصيرها حتماً إلى الفناء

[١] في تفسيره "في ظلال القرآن"

والاندثار في هذا الوجود. هذا الوجود الذي لا يطيق تكوينه، ولا تطيق فطرته بقاء هذا الصنف من الخلائق المقطوعة الجذور!

لذلك اتجه السياق القرآني دائماً إلى الحديث عن وحدة الألوهية، بوصفها التصحيح الضروري للتصور، والقاعدة الأساسية لإقامة هذا التصور.. ثم لإقامة سائر القواعد الأخلاقية والنظم الاجتماعية، المنبثقة من هذا التصور. تصور وحدة الألوهية في هذا الوجود:

﴿ وإلهكم إله واحد ﴾. ﴿ لا إله إلا هو ﴾. ﴿ الرحمن الرحيم ﴾.

ومن وحدانية الألوهية التي يؤكدها هذا التأكيد، بشتى أساليب التوكيد، يتوحد المعبود الذي يتجه إله الخلق بالعبودية والطاعة، وتتوحد الجهة التي يتلقى منها الخلق قواعد الأخلاق والسلوك، ويتوحد المصدر الذي يتلقى منه الخلق أصول الشرائع والقوانين، ويتوحد المنهج الذي يصرف حياة الخلق في كل طريق.

وهنا السياق يستهدف إعداد الأمة المسلمة لدورها العظيم في الأرض يعيد ذكر هذه الحقيقة التي تكرر ذكرها مرات ومرات في القرآن المكي، والتي ظل القرآن يعمق جذورها ويمد في آفاقها حتى تشمل كل جوانب الحس والعقل، وكل جوانب الحياة والوجود.. يعيد ذكر هذه الحقيقة ليقيم على أساسها سائر التشريعات والتكاليف.. ثم يذكر من صفات الله هنا: "الرحمن الرحيم"..فمن رحمته السابغة العميقة الدائمة تنبثق كل التشريعات والتكاليف.

وهذا الكون كله شاهد بالوحدانية وبالرحمة في كل مجاليه :

﴿ إن في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل النهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السموات من ماء

فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾..

وهذه الطريقة في تنبيه الحواس والمشاعر جديرة بأن تفتح العين والقلب على عجائب هذا الكون [illegible] الأليفة بجدتها وغرابتها وإيحائها للقلب والنفس، وهي دعوة للإنسان أن يرتاد هذا الكون كالذي يراه أول مرة مفتوح العين، متوفز الحس، حي القلب، وكم في هذه المشاهد المكرورة من عجيب وكم فيها من غريب، وكم اختلجت العيون والقلوب وهي تطلع عليها أول مرة، ثم ألفتها ففقدت هزة المفاجأة، ودهشة المباغتة، وروعة النظرة الأولى إلى هذا المهرجان العجيب.

تلك السموات والأرض..هذه الأبعاد الهائلة والأجرام الضخمة والآفاق المسحورة، والعوالم المجهولة..هذا التناسق في مواقعها وجريانها في ذلك الفضاء الهائل الذي يدير الرؤوس.. هذه الأسرار التي توسوس للنفس وتلتف في رداء المجهول.. هذه السموات والأرض حتى دون أن يعرف الإنسان شيئاً عن حقيقة أبعادها وأحجامها وأسرارها التي يكشف الله للبشر عن بعضها حينما تنمو مداركهم وتسعفهم أبحاث العلوم..

واختلاف الليل والنهار.. تعاقب النور والظلام.. توالي الإشراق والعتمة. ذلك الفجر وذلك الغروب.. كم اهتزت لها مشاعر، وكم وجفت لها قلوب، وكم كانت أعجوبة الأعاجيب.. ثم فقد الإنسان وهلتها وروعتها مع التكرار. إلا القلب المؤمن الذي تتجدد في حسه هذه المشاهد، ويظل أبداً يذكر يد الله فيها فيتلقاها في كل مرة بروعة الخلق الجديد.

والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس.. وأشهد ما أحسست ما في هذه اللفتة من عمق قدر ما أحسست ونقطة صغيرة في خضم المحيط تحملنا وتجري بنا، والموج المتلاطم والزرقة المطلقة من حولنا. والفلك سابحة متناثرة هنا وهناك. ولا شئ إلا قدرة الله، وإلا رعاية الله، وإلا قانون الكون الذي جعله الله، يحمل تلك النقطة الصغيرة على ثبج الأمواج وخضمها الرهيب!

وما أنزل الله من السماء من ماء، فأحيا به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض.. وكلها مشاهد لو أعاد الإنسان تأملها - كما يوحي القرآن للقلب المؤمن - بعين مفتوحة وقلب واع، لارتجف كيانه من عظمة القدرة ورحمتها.. تلك الحياة التي تنبعث من الأرض حينما يجودها الماء.. هذا الحياة المجهولة الكنه، اللطيفة الجوهر، التي تدب في لطف، ثم تتبدى جاهرة معلنة قوية.. هذه الحياة من أين جاءت؟ كانت كامنة في الحبة والنواة ! ولكن من أين جاءت إلى الحبة والنواة؟ أصلها؟ مصدرها الأول؟ إنه لا يجدي الهرب من مواجهة هذا السؤال الذي يلح على الفطرة.. لقد حاول الملحدون تجاهل هذا السؤال الذي لا جواب عليه إلا وجود خالق قادر على إعطاء الحياة للموات.

وحاولوا طويلاً أن يوهموا الناس أنهم في طريقهم إلى إنشاء الحياة - بلا حاجة إلى إله ! - ثم أخيراً إذا هم في أرض الإلحاد الجاحد الكافر ينتهون إلى نفض أيديهم والإقرار بما يكرهون: استحالة خلق الحياة! وأعلم علماء روسيا الكافرة في موضوع الحياة هو الذي يقول هذا الآن ! ومن قبل راغ دارون صاحب نظرية النشوء والارتقاء من مواجهة هذا السؤال !

ثم تلك الرياح المتحولة من وجهة إلى وجهة، وذلك السحاب المحمول على هواء، المسخر بين السماء والأرض، الخاضع للناموس الذي أودعه الخالق هذا

الوجود. إنه لا يكفي أن تقول نظرية ما تقوله عن أسباب هبوب الريح، وعن طريقة تكون السحاب.. إن السر الأعمق هو سر هذه الأسباب.. سر خلقة الكون بهذه الطبيعة وبهذه النسب وبهذه الأوضاع، التي تسمح بنشأة الحياة ونموها وتوفير الأسباب الملائمة لها من رياح وسحاب ومطر وتربة.. سر هذه الموافقات التي يعد المعروف منها بالآلاف، والتي لو اختلت واحدة منها ما نشأت الحياة أو ما سارت هذه السيرة.. سر التدبير الدقيق الذي يشي بالقصد والاختيار، كما يشي بوحدة التصميم ورحمة التدبير..

إن في ذلك ﴿ لآيات لقوم يعقلون ﴾..

نعم لو ألقى الإنسان عن عقله بلادة الألفة والغفلة، فاستقبل مشاهد الكون بحس متجدد، ونظرة مستطلعة، وقلب نوره الإيمان. ولو سار في هذا الكون كالرائد الذي يهبط إليه أول مرة. تلفت عينه كل ومضة، وتلفت سمعه كل نأمة، وتلفت حسه كل حركة، وتهز كيانه تلك الأعاجيب التي ما تني تتوالى على الأبصار والقلوب والمشاعر.. إن هذا هو ما يصنعه الإيمان. هذا التفتح. هذه الحساسية، هذا التقدير للمال والتناسق والكمال.. عن الإيمان رؤية جديدة للكون، وإدراك جديد للجمال، وحياة على الأرض في مهرجان من صنع الله، آناء الليل وأطراف النهار..

ومع هذا فإن هناك من لا ينظر ولا يتعقل، فيحيد عن التوحيد الذي يوحي به تصميم الوجود، والنظر في وحدة الناموس الكوني العجيب " انتهى.

ولكي تتضح حقائق التوحيد التي يتصف بها الإله المعبود في دين الإسلام الخاتم، نعرض بإيجاز مفهوم الإله قبل القرآن ثم نتحدث بشيء من التفصيل عن مفهوم الإله في الإسلام أي في القرآن.

ويذهب الدكتور محمد بيصار[1] إلى أن الناس يختلفون في حقيقة تصورهم للإله فمنهم من يصوره تصويراً مادياً كالمجوسية والبوذية وما إلى ذلك من ديانات وثنية، ومنهم من يبالغ في تتريهه فيجرده كلية عن أي وصف يليق به.

ومنهم من يصوره التصوير اللائق بجلال الذات الأقدس من الكمال المطلق والمغايرة المطلقة لكل موجود في عالمنا المادي الحادث المتغير وهي الديانات السماوية الحقة كاليهودية كما أوحي بها إلى موسى، والمسيحية كما أوحي بها إلى عيسى، والإسلام كما أوحي به إلى محمد ﷺ، وأسس هذه الأديان الثلاثة كما أوحي بها موسى وعيسى ومحمد وكما صورها القرآن الكريم تقوم على فكرة واحدة هي الإيمان بوجود الله الحق وبوحدانيته وإفراده بأحقية العبادة واتصافه بكل صفات الكمال، ثم بجانب ذلك كله الإيمان برسالة ﷺ وبأحقية القرآن وبملائكة الله وكتبه ورسله وباليوم الآخر، وما يستلزمه من إيمان بالحقائق الشرعية كالجنة والنار والثواب والعقاب الأخرويين.

وما قد يبدو من اختلاف ظاهر بين هذه الأديان الثلاثة ليس في الواقع اختلافاً في جوهرها ولا فيما صح من عقائدها الأصلية، وإنما جاء الاختلاف في أمور ثلاثة :

الأول: في طرق العبادة نظراً لاختلاف الناس وطرق رياضتهم وتعليمهم باختلاف استعداداتهم وظروف بيئتهم في مختلف العصور والأزمان.

الثاني: اختلاف في التأويل والتفسير، نظراً لأن اتباع كل كتاب سماوي يفسرون كتابهم على ضوء تصورات خاصة، ومن زوايا مختلفة، ولأغراض متباينة.

---

[1] الأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف، في كتابه "العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع "

الثالث : اختلاف في الزيادة والنقص، لأن كل دين لاحق كما أشرنا إليه سابقاً إنما جاء مكملاً أو موضحاً لدين سابق، وأوضح مثل لذلك بعض ما زاده الإسلام على تعاليم الأديان السابقة مما يحتاج إليه الناس في حياتهم اليومية وفي روابطهم الشخصية ومعاملاتهم بعضهم لبعض، فردية كانت هذه المعاملة أو جماعية، كبيان نظم البيع والشراء والإيجار في العقارات والمنافع. ونظم الرهن والقرض والإعارة والهبة والشركات التجارية والبيوت والمؤسسات المالية، ونظام التعاقد الذي يكفل حق كل من المتعاقدين في أمر مما تقدم، وغير ذلك من ضروب المعاملات التي بينت في قانون الإسلام أوضح بيان، وفصلت فهي أكمل تفصيل وعلى وجه لم يسبق له مثيل في تاريخ الأديان.

والقرآن الكريم يتخذ للكشف عن حقيقة الذات الأقدس موقفاً وسطاً بين التجسيد الكلي والتجريد المطلق.

إلا أن هذه الوسطية ليست وسطية رياضية، بمعنى أنه يأخذ من كل من الطرفين بنصيب. وإنما يرفض القرآن فكرة المشبهة والمجسمة كلية. ثم لا يوافق كذلك المجردين في مبالغتهم إلى حد إنكار إضافة أي اعتبار من الاعتبارات إلا ذاته جل وعلا، فمثل هذا الموجود المجرد تجريداً كلياً، لا يستحق من صفة الوجود أكثر مما يستحق من صفة العدم.

وإنما أضفى القرآن على حقيقة الذات الأقدس من الصفات، وأضاف إليها من النعوت ما يميزها عن سائر أنواع الموجودات، ويجعلها في متناول الإدراكات الإنسانية وفي دائرة ما يعرف بالعقل والوجدان. بل ويجعلها أجلى ما يعرف

وأسمى وأجل ما يعلم لذوي الفطر السليمة والعقول المستقيمة والوجدانيات الراقية.

وقد وصفه القرآن بما يليق بكماله من صفات. وصفه بأنه واحد. وبأنه موجود وبأنه حي، وبأنه قادر وعالم ومريد سميع وبصير ومتكلم، وباق مما هو في الواقع ضروري لكمال ذاته الأقدس ولازم من لوازم وجوده الأسمى.

وربما كانت هذه كلها بمفاهيمها المختلفة وأسمائها المتغايرة - كما رآه بعض فلاسفة الإسلام - هي عين وجوده وحقيقة ذاته.

وبهذا ميز القرآن الكريم المعنى الحقيقي للفظ الجلالة (الله) وحدده للناظرين.

ويشير القرآن الكريم في سورة (الإخلاص) إلى جانب التتريه بقوله :

﴿ قل هو الله أحد ﴾

فهذه الأحدية تقتضي التفرد والتتريه عن المشابهة والمماثلة للحوادث. كما يشير إلي جانب الكمال والتأثير:

﴿ الله الصمد ﴾

وهو المقصود للناس جميعاً. فهذه الصمدية تقتضي اتصافه عز وجل بكل صفات التأثير التي هي صفات الكمال كما مرت الإشارة إليه.

وأول ما يواجهنا عند ما نقرر هذه الحقيقة (الله حق) سؤالان.

الأول: ما هي الصورة الحاصلة في أذهاننا لمدلول كلمة (الله)، أو ما هو المعنى الحقيقي لهذه الكلمة المتعلق بإدراكنا له، ومدى ما لهذا الإدراك من وضوح ويقين وثبات.

الثاني: كيف نثبت للمنكرين الجاحدين لفكر الألوهية، بل لفكرة التدين بمختلف الطرق والأدلة وجود هذا المدرك وتحققه في الخارج؟

أما عن السؤال الأول : فإن ما ندركه من كلمة (الله) ليس إلا الموجود الأسمى المتفرد بكل صفات الكمال، الحائز لكل معاني العزة والجلال، المهيمن على كل ما سواه ومن عداه، إليه تستند وجودات الأشياء، ومنه تنبثق ما فيها من قوة وحياة، وعنه وبإرادته تصدر كل ما فيها من حركات وكل ما يلحقها من تغيرات - إننا ندرك من هذه الكلمة "الله " الموجود القاهر للخلق جميعاً بما له من مطلق القدرة، القابض على قواها جميعا بماله من مطلق الأمر والنهي، الموجه لإرادها بما له من مطلق الإرادة.

والفطرة البشرية السليمة يتضح لها هذا الإدراك وينكشف انكشافاً تاماً لا تشوبه شائبة، ولا يدانيه ريبة أو شك، ويتجلى لها هذا المعنى من الوجود الأكمل في نفس الإنسان، وفي كل ما يحيط به من مخلوقات، وما يجري في العالم من أحداث وتغيرات، ومتى حصل لنا الإدراك الواضح لهذا الموجود الأقدس استحق منا قطعاً أن نفرده بالعبودية، وأن يكون وحده المقصد الأسمى لنا ولغيرنا ممن امتن عليهم بإدراك ذاته الأقدس وجبروته الأعلى. ولا يعنينا بعد ذلك ما يطلق على هذا الموجود من مختلف الأسماء التي يدل بها عليه في لغة واحدة أو في لغات مختلفة. مادام المراد صحيحاً والمدلول مطابقاً لما دل عليه ذاته جل وعلا من التتره المجرد، والكمال المطلق.

هذا القدر من الإيمان بالله والتصديق به جل وعلا هو ما كلفنا به الشارع الحكيم، بل وهانا عن أن نتجاوزه ونتعداه، وإلا عرضنا أنفسنا للهلاك، وقلوبنا للغوالة، وعقولنا لمتاهات التعثر والضلال.

وعلى هذا الفهم لحقيقة الذات الأقدس، وعلى هذا الإيمان بمعنى الألوهية سار السلف الصالحون والتابعون تابعوهم إذعاناً لقوله تعالى:

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾

وكثيراً ما نهاهم الرسول عن أن يتجاوزوا بعقولهم حواجز طاقاتها، وعن أن يداخلهم غرور الإنسان وجهله بمركزه في هذا الوجود وبطاقاته المحدودة فيحاولوا الغوص في ذات الله بغية معرفة كنهه ودرك حقيقته، من ذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

﴿ ليسألنكم الناس عن كل شئ حتى يقولوا : الله خلق كل شئ فمن خلق الله؟ ﴾.

وكذلك ما روي عنه ﷺ أنه قال :

﴿ يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته ﴾.

ولم يكتف الرسول بمجرد النهي والتحذير من ذلك. وإنما هدد المتورطين فيه بالهلاك وسوء المصير فقال :

﴿ تفكروا في مصنوعات الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا ﴾.

توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية :

يحدثنا الأستاذ **عبد الرحمن الميداني**[1] عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فيقول:

" إننا حينما نمعن الفكر في هذا الكون، ونلاحظ وحدة نظامه من أبعد كوكب فيه عنا إلى أصغر ذرة من ذراته، ونلاحظ تسياره المحكم البديع دون خلل أو اضطراب، أو فساد في أرضه وسمائه، في حركة نجومه وكواكبه، في وحدة نظام مجراته، في كل جامد أو متحرك، في كل نام أو ذي حياة، في ترابط بعضه ببعضه ترابطاً تاماً، مع أن كل جزء فيه يعمل في نطاقه ومجاله، دون أن يكون عمله هذا سبباً في فساد عمل أي جزء آخر من الأجزاء التي لا حصر لها في هذا الكون الكبير. فدراسة ظواهر الكون دلّت على أن هذا الكون خاضع لقوانين واحدة، وأنه سائر ضمن خطط من الخلق لا تفاوت فيها. إن القوانين السائدة في الأرض هي القوانين السائدة في السماء، ثم إن الأرض وما فيها جزء مرتبط مع سائر ما في الكون، فهي خاضعة لنظام شامل، مسيطر على الكون كله.

وهذا يدل على أن الخالق المهيمن على الكون كله واحد، ولو أنه كان متعدداً لتباينت قوانين الكون ولتعارضت، ولانتهى الأمر بها إلى التصادم والفساد في الكون..

لذلك نعلم جازمين أن المهيمن على الكون كله، والمنظم له والموجه لكل جزء فيه، واحدٌ لا يشركه في أمره شريك. وهذا المعنى هو ما نسميه **"بصفة الوحدانية"**

---

[1] في كتابه "العقيدة الإسلامية وأسسها"

أو " **توحيد الربوبية** "، أي : أن الله واحد لا شريك له في الخلق والأمر والتدبير والملك، وغير ذلك من الصفات التي يدل عليها اسم الرب.

وقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم بأنه واحد في ربوبيته لا شريك له، فقال تعالى :

﴿ قل هو الله أحد ﴾

وقال تعالى - يعلم ورسوله أن يقول للمشركين - في سورة (ص):

﴿ قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار. رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ﴾

كما أقام سبحانه وتعالى الدليل العقلي على وحدانيته في ربوبيته ، فقال تعالى في سورة (الأنبياء):

﴿ أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون. لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحن الله رب العرش عما يصفون ﴾.

وفي هذا النص دليل على نفى الآلهة المشاركة في الكون الواحد.

وقال تعالى في سورة (الإسراء):

﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً. سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴾

وقال تعالى في سورة (المؤمنون):

﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحن الله عما يصفون ﴾

وفي هذا النص دليل على نفي الآلهة المتعددة في أكوان متعددة.

ومضمون الدليل في الآية الأولى (آية الأنبياء) - بعدما قررت الآية السابقة لها فكرة اتخاذ المشركين لآلهة من الأرض ينسبون إليهم إحياء الأموات **﴿ هم ينشرون ﴾** -: أنه لو تعددت الآلة في الكون لفسد نظام السموات والأرض،

ولاختل تماسكهما القائم على وحدة نظام، ووحدة تسيير، وهـذا مـن الأمـور البديهية المشاهدة. لأن الإرادات الحرة إذا توجهت على مخلوق واحـد فلابـد أن تتعارض، ومتى تعارضت تنازعت، ومتى تنازعت فسد نظام المخلوق، والكون كلـه مخلوق مترابط بوحدة نظام وتسيير - كما هو مشاهد-، فلو كان آلهة أرباب غـير الله لفسد نظامه، واختل وجوده وبقاؤه. وقد تضمنت هذه الآية في استدلالها برهاناً قاطعاً على نفي فكرة تعدد الآلهة الأرباب، وهذا البرهان الذي أوردته هو ما يسمى عند علماء التوحيد: (برهان التمانع). وبهذا يثبت لدينا عقلياً: أن الرب الخـالق - المنعم الرازق، المحي المميت، الذي بيده الخلق والأمر، والنفع والضر، والخير والشـر، وهو الذي يبتلي ثم يحاسب ثم يجازي - واحد لا شريك له.

ومضمون الدليل في الآية الثانية (آية الإسراء) : أنه لو كان مع الله آلهة تحكـم وتتصرف، وتحي وتميت، وترزق وتشفي، ومن أجل ذلك تستحق أن تعبد - كمـا يقول المشركون - للزم أن تتخذ هذه الآلهة سبيلاً لمنافسة ومنازعة ومقاتلـة إلـه العرش ، الذي يعترفون به رباً خالقاً، ولا ينكرون وجـوده وقدرتـه، ولكنـهم يشركون معه آلهة أخرى، لأن الربوبية المتضمنة لكمال التصرف وكمال القدرة، لا تقبل الخضوع والاستسلام لربوبية فوقها.

أما وإنها لم تتخذ هذا السبيل لإله العرش، ورضيت بضعفها وإلهيتها المزعومـة في نطاق الأرض، فإن ضعفها هذا من أكبر الأدلة علـى أنهـا مخلوقـة كسـائر المخلوقات، وقد انتحلت لها الإلهية انتحالاً باطلاً ، لا يصاحبه دليل تقبله العقول.

لذا : فالله متره عن الشركاء، له الإلهية وحده، وله الربوبية وحده، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ومضمون الدليل في الآية الثالثة (آية المؤمنين) : أنه لو كان مع الله إله خالق آخر، لكان من أبسط النتائج البديهية أن يجمع كل إله خالق ومخلوقاته، ويذهب بها، متصرفاً مستقلاً. ثم لَعَلا بعض الآلهة المتعددة على بعض - بمقتضى سيادة الألوهية واستقلالها - وأن كل واحد لا بد أن ينفذ مراداته ولو تعارضت مع إرادة غيره. ومن ذلك ينشأ التنازع، ثم غلبة الأقوى على الأضعف، ومن ثم يقال: الأضعف لا يصلح لأن يكون رباً، فليس هو بإله. ولكنّ كلّ ذلك غير واقع لأن الله واحد لا شريك له، وسبحان الله عمَّا يصفون.

وقد استخدم القرآن أيضاً بيانات خطابية غير برهانية للتنفير من الشرك، أوضح فيها أن عقيدة التوحيد أكرم للإنسان وأصلح له من عقيدة الشرك. ومن هذه البيانات الخطابية قول الله تعالى في سورة (الزمر):

﴿ ضرب الله مثلا رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾

متشاكسون: متعارضون لا يتفقون. سلماً لرجل: خالصاً له لا يشاركه فيه أحد.

أي: إن عقيدة التوحيد تجعل الإنسان عبداً لإله واحد فقط، أمَّا عقيدة الشرك بالله فتجعله عبداً لآلهة متعدّدة متشاكسَة، وأيهما أكرم للإنسان: أن يكون عبداً لواحد فقط، أو عبداً لمتعددين؟!

إذا قسنا هذا بالأمثلة الإنسانية، وجدنا أنّ العبد الرقيق من الناس يفضـــل أن يكون ملكاً لرجل واحد، لا ملكاً لرجال متعدّدين متشاكسـين لا يتفقـون، لأنّ عبوديته للواحد أحبّ لنفسه وأكرم لها. فكيف يختار هـؤلاء لأنفسـهم عقيـدة الشرك، مع أنّ عقيدة التوحيد هي الأكرم لهم، وهي العقيدة الحقة الـتي تدعمـها الأدلة البرهانية؟

وبأسلوب البيان الخطابي النفسي هذا - مع البيانات البرهانية السابقة -تمّـت محاصرة الإنسان المتجه للشك محاصرةً تامّة، فكريّاً ونفسيّاً، وبهذا الحصار تنقطـع جميع أعذار المشركين.

ثمّ إنّ كون الله وحده هو الربّ الخالق المدبّر للأمر كلّه، ولا شـريك لـه في ربوبيته، يستلزم عقلياً أن يكون هو وحده المستحق للعبادة، فلا يصـحّ أن يعبـد غيره، وكلّ عباده لغيره شرك به، وإفراد الله وحده بالعبادة دون سواه، هو ما يطلق عليه عبارة: (**توحيد الألوهية**). وبهذا يتمّ الربط بين توحيد الربوبيـة، وتوحيـد الألوهية، ويشملهما جميعا لفظ: (**الوحدانية**)

وصفة الوحدانية هذه: من صفات الله التي نادى بها جميع الأنبياء والمرسـلين دون استثناء، وهي من الصفات التي تتقبلها بديهة العقل عند من لفت إلى الحقيقـة الربانية أدنى نظر، وقد أعلنها جميع أصحاب الفلسفات المضيئة، وأقـاموا عليـها البراهين الواضحة، والحجج الدامغة. لذلك فإننا في عقيدتنا الإسلامية: نؤمن إيمانـاً عميقاً راسخاً بأن الله وحده، لا شريك له، بيده الخلق، وبيده الأمر، وهو على كل شئ قدير.

وحيث إنه تعالى واحد، وبيده النفع والضر، فنحن لا نعبد غيره، ولا نشرك بعبادته أحداً.

وبذلك نستجمع في عقيدتنا :

١- مبدأ توحيد الربوبية لله تعالى: فهو رب السموات والأرض، لم يشرك في خلقها وتربيتها ومدها بالبقاء شريك.

٢- ومبدأ توحيد الألوهية لله تعالى: فله تعالى الأمر والنهي، والحكم والقضاء، وهو الذي يستحق وحده العبادة، ولذا: فنحن نعبده وحده، ولا نشرك بعبادته أحداً. ومن توحيد الألوهية: عبادة الله وحده بما أمرنا أن نعبده به، على الشكل الذي أمرنا به، دون أن نخترع من عند أنفسنا عبادة لم يأذن بها. ومن توحيد الألوهية: أن نحكم شريعة الله لنا في كل أعمالنا الفردية والجماعية، لأن الله سبحانه له الخلق، ومن له الخلق فله الأمر، وعبادة الله تكون بطاعته فيما أمرنا به وفيما نهانا عنه، وكل حكم على خلاف حكم الله يمثل استنكافاً عن طاعته في ذلك الحكم ، فإذا كان ذلك طاعة لغير الله تعالى، فهو شرك بالله فيما هو من خصائص ألوهيته، وهو يمثل نقضاً جزئياً لتوحيد الألوهية، وإذا كان ذلك اتباعاً لهوى النفس، فهو لون من ألوان عبادة الهوى.

وأمام هذه الحقيقة من حقائق الألوهية التي نثبتها في عقيدتنا الإسلامية - وهي "أحدية الربوبية والألوهية" - تتضح نقطة خلاف كبرى بيننا وبين كثيرين من مثبتي الألوهية الضالين عن منهج الحق ، وتتحدد أمامنا طريق من طرق الافتراق بيننا وبينهم.

أما إثبات أصل الربوبية فهم شركاء معنا فيه، ولكنهم افترقوا عنا :

أ- إما بإثبات أرباب متعددين غير الله تعالى يتقاسمون الخلق والتكوين، بينما نحن نثبت أن الله وحده الخالق ولا خالق سواه.

ب- وإما بإثبات آلهة غير الله تعالى لهم نوع تصرف في أمور الكون، فهم بذلك يستحقون العبادة مع الله تعالى، بينما نحن نثبت أن الله وحده هو الإله الحق، المتصرف في كل شيء، ولا يستحق أحد سواه العبادة، مهما كان شأنه، ومهما ارتفعت مترلته.

فالمجوس مثلاً: يعتقدون بالرب الثنائي.

والنصارى: يجعلون الرب ثلاثياً، مركباً من ثلاثة أصول تجتمع وتفترق في صورة لا يمكن أن تهضمها العقول.

وبعض الناس من الوثنيين: يعتقدون بأرباب كثيرة جداً. وبعض الوثنيين الآخرين. يعتقدون بالآلهة المتصرفة التي تستحق العبادة مع الله تعالى، فيعبدونهم ليقربوهم من الله زلفى.

وكل هذه المعتقدات : معتقدات باطلة مردودة، لا يمكن التسليم بها إلا في حالة تعطيل العقول عن التفكير، وشد الإفهام بعصائب من التقليد الأعمى، أو تغشيتها بحجب كثيفة من الهوى الجامع، والغرض الجانح.

أما عقيدتنا: فلا إله إلا الله، ولا رب ولا خالق سواه، ولا يستحق العبادة أحد غيره.

ولما كانت هذه عقيدتنا التي لا محيد عنها : فإننا نكفر كل من أشرك بالله، فجعل معه إلها آخر، سواء كان من أهل الأوثان، أو ينتسب إلى أي دين من

الأديان السماوية، لأنه بعقيدته هذه قد خالف قطعاً أصول الدين الـــذي ينتســـب إليه، وناقض في اعتقاده الفاسد الباطل مبادئه المترلة الصحيحة.

ولّما كان الشرك في العبادة يستلزم في مضمونه عدم توحيد الربوبية، اقتضـــت حكمة تصحيح عقيدة المشركين الرجوع بهم إلى الأدلة التي تثبت وجود الله وتفرده بالربوبية، لتكون هذه العقيدة الصحيحة هي الأساس لتصحيح الفقرة الثانيـــة مـــن العقيدة الإسلامية، وهي فقرة توحيد الألوهية، أي: إفراد الله الخالق وحده بالعبادة، وإثبات أن أية عبادة لغيره شرك به جلّ وعلا، وكفر بحق إفراده بالعبوديـــة الـــذي يستلزم التشكك في تفرده بالربوبية وخصائصها في الخلق والرزق، والحياة والمـــوت والنفع والضر.

ويذهب الأستاذ **عبد الرحمن الميداني**[1] إلى استحالة التولد بكل معانيـــه كمـــا سبق بيانه وكما أوضح المفهوم الإسلامي القرآني، ويناقش معنى التولـــــد بمعانيـــه المختلفة فيقول:

أولاً: إننا نعرف من معاني التولد: التولدَ الذي نشاهده في المخلوقـات ذات الحياة، وهو: انفصال جزء خاص من الأصل، يأخذ عوامل صورة الأصل ليكون فرعاً مشابهاً له، ثم ينمو على حساب البيئة حـــتى يـــداني أصلـــه في صفاتـــه وخصائصه.

فالتولد بهذا المعني : صفة قامت في الأصل، على معني : أنه انقسم منه جزء يحمل أهم صفاته وأبرز خصائصه، كما أنه صفة قامت في الفرع، على معـــني : أنه جزء انفصل عن غيره، وهو يحمل أهم صفات ذلك الغير وأبرز خصائصـــه.

---

[1] المصدر السابق

هذا معني من معاني التولد نشاهد في المخلوقات ذات الحياة. كما نشاهد نظـيره تماما في المخلوقات النامية الأخرى، كالنباتات على اختلاف أنواعـها. وفكـرة التولد بين المخلوقات الحية، والمخلوقات النامية الأخرى متشابهة، ما عدا فـارق الحياة.

ثانيا: وأننا نعرف من معاني التولدَ :الذي ينشأ عن تفاعلات بـين عنـاصر كيميائية تم التقارب بينها، فيتولد عنه مركبات جديدة بكل خصائصها. بحيـث قد تنعدم صفات العناصر الأولى، أو تكمن، وتحدث صفات جديدة ظهرت مـن كمون واجتمعت، أو نشأت بسبب اجتماع هذه العناصر. والتولد الذي ينشـأ عن حركات فيزيائية تقتضيها حالة من حالات التغير الطـارئ علـى بعـض الموجودات، وقد تتحول فيها المادة إلى طاقة من الطاقات، أو تتكثـف الطاقـة فتعود مادة من المواد، وهذا المعنى للتولد : لا يكون إلا مصاحبـاً لحالـة مـن حالات التغير والتحول ، ويعود - في الحقيقة - إلى معنى الانقسام الجزئـي، أو تغير التركيب بشكل كلي.

هذا، وبعد أن ألقيت ضوءاً مناسباً على معنى التولـد، أدخـل في مناقشـة موضوع الألوهية، واستحالة التولد بالنسبة لها.

إن المفهوم الحق لمعنى الألوهية لا يمكن - على أية حال- أن يجتمع معه عقـلاً أي معنى من معاني التولد.

كيف يجتمع مفهوم الألوهية ومفهوم التولد في شئ واحد؟!

إن معنى الإله الحق : أنه الخالق الأول لكل شئ. والخالق الأول لكل شـئ : لابد أن يكون الوجود هو الأصل بالنسبة إليه ، ولا بد أن يكون وجودة ذاتيـاً، لم

يسبقه عدم و لم يكن قبله أي شئ ، ولا يمكن أن يطرأ عليه حدوث أو تغير، وذلك لأن التغير معنى من معاني الحدوث - كما سبق بيانه - وإذا كان كذلك فكيف يكون هذا الأصل في الوجود متولداً عن غيره ؟! ولو كان متولداً عن غيره لكان ذلك الغير هو الأصل، ولكان مسبوقاً بعدم، وإنما طرأ عليه الوجود بعد أن لم يكن. وكل ذلك يتنافى في العقل مع مفهوم الألوهية، وكل ذلك مما ترفضه بديهة العقلاء رفضاً باتاً. بيد أن الإيمان بالله - بما فيه من سمو، وحق وعلم يدعمه - يخاطب العقل والعقلاء، قبل أن يلامس العواطف والوجدانيات.

وكما أن الإله الحق يستحيل أن يكون متولداً عن غيره ، فكذلك يستحيل في العقل أن يتولد منه غيره، بأي معنى من معاني التولد الذي سبق إيضاحها. فالإله الحق لا يمكن أن يلد كما تلد المخلوقات الحية، فلا يكون أباً، ولا يكون أمّاً.

والإله الحق: لا يمكن أيضاً أن يتولد عنه أي شئ، على طريقة انفصال جزء منه، أو على طريقة التحول والتغير في الأصل.

والتولد، الذي يقوم على أساس الانفصال أو التغير، لا يكون إلا في المخلوقات الحادثة.

أما الإله الحق، الأول بلا بداءة، والآخر بلا نهاية : فهو واحد أحد، غير قابل للانقسام أو الانفصَال أو التغير، لأن قابلية الانقسام أو التغير تؤدي إلى انعدام وحدة الأصل وكيانها وتغير صفاتها، وهذا يستحيل عقلاً أن يكون في الإله الحق جل وعلا.

أما ما يصدر عن الله تعالى من أشياء : فإنما يصدر عنه بالخلق والأمر، وهما عملان من أعمال قدرته تعالى: ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾.

وأيضاً: فإنه لا يوجد - على أي تصور - وجه جامع يقارب بين من أصلـــه الوجود الذي لا أولية له، وبين من أصله العدم وهي الأكوان الحادثة ، حتى يتولـــد الثاني من الأول، للمنافاة التامة بينهما. وإنما الممكن عقلاً : هو أن يكون من أصلـه الوجود خالقاً لمن أصله العدم.

وبذلك يتلخص لدينا أن استحالة التولد بالنسبة للألوهية تعني معنيين :

المعنى الأول: أن الإله الحق يستحيل -عقلاً وواقعاً - أن يكون له أصل ولـــد منه، أو تولد عنه. فوجود ذاته سبحانه - متصفة بصفات الكمال كلها - هو الأصل في الوجود يستحيل أن يكون فرعاً عن شئ آخر.

المعنى الثاني: أن الإله الحق يستحيل أن يولد منه فرع أو يتولد عنه فرع -بــأي معنى من معاني التولد- لأن ذلك - كما سبق - لا يكون إلا في المخلوقات الحادثة، وبصفات لا يقبل عاقل أن تكون للإله الخالق.

وأمام هذا المبدأ يقف المسلمون معلنين : أن الإله لا يمكن أن يكون لـــه أب أو أم، أو ولد أو بنت، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. كما لا يمكن أن يكون قد تطور وجوده جلّ وعلا عن أصل آخر على طريقة التولد. ولا يمكن أن يكون قـــابلاً لأن يتولد عنه شئ آخر، بطريقة من طرق التفاعل الذاتي أو مع الغير.

وأما هذه الكائنات : فقد خلقها الله تعالى بقدرته القادرة، وإرادته الحكيمـــة، والله يخلق ما يشاء ويختار.

وفي حدود ضيقة من التفكير البدائي، المسّور بأسوار المادية التي تدركها الحواس الجسدية، قام في أوهام بعض مثبتي الألوهية بشكل عام - من وثنيين، وكتابيين انحرفوا عن أصل دياناتهم الحقة -أفكار متعددة تنسب إلى الله جل علا الولد، أو البنات أو الصاحبة، أو التولد المعنوي الآخر، أو غير ذلك من تخريفات لا تقبلها العقول الصافية السليمة ! وقد دخلت عليهم هذه الأفكار في عصور من الجهل والتقليد، الذي لا بصر فيه ولا نظر.

وما هذه المعتقدات الباطلة إلا خروجا عن جادة الإيمان الصحيح بالله، وانحرافاً إلى الجهل والكفر والضلالة.

ولذلك جاء الإسلام واشتد على هذه الأوهام بالحجة والبرهان، ليطردها من أفكار هؤلاء التائهين عن طريق العقيدة الحقة، والذين تأثرت عقولهم وقلوبهم بمعتقدات موروثة باطلة، التزموها دون تمحيص ولا فكر صحيح قائلين: **﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾**.

وقد جاء في سورة (الصمد) إثبات أصلية الوجود لله تعالى، التي لا تقبل أن يلد أو أن يولد، في قوله تعالى : **﴿لم يلد ولم يولد ﴾**.

ج- مبدأ انفراد الرب بصفات الكمال:

وذلك أن الربوبية لا يمكن عقلاً أن يوجد معها شئ يكافئها أو يدانيها، سواء في أصل الوجود، أو في كمال الصفات، وهذا هو المقتضى الحتمي لمعنى الرب الخالق للكون كله.

ولإيضاح هذا المبدأ من مبادئ الربوبية، لا بد أن نلتفت إلى هذا الكون الكبير، وإلى وجودنا فيه الذي لا يكاد يحسب له حساب، بالنظر إلى فسيح أرجائه التي تناهت سعةً وكبراً.

إنه ما من شئ نشاهده في هذا الكون الكبير إلا وله فيه أشباه ونظائر، وأشياء تكافئه وتماثله.

ما من شئ في الكون له جانب من القوة، إلا وله جوانب أخرى من الضعف، يمكن التغلب عليه منها.

نشاهد مثلاً: الكتل المادية ذات الأوزان الثقيلة التي لا تميد، كالجبال والبحار، ثم نرى في الكون بعض القوى - التي لم تكن في الحسبان - تستطيع أن تحرك هذه الكتل وتبددها، وتجعلها أثراً بعد عين.

ونشاهد أجساداً حية ضخمة، قد تحرك بقوتها الصخور، وتهز بحركتها البحور، وقد تخيف الألوف من البشر، ثم نرى حشرة صغيرة تتناول منها مكان ضعف فتلقيها صريعة، تنفض روحها من جسدها الذي هدمته على ضخامته، أو تجعلها تتقلب في آلامها وأوجاعها.

ونشاهد النار ولها قوة هائلة على إحراق الأشياء وصهرها، ثم نرى أن أشياء من الكون نفسه تستطيع بقوى مضادة فيها أن تخمد لهيب النار.

وهكذا نشاهد ملوكاً جبارين يتطاولون إلى مقام الربوبية، ويفرضون سلطانهم بالقوة والسلاح والإرهاب، ثم نرى بعض ضعاف القوم يزلزلون أركان عروشهم، ويلقون التيجان عن رؤوسهم، ويكنسون سلطانهم كنساً.

كما نشاهد مخترعات حديثة تستخدم بها قوى الكون الكامنة، ثم نلاحظ فيها أماكن ضعف يمكن أن يقبض على ناصيتها منها، ونرى أن لقواها الهائلة الصادمة العنيفة، أضداداً يمكن مقابلة قواها بمثلها، أو تبديد طاقاتها وإفناؤها.

ثم اسبر محصياً إن شئت كل ما في الكون الكبير، مما يمكن أن تشاهده فيه، أو تستنبط وجوده به، تجده من هذا القبيل، ما من قوة في الكون إلا وتماثلها قوة، وما من قوة إلا ولها نقطة ضعف، وما من قوة إلا ولها مكافئ وضد في هذا الكون الفسيح.

وقد قام دليل البداهة والعقل - كما سبق في مباحث الإيمان الله تعالى - على أن هذا الكون كله مخلوق لله الواحد الأحد، الذي خلقه وأبدعه على هذا النظام الرائع، الذي يحمل في طياته دلائل أنه مخلوق لخالق جبار، قادر قاهر، عليم حكيم.

ومما لا شك فيه أن الإله الخالق هو من فوق هذا الكون وليس هو أي جزء فيه، ولو كان جزءاً من الكون لكان من الممكن أن يكافئه جزء آخر منه - وفق قوانين الكون المشاهدة فيه، وبحسب الاستقراء في كل شئ - وقد يكون ذلك المكافئ - ولو من جهة من الجهات - أصغر منه، وأضعف بوجه عام. ومتى وجد المكافئ أمكن أن يحتال عليه ويغلبه، أو أن تتعارض قواهما تعارضاً به يعطل كل طرف منهما الآخر، وبذلك يتعرض الكون للفساد والدمار، وكسر حزام النظام القائم على وحدة المنظم.

ومن البديهي أنه لا شئ من هذا الكون يصح أن يكون رباً خالقاً، ولا شئ من هذا الكون إلا وهو مخلوق حادث. فالرب الخالق الحق إذن من فوق هذه الطبيعة كلها، كما أنه من المشاهد لكل ذي نظر، ومن الثابت بدلائل العلم، أن هذا الكون - من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة - محكوم بنظام واحد يهيمن عليه، والنظام الواحد لابد أن يهيمن عليه منظم واحد ، وذلك ﴿ **هو الله أحد** ﴾.

هذا ما قام عليه دليل الفطرة وبرهان العقل، وهنا نقول : إن المحكوم بقوة لو كان عنده شبه تلك القوة لصارعها، وكل مخلوق حي مريد مدرك، لو كان عنده قدرة الخالق لاستطاع أن يقي لنفسه الحياة - في أدنى المستويات- إذا أراد الله له الموت.

إن أعظم كائن مشاهد لنا هو هذا الإنسان، لما يتمتع به من حياة وعلم وإرادة، وجزء من القوة يستطيع بها - مع عقله وحيلته- أن يسخر أكبر القوى الكونية من حوله لما يريد ، في حدود الإمكانات من حوله.

فهل يستطيع هذا الإنسان أن يختار زمن ولادته، أو مكانها أو كيفيتها ؟ أو أن ينتقي لنفسه أبوين كما يشتهي ؟ أو أن يختار الصورة الحسنة التي يتمنى أن يكون عليها ؟!

وهل إذا ولد ونما يستطيع أن يبدل من تكوينه، أو يتحكم بتغيير ذاته وصفاته؟!

وهل إذا طابت له الحياة يستطيع أن يجلب لنفسه الخلود في الدنيا ؟

فإذا كان هذا الإنسان لا يستطيع شيئاً من ذلك، لأن قوة القدر من فوقه غلابة، علماً بأنه أقوى بحيلته وعلمه من الجبال، لأنه - باستخدامه بعض القوى الكمينة في الأرض - يستطيع أن ينسف الجبال، وهو أقوى بحيلته وعلمه من كل حيوان أو نبات أو جماد، لأنه يستطيع أن يسخر لنفسه كل أولئك، لكنه لا يستطيع أن يعارض القدر القاهر من فوقه في شئ صغر أو كبر. فإذا كان هذا الإنسان - وهو أقوى بحيلته من كل شئ حوله - لا يستطيع بحال أن يكافئ قدرة القادر القاهر، فأي شئ آخر يكون كفواً لله الأحد، الخالق لكل شئ ؟!

فإذا كان هذا الشيء المكافئ لله الأحد الذي يدعيه المشركون في داخل هـــذا الكون المادي ، فإنهم أنفسهم أقوى منه، لأنهم قد منحوا العقل والإرادة، وتلـــك الأشياء مسيرة لا إرادة لها، منقادة طائعة للقضاء والقدر! وإن كان شيئاً آخر مـــن وراء هذا الكون المادي، فما الدليل عليه، وقد قام دليل العقل والبداهة على أحديـة الله تعالى؟!

وإن ادعوا أنهم هم أنفسهم المكافئون لله في قدرته كلها أو بعضها ، فليتخـيروا - إن استطاعوا - ما يشتهون لأنفسهم من كيفية لذواتهم أو صفاتهم، وليدفعوا عـن أنفسهم الموت إن قدروا، وما هم بقادرين، ولكنهم مغلوب عليهم - شاءوا أم أبـوا - بقضاء الله وقدره : ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾.

وإذا كان الله جل وعلا من فوق هذا الكون، ومهيمناً عليه، ومسيطراً علـــى كل شئ فيه بإحكام وإتقان وسلطان، وهو واحد لا شريك له، فمـــن البديـــهي الظاهر هو أن الله ليس كمثله شئ، ولا يكافئه أحد. ولذا فلا يصح الاعتمـــاد إلا عليه، ولا يقبل المؤمن العاقل الاتكال إلا عليه سبحانه. كما يقوم بعبادته وحـــده لا يشرك معه أحداً، لأنه هو ذو القوة النافذة الغلابة، التي لا تماثلها قوة، ولا تكافئـــها قوة، ولا تدانيها قوة، وهو خالق كل القوى، ومتى شاء سلب من ذوات القـــوى قواها، وبدد جماعتها، وأفنى عناصرها وأوصافها.

ولقد وقع في أوهام المشركين والوثنيين وبعض الجهلة - دون تفكير أو نظـــر سليمين - أن في الكون آلهة صغيرة، أو أشباه آلهة، تشابه الله جل وعلا في بعـــض قدراته، فهي شركاء له : تضر وتنفع، تعطي وتمنع، تحيي وتميت، تسقي وتقيـــت،

تؤيد وتنصر، تعفو وتغفر، تسر وتؤلم، تشفي وتسقم ! مع أنه ما من إله غير الله، وما من نافع غير الله، وما من ضار غير الله، ولا ناصر إلا الله، ولا غافر إلا الله، ولا شافي إلا الله، ولا محي إلا الله، ولا مميت إلا الله. ﴿ **قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد** ﴾ انتهى. ولكي تتضح حقائق التوحيد التي يتصف بها الإله المعبود في دين الإسلام الخاتم، نعرض إيجاز مفهوم الإله قبل القرآن ثم نتحدث بشيء من التفصيل عن مفهوم الإله في الإسلام في القرآن

الفصل الثامن

مفهوم الإله قبل القرآن

مفهوم الإله قبل القرآن

مرت الأمم البدائية في اعتقادها في الإله بعدة أدوار بدأت بـــالتعدد ثم التميـــيز والترجيح ثم الوحدانية الناقصة. وفي هذه المرتبة الثالثة يكون العقل الإنساني قد بلـغ درجة من الترقي المعرفي الذي يتعذر معه عليه قبول الخرافات والأساطير وتقـــترب العبادة من الاقتران بالتفكير في الكون وأسراره وعلاقته بالإله وإرادتــــه وقدرتــه وحكمته. ولقد بدت صورة الإله لدى الإنسان الأول بسيطة بساطة حياته ذاتهـــا ومتصلة بالقوى ذات التأثير في هذه الحياة. والتطور في العقيدة الدينية ثابت ومــلازم لتطور الإنسان في حياته مستوى ثقافته وحضارته، وإن كان سلم التطـــور غـــير متعاقب الدرجات نتيجة الاختلاف البين بين الشعوب والقبائل في التقدم، حيـــث نشأت الديانات في شعوب كثيرة لا في شعب واحد. غير أن الإيمان بـالأرواح كان هو الصفة الشائعة المشتركة لدى جميع الأمم البدائية. فلقد تصور الإنســـان الإلــه أحيانا في صورة أرواح من القوى الطبيعية. الشمس والقمـــر والنجـــوم والرعـــد والرياح والبرق والأمطار والمياه والظلام والنار والفجر. والقرآن يصور لنـــا هـــذه الصورة البدائية لإدراك العقل للإله من خلال الكون في نصه الذي يقـــرأ **﴿ ومـن آياتـه الليـل والنـهار والشـمس والقمـــر لا تسـجدوا للشـمس ولا للقمـر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾**[1] وهو بذلك يفرق للعقـــل الإنساني بين القوى الطبيعية في الكون وهي مخلوقة ومتعددة، وبين الخـــالق الـــذي يستحق وحده الاتجاه له بالعبادة دون سائر القوى الطبيعية، مترقياً بذلـــك بعقـــل الإنسان من الشرك إلى التوحيد.

---

[1] الآية ٢٧ من سورة فصلت

والقرآن يبين نفس هذا الاتجاه في حديثه عن إبراهيم واتجاهه الفكري نحو الإلـــه حين يقرر ﴿ **فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلمـا أفل قـال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغا قـال هـذا ربـي فلمـا أفـل قـال لئـن لـم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغـة قـال هـذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قومي إني بريء مما تشـركون إنـي وجـهت وجـهي للـذي فطـر السـموات والأرض حنيفـا ومـا أنـا مـن المشـركين** ﴾ الأنعام٧٦:٧٩.

كذلك تصور الإنسان الإله أحيانا في صور إنسانية تقترن بأسماء الأبطال والقادة الذين ظن أنهم قادرون على فعل الخوارق والمعجزات.

كما تصور الإله من أسلاف الأسر الماضيين يعبدهم أبناؤهم وأحفادهم يحيـــون ذكراهم في شكل عبادة وقرابين.

وتعددت صور الآلهة... فكان للمعاني آلهة (**العشق والحرب والسلام**) وللبيت آلهة (**البشر والموقد والطعام**) وللنسل والإخصاب آلهـــة (**الإنـــاث أو الأمـــهات الخالدات**) وللخلق آلهة (**وهي التي ينسب إليها خلق السماء والأرض والإنســـان والحيوان**). وأخيراً في المراحل التي سبقت التوحيد الكامل مرتبة الآلهة العليا صاحبـة شرائع الخير التي يحاسب معتقدوها عليها، وتجمع مثلا وعليـــا وقيمـــا للأخـــلاق والسلوك، وتضمن السيادة الأبدية للأرواح في عالم البقاء.

(والتوحيد) يأتي في قمة سلم الترقي والتطور الإنساني في العقيــدة في الآلهــة. والأديان الكتابية هي التي بلغت به درجاته العليا والدين الخاتم منها هو الذي بلغ به إلى غاية مرتقاه في العلاقة بالإنسان.

والملاحظة الجديرة بالتأمل هي في وجود اتجاه نحو الـترقي المتصـل بالإنســان وتفكيره وحياته، وصلة ذلك بعقيدته في الإله. هذا الترقي يتجه إلى غاية واضحـة هي التوحيد في عقيدة الألوهية، والوصول بفكرة الإنسان عـن الإلـه إلى أعـلا درجات التتريه والكمال. وفي القرن السادس قبل الميلاد كانت الديانات القديمة قـد بلغت أقصى درجاتها في تصور الفكرة الإلهية والعقيدة الروحية، كان ذلك العصـر هو عصر النضج والتمام في الديانة الإسرائيلية، وهي آخر الحلقــات في السلسـلة القديمة وأولى الحلقات في سلسلة جديدة من ديانات الوحي والأنبيــاء والديانــات الكتابية[1] وهذه الفترة من زمان الإنسان في الأرض تعتبر فترة ذات أهميــة خاصـة بالنسبة للوصلة الهامة في العلاقة بين المخلوق والخالق أو بين البشر وبـين الآلهـة، وهي الوصلة التي كان آدم في البدايات هو مظهرها العظيم وحلقتها الأولى. لقــد حدثنا القرآن عن آدم منذ بداية سلوكه المكافح لاستعمار الأرض وتطوير حياتــه فيها أنه كان سيتحقق نوع من الاتصال بين الإنسان وبين الآلهة بطريقة مـا عـبر عنها القرآن بحقيقة "الهدى" في تقرره ﴿ **فإما يأتينكم من هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ البقرة ٣٨. وإن جوهر هذا الهدى هـو الإيمان بالإله الواحد وبصور وأشكال الهدي المنـزل منه إلى الإنســان بالوسـطاء ﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾ البقرة ٣٩. بهدف استمداد أشكال التنظيم الفردي والاجتماعي لسلوك الإنســان

[1] عباس العقاد : الله.

وحياته في الأرض من المصدر الرباني المتصف بعلم حقيقة التركيب الإنساني في توحده المادي الطاقي أو الجسدي الروحي، وعلى أساس من إقامة أشكال الحياة الاجتماعية وفق عقيدة التوحيد في مستوياتها الأرقى، وما تقرره هذه العقيدة من تصورات وقيم وأنماط سلوك وعلاقات اجتماعية، وتنظيمات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وعلمية وعسكرية، وغير ذلك من تفصيلات البنيان الاجتماعي للإنسان في الأرض بما نعرفه من مستويات العصر الحالي الذي يعيشه الإنسان، وما سيتطور إليه في المستقبل. ولقد استطاع الإنسان في القديم أن يصل في تفكيره نحو الإله إلى مراتب عليا من التنزيه والتوحيد، وكان ذلك قبل ميلاد السيد المسيح بأكثر من عشرة قرون وكان ذلك كان عملاً استثنائياً عبقرياً لم يتميز به كل الناس. ولذلك اعتبر ارتقاء الأديان القديمة نحو عقيدة التوحيد في النظرة إلى الإله، تقدماً فكرياً وروحياً كبيراً، تم بواسطة متميزين من الناس. والعمل الذي قام به الفلاسفة القدماء كان لا يخلو من الاتصال الفكري بعقائد السابقين الدينية. فمن الدين تلقى الفلاسفة فكرهم عن الروح وفكرهم عن بطلان الظواهر المادية. ومن الدين تعلموا التفرقة بين العقل والمادة، وكيف ينفذون إلى ما وراء الحس ويتعمقون في تحليل كنه الموجودات إلى أعماق ما وراء الأجسام والمنظور. ومن الأديان الأولى استعاروا عقائد المؤمنين في تعليل أصول الكائنات والتنبؤ عن مصيرها كما فهموا حقيقة وطبيعة قدرة الإله. وهم في ذلك كله كانوا يدورون في حلقة التوحيد أو يحلقون في آفاقها لا يتجاوزونها، كما أنهم - وبما فيهم **سقراط وأفلاطون وأرسطو** - لم تخل فلسفة لهم قط من فكرة دينية في أساسها أو مضمونها[1] وهي في إطارها العام تنزع نحو الترقي إلى آفاق التوحيد المقترن بالتنزيه والكمال في أقرب ما تكون الصور من عقيدة الألوهية في الكتب السماوية مع ملاحظة أن الفلسفة بدأت

---

[1] المصدر السابق باب الفلسفة

في تلك **الفترة** التي سبق التنويه إليها والتي كانت تعترض الطريـــق بـــين **العقـــائد** والديانات القديمة غير السماوية والعقائد والديانات الجديدة السماوية (حوالي القرن السادس قبل الميلاد) ويمكن الرجوع في ذلك لكتابات كـــل مـــن **اكســينوفان وهيرقليطس وفيثاغورس وانكسفوراس** وكل من المدرســة الإثينيــة الكــبرى. (**سقراط وأفلاطون وأرسطو**) ومدرسة إيطاليـــا الجنوبيـــة (**بـــارمنيد، وينـــون وأمدوقليس**) ومدرسة الرواقيين (**زينون وكليانتاس وشريسبس**) ومدرسة أبيقـــور (**مذهب المشائيين**).

وتجدر الإشارة كذلك إلى دعوة كل من يوحنا المعمدان (**يحيى بـــن ذكـــريا**) **وميلون**، الفيلسوف الإلهي الأسكندري اليهودي الذي وصل إلى الإيمـــان بـــالعقل الإلهي أو الكلمة التي تعتبر (**ذات**) لها صفات الذات الإلهي وكل من **سليمان بـــن جيبرول** (١٠٢٠م الأندلس) **وموسى بن ميمون** (١١٣٥-١٢٠٤م قرطبة).

وتذهب الفلسفة الحديثة إلى تصور الإله مترهاً عن التجسيد والتحديد، وتتمثلـــه فكرة أو رمز أكثر منه ذاتا أو صورة. ويمكن الرجوع لإدراك ذلـــك التصـــور إلى كتابات كل من (**كارل يسبرس**) و(**هـــنري برجســـون**) و(**وليـــم جيمـــس**) و(**بارويس**) و(**والترلمان**) و(**كيرك جورد**).

وسنعرض بإيجاز شديد آراء فلاسفة المدرسة اللاتينية وأعظم المدارس السـلبقة في صفات الإله :

ارتفعت صفات الإله إلى ذروتها العليا من التتريه والتجريد في مذهب الفيلسوف اليوناني أرسطو الذي كان يعتبر الإله كائنا أزليا أبديا مطلق الكمال لا أول لـــه ولا

آخر ولا عمل له ولا إرادة. إذ أن العمل يعتبر طلباً لشئ والله غني عن كل طلـــب. والإرادة اختيار بين أمرين والله قد اجتمع عنده الأصلح والأفضل من كل كمـــال فلا حاجة به إلى الاختيار بين صالح وغير صالح ولا بين فاضل ومفضول. وليس ممـا يناسب الإله - في رأي ارسطو- أن يبتدئ العمل في زمان لأنه أبدي ســرمدي، لا يطرأ عليه طارئ يدعوه إلى العمل، ولا يستجد عليه من جديد في وجوده المطلـــق بلا أول ولا آخر ولا جديد ولا قديم، وكل ما يناسب كماله فهو السعادة بنعمـــة بقائه والتي لا بغية وراءها، ولا نعمة مثلها ولا دونها، ولا تخرج من نطاقها عنايـــة تعنيه. الإله الكامل المطلق الكمال لا يعنيه أن يخلق العالم أو يخلق مادته الأولى وهـي "الهيولي" ولكن هذا "الهيولي" قابلة للوجود يخرجها من القوة إلى الفعل شـوقها إلى الوجود الذي يفيض عليها من قبل الإله، فيرفعها هذا الشوق إلى الوجود ثم يدفعـها من النقص إلى الكمال المستطاع في حدودها، فتترك وتعمل بما فيها مـــن الشـوق والقابلية، ولا يقال عنها أنها من خلق الله إلا أن تكون الخلقة على هذا الاعتبار[1].

كمال مطلق لا يعمل ولا يريد. كمال مطلق يوشك أن يكون هو والعدم المطلق على حد سواء. لقد كان أرسطو يقول بكمال الكائنات العلوية - الســماوية-أي بخلودها وبقائها بلا فناء لأنها من نور، والنور بسيط لا يعرض له الفناء كما يعـرض على التركيب. ولكن العلم التجريبي قد تطور بعد أرسطو كثيراً وتكشفت مع وبـه حقائق عن عالم المادة -وهو العالم السفلي عند أرسطو وغيره مـــن الفلاســفة- لم يكن يدركها أرسطو العظيم أو غيره من الفلاسفة اليونانيين. فلو أن أرسطو علم أن المادة السفلية كلها من نور، وأن عناصرها تؤول في الحقيقـــة المطلقــة إلى ذرات وجزئيات من الذرات، كلها مكهربة، وأن الذرات الكهربية تنقسم فتتحـــول إلى إشعاعات وطاقات رهيبة، لو أن أرسطو علم ذلك، لما أخطأ في التفرقة بين لـــوازم

---

[1] عباس العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه.

البقاء والفناء أو بين خصائص البساطة والتركيب، ولأدرك قانون البقاء الملازم للمادة (**التي وصفها بالسفلية**) وللطاقة. التي وصفها (**بالنور أو العوالم العلوية**) وقانون "**الوحدة**" المتصفة به المادة والطاقة باعتبارهما "**نفس الشيء الواحد**" ولعلم وحدة الملك والملكوت أو المادة أو الطاقة.. أو المادة والروح أو المادة والعقل.. أو العوالم السفلية والعلوية.. أو النور والكهربية والمغناطيسية الذرية.. ولعلم أن "**العمل**" أو "**الشغل** " هو مظهر الطاقة الكامنة في العوالم كلها المادية والنورية (**وهما نفس الشيء**) ولعلم أن "**العمل** " بذلك يلازم القوة ويلازم المادة ويلازم اللامادة والطاقة ويلازم العقل ويلازم الروح.. باعتبار هذه كلها مظاهر الوجود الطاقي النوري المطلق الذي تعتبر "**الحركة** " أو" **العلم** " أو " **الشغل** " أو "**التسبيح** " من فعل إرادته وأمره في كينونة الكون على ما هو مكون عليه في ظل وحدة الكثرة. ومن ثم فلابد أن يكون(الإله) فوق هذا القدر من التتريه الذي أفاضه عليه أرسطو.

ولقد استولت فكرة الإلوهية على تفكير سقراط، فقضى حياته طارقا بثقله للباب الذي يؤدي إلى "الله " فلم يفتح له، و لم ير مما وراءه شيئاً، ولكنه أدرك أن وراء هذا الباب كل شئ. وراءه الحق المطلق الذي يعم الوجود بالنور دون رؤية مصدره. والله عنده جوهر فقط. إذا رجعنا إلى حقيقة الوصف والقول فيه وجدنا المنطق العقلي قاصراً على اكتناه وصفه، وتحققه، وتسميته وإدراكه، لأن الحقائق كلها من تلقاء جوهره، فهو المدرك حقاً، والواصف لكل موجود اسماً فكيف يقدر المسمى أن يسميه اسماً ؟ وكيف يقدر المحاط أن يحيط به وصفاً ؟ أنه ليس بذي

نهاية. ليس على أنه ذاهب في الجهات بلا نهاية كما يتخيله الخيال، وإنما لا نهاية له من جهة العقل إذ ليس يحده، ولا من جهة الحس فليس يحده[1].

وأفلاطون تلميذ ارسطو ـ غلبت على تفكيره البيئة الوثنية فأدخل في عقيدته أرباباً لا وجود لها في ديانات التوحيد ولا عند الفلاسفة الموحدين، وقال بالفعل المطلق وبالمادة الأولية أو "الهيولي"، الأول كمال لا يحده الزمان والمكان، ولا يصدر عنه إلا الخير والفضيلة، والصمود والدوام للعقل المجدد دون غيره الذي فيه تستقر الموجودات "**الصحائح**" أو المثل، وهي كالعقل المجدد خالدة دائمة لا تقبل النقص ولا يعرض لها الفساد، هذه الصحائح هي المثل العليا لكل موجود بالمادة أو الهيولي، والكمال هو ما في عقل الله منذ القدم فيما يتعلق بالمادة الناقصة. وبقاء الله أبدي لا أول له ولا آخر ولا تحول فيه ولا تقلب، ولا تعرض له الزيادة ولا النقصان بينما بقاء المجودات بقاء في الزمان المخلوق المتصل بحركة الأفلاك.

وتعددت صور (الإله) عند اليونانيين غير أرسطو وأفلاطون وغيرهما من أصحاب النظر المجرد والفكر الفلسفي. فكان "**جوبيتر Jupiter** " رب الأرباب عند اليونانيين لا يخلو من تجسيد ولا يعلو إلى تنـزيه. وقد عبد اليونانيون الأسلاف والطواطم ومظاهر الطبيعية وأعضاء التناسل، ومزجوا هذه العبادة بطلاسم السحر والشعوذة. وترقوا في تصور صفات الأرباب على مر الزمن حتى اقتربت من أفكار التنزيه التي سبقهم إليها المصريون والهنود والفرس..

والهنود ألحقوا الإله بالحيوان تارة. وبعناصر الطبيعة تارة. وبالأوثان والأنصاب تارة. وانتهت عندهم هذه الأرباب المتعددة إلى الثالوث الأبدي الذي اشتمل على ثلاث من الصور الإلهية "براهما" في صورة الخالق. والإله "فشنو" في صورة الحافظ.

---

[1] انظر كتاب قضية الألوهية بين الفلسفة والدين

والإله "شيفا " في صورة الهادم. فالهدم والفاسد من عمل الإله الأعلى الذي يتـولاه حين يتشكل لعبادة في تلك الصورة. ولكل إله قرين اسمه "الشاكتي أو الصاحبـة" ينسبون إليها من الشرور ما يترهون عنه صاحبها أو قرينها. وهذا الأرباب لا تبعـد كثيرا عن صور الشياطين والأرواح الشريرة المعروفة في الديانات القديمـة. ومـع معارج التجديد والتتريه والإطلاق لدى هذه الديانات نجد الـذروة في صورتـين مختلفتين :

١- الكارما.

٢- النرفانا.

وكلاهما يحسب من قبيل المعاني الذهنية. الأولى هي القدر الغالب علـى جميـع الموجودات ومنها الآلهة وأفلاك السماء وهي حالة تعبر "**عما ينبغـي**" فالكارمـا ليست ذات الإله معروفة الصفات وإنما هي مرادف لكلمة "**الواجب**" أو "**الـذي ينبغي**" كما وجب في الحوادث والموجودات (**وهي أقرب إلى معـاني الكينونـة المستمدة من القرآن من مدلول كن فيكون**).

والثانية هي الحالة التي تنتهي إليها جميع الأرواح حين تفرغ من عناء الوجـود وتتجرد من شواغل الأجساد وشواغل الأرواح على السواء. وتتساوى أرواح الآلهة وأرواح البشر في حالة "**النرفانا**". إن الكهنة الهندوس يقولون أن أرواح الكائنـات تأتي من براهما روح العالم. فعندما تنتهي الروح من دورة الحيـاة تعـود إلى روح العالم وتتحد مع براهما. وهذا ما يسمى بالنرفانا وتلك أعظم سـعادة يمكـن أن تتمناها الروح. ومن هنا جاء تناسخ الأرواح كما يؤمن بـه الهنـدوس. فـالروح تتقمص عديداً من الأجساد خلال رحلتها في الفضاء الخارجي حـتى تصـل إلى هدفها النهائي. والتناسخ يتم بالنسبة لكل الكائنات البشرية والحيوانية والحشـرية

والنباتية فكلها يحكمها قانون واحد، ولا تختلف روح عن روح إلا بقدر ما يقـــوم صاحبها به من أعمال.

ومع ذلك تخبرنا إحدى الكتب المقدسة للهندوس (**هي أسفار اليوبانشا**) عـــن نوع من العقيدة عالٍ في مستوى تنـــزيهه وتجريده. فيه يوصف الإله براهما الخـــالق أو الروح الأعلى "إن جوهر النفس ليس هو الجسم ولا العقل ولا الذات الفرديـــة ولكنه الوجود العميق الصامت الذي لا صورة له، والكامن في دخيلـــة أنفســـنا. واسمه "**اتمان**".

وموجد العالم الواحد الشامل الذي لا هو بالذكر ولا بالأنثى، غير المشـــخص في صفاته، والمحتوى لكل شيء والكامن في كل شيء، والذي لا تدركه الحواس.. فاسمـــه "**راهما**". واتمان وبراهما حقيقة واحدة. روح الأرواح.. إله واحد بعينه لأن الـــروح اللا فردية وهي القوة الكائنة في الإنسان هي بعينها روح العالم. وهما معـــا القـــوة الروحانية المسيطرة على هذا العالم.

وتشابهت المعتقدات الإلهية لدى اليونانين والصينيين إلى حد كبير في الأصـــول، وعبدت عندهما الأرواح والأسلاف والعناصر الطبيعية، واستعاروا مـــن الإســـلام والمسيحية والبوذية على تفاوت في ذلك، ومزجوا ديانة الشمس بديانة الأســـلاف، وإن كان اليابانيون أسرفوا في تأليه صاحب العرش بينما اعتدل الصينيون في ذلك.

وفي بابل لم تتجاوز العقيدة الدينية مرحلة العبادة الشمسية وكان أقدم الآلهة إلـــه السماء "**آفو**" السماء القاتبة و"**شمس**" الشمس و"**نتار**" القمر و"**بعل**" الأرض.

وكان الأقدمون من الفرس يعبدون **"مترا"** إله الشمس أو النور ويطلقونه على عناصر الخير والصلاح، وإن كان المجوس قد آمنوا بالعالم الآخر وبالثواب والعقاب في الآخرة، وبقيامة الموتى ونهاية العالم وبعث الأرواح للحساب في يوم القيامة. وارتقت العقيدة في الإله على يد **زرادشت** الذي أنكر الوثنية وجعل من صفات الإله الخير المحض ونزل بإله الشر دون المنزلة المساوية بينه وبين الإله الأعلى، وقال بالثواب والعقاب وبأن خلق الروح سابق على خلق الجسد، وعمل على قصر الربوبية على الألوهية الواحدة الموصوفة بصفات عليا من التنزيه وفق ما كان يفهمه معاصروه، كما طهر عقائد أصل الوجود **(هرمز واهرمن ولدى الإله القدم زروان)** وتنازع النور والظلام. والإله عند زرادشت موصوف بأشرف صفات الكمال التي سيرقى إليها عقل بشري لدين على حسب نشأته بالثنائية وقدم العنصرين في الوجود **(الخير والشر)**[1] وهرمز **(الإله)** هو الاسم الذي يتجلى في أرواح عليين، وهو أقوى القوى في عالم الملكوت، وهو **"السر المسئول"** الذي له المزيد من أسماء أخرى: **واهب الأنعام - المكن - العامل - القدس - الشريف - الحكمة الحكيم - الخيرة - الخيور الغني - الغني - السيد - المنعم - الطيب - القهار - يحق الحق- البصر - الشافي - الخلاق - ميزتا (أي العلم بكل شئ).**

وشهدت مصر في تاريخ الاعتقاد جميع الأطوار، من أدناها إلى أعلاها **(الطواطم والأرواح والخصوبة غير ذلك..)** وارتفع الخاصة من المصريين القدماء في تصورهم للإله إلى مراتب عليا من التتريه والتجريد بما عرفوه من عبادة **"آمون"** ثم فيما ارتقى به الفرعون إخناتون **(امنحتب الرابع)** إلى أعلى ما عرف من مستويات التوحيد في القرن الرابع عشر قبل ميلاد السيد المسيح. فقد اعتبر الإله

---

[1] عباس العقاد : الله

خالقاً واحداً يقترب مفهومه من الإله الخالق في الديانات الكتابية - خاصة العبرية - فهو الحي المبدئ للحياة، الملك الذي لا شريك له في الملك، خالق النطفة والجنين الذي ينمو منها، نافث أنفاس الحياة في كل مخلوق، بعيد بكماله، قريب بآلائه، تسبح باسمه الخلائق على الأرض ويسبح له الطير في الهواء، وترقص الحملان من مرح في الحقول، فهي تصلي له وتستجيب لأمره، ويسمع الفرخ في البيضة دعاءه فيخرج إلى نور النهار واثباً على قدميه، قد بسط الأرض ورفع السماء وأسبغ عليها حلل الجمال، وهو ملء البصر وملء الفؤاد، وهو الوجود وواهب الوجود، وشعوب الأرض كلها عبيده لأنه هو الذي أقام كل شعب في موطنه ليأخذ نصيبه من خيرات الأرض ومن أيام العمر في رعاية الواحد الأحد آتون[1]. ومع ذلك فقد كانت تقترن بهذا المفهوم عن الإله عبادة الشمس باعتبارها رمزاً للإله ومرادفاً لاسمه.

وقد كانت الجينية نوعاً من المقاومة للهندوسية وثورة على سلطان البراهمة ومن هنا لم يعترف مهاويرا بالإلهة لأنه قد يخلق من جديد طبقة من البراهمة أو كهنة يعتبرون أنفسهم صلة بين الناس والإلهة، ولذلك قرر مهاويرا أنه لا يوجد روح أكبر أو خالق أعظم لهذا الكون، ومن هنا سمي هذا الدين في الفكر الجيني ومفهومه عن الإله، سمي دين إلحاد. غير أن العقل البشري يميل إلى الاعتراف بإله، ويحتاج الإلحاد إلى أدلة أكثر من الأدلة التي يحتاجها إثبات الآلهة، ولذلك كان هناك فراغ كبير في الجينية بسبب عدم اعتراف مهاويرا بإله يكمل به صورة الدين الذي دعا إليه، وكان من نتيجة ذلك أن اعتبروه إلها. واعتبروا أيضاً الجيناوات الأربعة

---

[1] عباس العقاد : الله

والعشرين آلهة لهم، ولعلهم بذلك كانوا متأثرين بالفكر الهندي الذي يميل في غالبيته إلى تعدد الآلهة.

أما **بوذا** فلم يعنى بالحديث عن الإله، و لم يشغل نفسه بالكلام عنه إثباتا أو إنكاراً. كما أنه تحاشى كل ما يتصل بالبحوث اللاهوتية، وما وراء الطبيعة، وما يتحدث عن القضايا الدقيقة في الكون، وكان ينهي أصحابه وزائريه عن أن يخوضوا في هذه الأبحاث ويوبخهم على سؤالهم عن مثل هذه القضايا. ولكن بوذا اتجه أحيانا إلى جانب الإنكار أكثر من اتجاهه إلى جانب الإثبات، فقد وقف في إحدى خطبة يسخر ممن يقول بوجود الإله، وكان ما قاله في ذلك: "**إن الشيوخ الذين يتكلمون عن الله ولم يروه وجها لوجه يعتبرون كالعاشق الذي يذوب كمداً وهو لا يعرف من هي حبيبته، أو كالذي يبني السلم وهو لا يدري أين يوجد القصر، أو كالذي يريد أن يعبر نهراً فينادي الشاطئ الآخر ليقدم له**[1]
ومن أجل إهمال الإله أو الاتجاه إلى نكرانه أحيانا وسم بوذا أحياناً بالإلحاد. والإيمان بآلهة هو اتجاه نفسي قوي لا يقل عن قوة الغرائز في البشر، وإهمال هذا الاتجاه يحدث ارتباكاً واضطراباً، ومن أجل هذا نجد أتباع بوذا من بعده يفكرون في الإله، ويعملون على الوصول إليه أو التعرف عليه، ولما كان بوذا نفسه قد ترك هذا المجال خالياً، فقد لعبت بهم الأهواء فاتجه بعضهم إلى الاعتقاد أن بوذا ليس إنساناً محضاً وإنما روح الله قد حلت به، وهي عقيدة تشبه عقيدة الحلول التي يعتنقها بعض المسيحيين في المسيح فيقولون أن شخصيته ثنائية، لاهوتية وناسوتية وأن اللاهوت حل في الناسوت. وذهب بعض البوذيين إلى القول بأن بوذا كاهن لاهوتي هبط إلى هذا العالم لينقذه مما فيه من شرور[2]. وقد تسربت هذه العقيدة أيضاً لبعض

---

[1] كتاب أديان الهند الكبرى للأستاذ الدكتور أحمد شلبي

[2] حامد عبد القادر في كتابه "بوذا الأكبر"

الطوائف أن يستقروا على عبادة إله واحد الذي دعا إليه الأنبياء، وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية واضحاً في جميع مراحل تاريخهم. وعلى الرغم من ارتباط وجود بني إسرائيل بإبراهيم عليه السلام إلا أنهم كانوا يتصفون بالبدائية الدينية، وتعتبر كثرة أنبيائهم دليل على تجدد الشرك فيهم، حيث كان هؤلاء الأنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد. ورغم ذلك فقد عرف بنو إسرائيل في التاريخ بدائيين يعبدون الأرواح والأحجار وأحيانا مقلدين للأمم المجاورة في معبوداتها.

يقول: **Shotwill** في كتابه **(The Religious Revolution of Today)** إن اليهود كانوا في مطلع ظهوروهم على مسرح التاريخ بدواً رحلاً تسيطر عليهم الأفكار البدائية كالخوف من الشياطين والاعتقاد في الأرواح، وكانوا يعبدون الحجارة والأغنام والأشجار. كما يقول: **Reinch** في كتابه **(History of Religions)** إن اليهود اتخذوا في بيوتهم أصناماً صغيرة كانوا يعبدونها وينتقلون بها من مكان إلى آخر، وظلوا على هذا الاعتقاد حتى جاء موسى وخرج بهم من مصر.

ويذهب **Will Durant** في موسوعته (**قصة الحضارة**) إلى أن بني إسرائيل لم يتخلوا أبداً عن عبادة العجل والكبش والحمل، ولم يستطيع موسى أن يمنع تابعيه من عبادة العجل الذهبي لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر، وظلوا زمناً طويلاً يتخذون العجل رمزاً لإلههم، وهذا يفسر الاتجاه المادي السائد عند اليهود في سائر العصور وتغلبه على الاتجاه الروحي.. ومع ذلك فقد تطورت صفة الإله عند بني إسرائيل حتى ارتقت إلى الإله الأحد المنزه عن التجسيد وعن خلائق البشر، القادر على كل شئ والرحيم العليم بما كان وما يكون. ثم تطورت العقيدة في الإله بعد ظهر المسيحية فانتقلت من الإيمان بالله لأبناء

إبراهيم في الجسد إلى الإيمان بالله لأبناء إبراهيم في الروح.. ثم تطرقت إلى عقيدة الثالوث المقدس الجامع بين الأب والابن والروح القدس والمسيح المخلص فيها هو ابن الله أرسله دواء لأبناء أدم وحواء وكفارة عن الخطيئة التي وقعا فيها عندما أكلا من شجرة المعرفة في الجنة.

ثم تطورت إلى صورة الإله فيها هو إله واحد من أقانيم ثلاثة هي الأب والابن والروح المقدس، وأن المسيح هو الابن من هذه الأقانيم، الإله المتجسد، دون الطبيعة الإلهية الواحدة عند فريق من المسيحيين، وذو الطبيعة الإلهية والإنسانية في مذهب فريق آخر، إلا أنه ظهرت بعد ذلك طوائف من المسيحيين لا تعترف بالثالوث المقدس ولا بألوهية المسيح معتبرين إياه بشراً رسولاً من عظماء الرجال.

الفصل التاسع

مفهوم الإله في القرآن

مفهوم الإله في القران

ثم كان القرآن، فطرق باب العقيدة في (الله) على أساس التفكير العلمـي لا الخرافي، وفي تجريد لمعاني الألوهية من كافة الخرافـــات والأوهـــام والتصـــورات والتخيلات والتجسيدات والقيود والتشبيهات، وربط هذه المعاني بفكرة مترهـــة أو رمز أو مثل دال على (**الذات المعبود**) له صفات متصلة ومتوحدة في حقيقة مرمـــوز إليها بلفظ الله، وتدل على الذات الواحد وعلى أسمائه وصفاته من خـــلال القـــوي والطاقات الكونية في كل الكائنات المخلوقة. إن على الإنسان أن يزيد من معارفـــه عن الكون ومادته وطاقته، عن كواكبه ونجومه، عن مجراته وسدمه، عـــن قوانينـــه ونظامه في الأفلاك والذرات، عن الكائنات الحية فيه، عن الكائنات الحية العاقلة عن الإنسان وبنائه العضوي والعقلي...الخ على الإنسان أن يسلك طريقاً معرفياً - نظريـــاً وتجريبياً - من خلال الكون الذي يحيى على كوكب من كواكبه في مجموعة مـــن مجموعاته في مجرة من مجرياته، فيما هو منظور له، من أفق المنظور واللامنظور لتزداد معرفته بالمخلوقات وبالتالي بالخالق. بقرءاة آيات الكون المسطورة بأحرف من نـــور في كتاب الوجود، يلج بعقله وبروحه آفاق هذا الكون الفسيح الممـــدود وآفـــاق نفسه من كونه، ليرتقى في معارج المعرفة والعلوم، ويقترب من معرفة معاني الإلـــه الحق بتجليه في صفاته بعيدا عن الأوهام والتخيلات والتصورات القاصرة، وعلـــى أساس من الحقائق المقررة بواسطة النشاط العقلي المستمر في تعامله مع القوانـــين المادة وقوانين الطاقة وقوانين الأحياء.

لقد خاطب القرآن عقل الإنسان موجها إياه للنظر والبحث في حقيقتين قائمين، التركيب الإنساني ذاته بوحدته العضوية الروحية أو البيولوجية الروحية والتركيب الكوني بوحدته المادية الطاقية :

- **يبحث في الخلق وأسلوبه وأشكاله والقوانين أو السنن التي تحكم حركة المخلوقات في الأرض.**
- **يبحث في النجوم وأنوارها السارية وخواص هذه الأنوار والأضواء.**
- **يبحث في المادة وتكوينها الذري، وحقائق التركيب الذري وما يتصل بها من تفتيت والتحام وحركة ونظام وخواص وطاقات.**
- **يبحث في الحركة الفلكية يستنتج منها أفكار الزمان والتقويم الزمني والحساب الزمني.**
- **يبحث في الطاقات المسخرة له في إطار كوكبه الممهد لحياته وتطورها في ترقي وتكمل.**
- **يبحث في عجائب المخلوقات في الأرض، فوق سطحها، وفي باطنها، وفوق مياهها وفي أعماقها، وفي أجوائها.**
- **يبحث في عوالم الجماد، وعوالم النبات، وعوالم الحشرات والحيوان والطير.**
- **يبحث في عالم نفسه وحقائق تركيبه العضوي ونشاطه العقلي والروحي.**
- **يبحث في طبقات السماء والأجواء ليخترقها بما أوتي من سلطان قادر على النفاذ من سلطانها هي.**

في ذلك كله، وفي غيره، نزلت نصوص الكتاب العربي ليقرأ قرآناً على الناس على مكث ليتدبروه، ميسرا للذكر ليعلموه، متدرجا في البناء ليقيموه، ينطلق الإنسان في وجود نفسه ووجود الكون الخارجي، يشهد الحقائق الطبيعية أو

الأسمائيه، مدركاً على قدره لمقادير طاقاقا، ودرجات سعتها وكثرة صورها، واختلاف أشكالها، واستمرار حركتها، ودوام امتدادها، وحقيقة إطلاقها، وطبيعة قوانينها أو سننها، وسر حيطتها ووحدها وقدر مجهولها... ليبني من خلال هذه المعارف عقيدته في (**الإله**)، ويسلك عن طريق الكون المادي والطاقي مسالك المعرفة المرتبطة بالحواس وبإدراكه الزائد عن الحواس فى الطريق المكتشف لعظمة وقدرة (**الله**) الاسم الجامع الدال على (**الذات المعبود**) الذي ليس (**كمثله**) شئ في كل شئ سبحانه وتعالي عما يصفه الواصفون أو يتخيله المتخيلون أو يتصوره المتصورون.

﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون. هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾ الحشر / ٢١-٢٤

لقد ألقى الله سبحانه وتعالى على قلب النبي المصطفى قولاً ثقيلاً، قرآناً باسم الله الذي خلق الإنسان والكون. وكان النبي المصطفى على مستوى هذا القول الثقيل المعنى في معرفة الحق، ولذلك كان يقوم الليل كثيرا مقرناً المعرفة بالعبادة وكان أشد الناس خشية لله، وكان يوجه الناس إلى التفكير في الكون والكائنات ليتحقق الإيمان المقترن بالعلم وتتحقق معه الرغبة والرهبة. والحق أنه لا يدرك معاني الرهبة والخوف المؤديتين إلى كثرة السجود وسهر الليل في التفكير والتأمل والتعبد، إلا فرد من الناس عرف في الكون المحيط الخارجي وفي الكون الداخلي في النفس والجسم، آفاقهما وأسرارهما وطاقاقما وخواصهما، وخبر ما فيهما من جلال مخيف ومحير، كما أنه لا يداوم على أداء هذه العبادة المضنية والتأملات الفكرية في إخلاص طويل للإله المعبود دون شريك، إلا فرد من الناس خبر ما في الكون المحيط الخارجي

وفي الكون الداخلي في الجسم والنفس، من جمال مدهش وجنباً إلى جانب مع الجلال المحير،فاتجه مع هذا الإدراك للجمال والجلال، إلى الذات المعبود اتجاهاً شعورياً كلياً، الاقتراب فيه لذة، والحياة به بقاء، والوجود به عزة، والوحدة فيه أنس، والرؤيا فيه نور، والأمر فيه وصل في خشية من علم، وشهود في تأويل من رسوخ في العلم. وقد جاءت نصوص القرآن في صورة مريم تقرر:

﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبين من ذرية آدم وممن حملنا ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلي عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ﴾ وهذا أيضاً حال العلماء والراسخين في العلم. والذين شملهم النص القرآني السالف هم: **ذكريا ويحيى ومريم وعيسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون ويعقوب وإدريس، مضاف إليهم عدد من المهتدين والمجتبين.**

بذلك يرقى العلماء والراسخون في العلم إلى الأنبياء - في العلم وفي درجات الخشية والخوف من الإله الحق - كلهم إذا تتلى عليه آيات الرحمن انكمش في نفسه إجلالاً وإعظاماً: **﴿ العلماء ورثة الأنبياء ﴾** حديث شريف. فهم كاشفون للحقيقة دالون على عظمة الحق، يقول عالم الفيزياء الشهير ألبرت اينشتاين: **"إن ديني يتكون من إعجاب متوسع بالروح الأعظم غير المحدود الذي يكشف عن نفسه من خلال التفاصيل الدقيقة التي نستطيع أن ندركها بواسطة عقولنا العاجزة الضعيفة. هذا الاعتقاد العاطفي العميق بوجود قوة عاقلة عليا تظهر في الكون غير المدرك يكون فكرتي عن الله ".**

ويظل الإله الحق، المعنى المجرد فوق كل تصور إنساني وذلك من واقع حقيقة المنظور واللامنظور في طاقات الكون وصورها المادية وهو الأمر الذي يقرره القرآن

في قسمه ﴿ **بما تبصرون وما لا تبصرون** ﴾ الحاقة٣٨، ٣٩. ويبرزه في وضوح تام في تقريره ﴿ **وفوق كل ذي علم عليم** ﴾ ومع ذلك فالسبيل مفتـــوح أمـــام العقل الإنساني لينشط في الطريق المؤدي إلى معرفة الإله المعرفة الحقـــة. والطريـــق المؤدى إلى تقديره حق قدره، وهو طريق الطاقات والقوي في الكون، بخصائصـــها وآثارها وارتباطاتها بالمادة وقوانينها وحركاتها ونظمها وخواصها، كل ذلك في نسبة إلى الإدراك الإنساني، سواء الإدراك المتصل بـــالحواس أو الإدراك الزائـــد علـــى الحواس. والقرآن يخبرنا بأن هناك صلة قوية بين الألوهية وبين الكـــون وطاقاتـــه وقواه، ومنابع الطاقة في الكون عديدة نذكر منها على سبيل المثال: أشعة الشـــمس والرياح والوقود (**البـــترول والفحـــم**) والمـــاء الجـــاري والأغذيـــة العضويـــة والمتفجرات وحرارة باطن الأرض والكهرباء والجاذبية والذرة .... ومـــن الآيـــات القرآنية الدالة على هذه الصلة ما يلي:

١) ﴿ **الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوي على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمي يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون. وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون. وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾ (الرعد)

٢) ﴿ **ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم** ﴾ (الحج)

٣) ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الأرض شقاً فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ (عبس)

٤) ﴿ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير ﴾ (الملك)

٥) ﴿ هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال ﴾ ((الرعد)

٦) ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله ﴾ (النور)

٧) ﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ...... ﴾ (الجاثية)

٨) ﴿ أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ...... أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ....أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ....أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ (الواقعة).

إذا عرفنا أن كل التفسيرات الإنسانية المتصلة بالإله المعبود، قاصرة عن بلورة عقيدة متكاملة تجريدية عن الإله، خلصنا إلى أن الأسلوب القرآني يعتبر الأسلوب الأمثل الممكن عن طريقه الوصول إلى معرفة أسماء وصفات الإله وتقديره حق قدره في ظل عقيدة متكاملة وتصور تتريهي شامل، وإدراك خصائص وأفعال الذات الإلهية لا يمكن أن يتم إلا إذا كانت هذه الذات، كما يقول الأستاذ أبو الفيض المنوفي:[1] **" ممثلة بأضوائها في عالم مثل هذا الوجود الذي نعيش فيه، وتكون هي في ذاتها وفي وجودها الوجوبي منـزهة عن كل صورة أو فكرة من صور**

---

[1] في كتابة (المعرفة العظمى).

الوجود الإمكان، أو تصورات متضامنة _ فكل ما خطر ببالك تجد الله خلاف ذلك - لأنك لا تعرفه إلا به، أي بما هو مغروس في فطرتك قديما من نوره. وفقط نستدل على وجود تلك الحقيقة الإلهية بهذا النشاط البارز في محيط خصائصها، والبادي في عقولنا وإحساسنا في كل شيء من الموجودات الإمكانية. وتكون تلك الفاعلية هي الأمر الدال على وجود الفاعل الإلهي .... وتظل الذات – في ذاها – دائماً محجبة ومنزهة عن العقل والحس، وما حجابها سوى مظاهر بقية نشاط خصائصها الإلهية التي تحرك بها سائر الكائنات، تكويناً وفاعلية وضرورة، من وراء ستار الكائنات، فتمكن فاعليتها الإلهية خلف أطياف سائر الصور والمظاهر الكونية وتكون في عالم الذات كأفكار عقلية مبصرة ثم تكون في عالم الموضوع الكوني كطاقة وحركة وسرعة، أو علل ثانوية وقوانين عامة". انتهى

إن الله ظاهر ظهوراً تاماً كاملاً شاملاً. وهذا الظهور كائن في حقيقته كما كان عليه دون أي تغيير في هذه الكينونة الأبدية. أي أن الله سبحانه وتعالى هو واجب الوجود الأزلي الأبدي، أول بلا ابتداء آخر بلا انتهاء، لا مكان ولا زمان يحدانه ولا بعد فيزيقي أو روحي يحتويه. وهو يظهر بالصفات ثم بالأفعال ثم بالذات، وظهوره لذاته لا يكون إلا لذاته، وقد ورد عن النبي ﷺ في هذا المعنى ما يلي :﴿ **اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، أعوذ بك منك سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك** ﴾: فلا يعرف الذات إلا الذات في المقام الذي عبر عنه الصوفية بقولهم " **العجز عن الإدراك هو قمة الإدراك** " وهو الأمر الذي يقرب إلى مفاهيمنا من خلال ما نعرفه عن قاعدة " **اللا تحديد** " – التي اكتشفها **فيرز هيزنبرج** عام ١٩٢٧ - والتي

تضع حداً للقياس والمشاهدة فيما يتعلق بالمكان والسرعة في اللحظة ذاتها، وهما العاملان اللذان يعينان مركز الجسيمات الصغيرة جداً.

هناك حجب خارجية كثيرة تحجب الذات الإلهية عن كل من وما سواها، هذه الحجب هي التي يسميها الصوفية **"الغير"** لأنها ليست العين أي عين الحق. وكل وجود دون مستوى الوجود الذاتي لله سبحانه وتعالى هو وجود حاجب، وبذلك لا يكون هناك وجود مخلوق إلا وهو وجود حاجب، لأنه يدخل في دائرة الغير كما وصفناها. ولكنه يعتبر في نفس الوقت سلم الارتقاء وبراق العروج ووسيلة الترقي في الطريق المؤدي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، ومن هنا كانت عملية إزالة الحجب في النفس الإنسانية وفي الكون الخارجي التي يمارسها الصوفيون في سيرهم في الطريق إلى الله هي السبيل الأخلاقي اللازم للوصول إلى أرقى المعارف عن الله سبحانه وتعالى.

طالما وجد الإنسان ووجد الكون، وجد الحجاب، ومع ذلك فالإنسان والكون هو معراج الوصول إلى معرفة الله ضمن عملية إزالة الحجب. وهكذا يبدو التناقض الظاهري فقط في كون **"الفصل"** هو **"الوصل"** ، و **"المنازل"** هي **"المصاعد"**، ويكون الإنسان بذلك حاجباً للحق عن نفسه بينما في نفسه سبيل الوصول إلى الحق، كما يكون الكون حاجباً للحق بينما هو في نفس الوقت سبيل معرفة الحق.

إن الصلة بين الإنسان وبين الألوهية، صلة عميقة وأصيلة وأساسها **"المعرفة"** الناتجة عن النشاط العقلي للمخ والقلب، والمعرفة هي لب العبادة، وهي من معجزات العقل الإنساني المستمد بدوره من سر النفحة الربانية الروحية، فالعقل

ليس إفرازاً عضوياً بحتاً كما يذهب إلى ذلك الماديون (**فخته وغيره ...**) إنما هو يتصل بالتركيب العضوي السوي للإنسان إلى جانب البيئة المحيطة التي تعتبر "**مادة**" المعرفة. والمخ - والجهاز العصبي المتقدم من الإنسان السوي - يستمد من الطاقة الكهربية ليؤدي نشاطه، والطاقة الكهربية ذات صلة، وإن كانت غير معروفة الكنه، بالقدرة العقلية النابعة من النفحة الروحية ذات الصلة بمصدرها الرباني الإلهي ﴿ ... **ونفخت فيه من روحي** ... ﴾ والقدرة العقلية بدورها قد تكون مرتبطة بالحواس وإنما خارجة عنها أو زائدة عليها، وهي عندئذ عقل مجرد عن فسيولوجية الجسد وقوانينه الطبيعية التي تحكم نشاطه، أو بتعبير آخر هي روح مطلقة عن جسدها لها قدراتها وقوانينها الخاصة بها والتي ما زالت معرفتنا بها في دائرة "**القليل**" كما يخبرنا القرآن وتستمد في حالتها هذه من طاقة لا نعلم عنها شيئاً.

وبذلك تكون الذات الإنسانية بطاقاتها العقلية والروحية وما تتصف به من وعي وإدراك، عاجزة عن إدراك كنه الذات الإلهية، لأن الذات الإنسانية بطبيعتها وبحكم وجودها في الدائرة الكونية ستظل يجهل كنه العديد من الظواهر والطاقات المتصلة بالكون، وفى نفس الوقت فإن هذه المادة والطاقة الكونية تعتبر هي معراج الترقي في المعرفة بخصائص هذه الذات، أي بأسمائها وصفاتها. والنشاطات الحسية في الذات الإنسانية ــ والتي تنتج عنها المعرفة ــ تعمل كلها في حقيقة الأمر بتأثير النشاط الطاقي والخصائص الأسمائية التي ينبع منها هذا النشاط. وكمبدأ عام، فإن الألوهية لا يمكن لذلك أن تخضع لتجارب علومنا المادية. فذات الله سبحانه وتعالى من الغيب الذي لا يمكن إدراكه بالحواس ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ الأنعام ١٠٣.

ومن هنا يعجز العقل عن إدراك كنهه ولهذا المعنى ذهب **روبرت موريس بيج** **(Robert Morris Page)** حيث يقول: إن الإله الذي يسلم الإنسان بوجوده لا ينتمي إلى عالم الماديات ولا تستطيع حواسنا المحدودة أن تدركه، وعلى ذلك فمن العبث أن نحاول إثبات وجوده باستخدام العلوم الطبيعية لأنه يشغل دائرة غير دائرتها المحدودة الضيقة ". ولعل معلومتنا عن بعض الطاقات الكونية التي مازلنا نجهل **"كنهها"** توضح مفهوم عدم قدرة العقل الإنساني على إدراك **"كنه"** الذات الإلهي، ولنضرب مثلاً على ذلك بالكهرباء. يقول الفيلسوف والرياضي البريطاني **بوتراند راسيل**:[٢] "الكهرباء ليست شيئاً مثل كاتدرائية القديس بولس مثلاً، إنها طريقه لتصرف الأشياء. وحينما نصف تصرف الأشياء عند كهربتها ونقول تحت أي ظروف تجري كهربتها، نكون قد قلنا كل ما لدينا أن نقوله. وبالنسبة للضوء – مثلا – فما زالت توجد نظريتان تفسران جميع ظواهر الضوء، ولا يمكن تغليب أحدهما على الأخرى للفصل في حقيقة الضوء، والنظريتان هما نظرية الدقائق والنظرية الموجبة، كل منها تفسر بعض الظواهر الضوئية. ودائرة المعارف البريطانية تقول عن الضوء : " إنه من المعاني الأصلية الأولى التي يعجز عن الوصول إليها أي معني آخر أو معاني أخرى نسخرها لتفسيره. فطبيعة الضوء لا يمكن تعريفها إلا بتعداد خواصه وببناء هذه الخواص على أبسط الأسس الممكنة. وبما أن هذه الأسس تعجز عن إدراكها خبرة هذه الحياة، فقد وجب أن نعبر عنها بصوره من صور المنطق البحت أي الرياضة... وبذلك يمكننا أن نصف كيف يعمل الضوء، مستعينين بالتشبيهات والاستعارات، وهذا الوصف هو **(حقيقة)** الضوء ولا يمكن أن نصل لأكثر من هذا الوصف. " العلم إذا لا يعرف شيئا عن **"كنه"** الضوء أو

---

[١] هو مكتشف الرادار عام ١٩٣٤.

[٢] في كتابه "النظرة العلمية".

طبيعته وكل ما توصل إليه هو معرفة **"خصائص"** الضوء فقط. ولذلك نتسـاءل، إلى أي مدي يتصل الرجل العالم بالحقيقة في ذاتها؟ إن الرجل العالم يكون قد وصل إلي **"قمة الإدراك"** عندما يعرف كل شيء عن أفعال وأوصاف الكهرباء أو الضوء أي التصرفات والخصائص، وهو يكون في ذلك في مرتبة **"العجز عن إدراك"** كنه أو ذات حقيقة الكهرباء والضوء، وهو نفس ما ذكرناه عن ذات الله التي يعجز كل من سواها عن إدراك كنه أو ذات حقيقتها، الأمر الذي سبق وقلنا أن الصوفية عبروا عنه بقولهم المشهور **"العجز عن الإدراك هو قمة الإدراك"**. وما نقوله عن الكهربية أو الضوء هو **"مثل"** لما نقوله عن ذات الله والأسماء والصفات الحسنى.

وقد تناول القرآن هذا "المثل" في الآية ٣٥ من سورة النور: ﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولم تمسسه نار نورعلى نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم .**﴾ النور ٣٥

فالكهربية المغناطيسية هي في فهمنا - والله أعلم - **"الشجرة المباركة الزيتونة"** لا شرقية ولا غربية بمعنى أنها شمالية جنوبية - قطبا المغناطيس - والتي توقد منها الزجاجة (**أي المخ وهي كأنها كوكب لأن المخ لا يضيء بذاته**) والتي يضيء زيتها من نور رباني المصدر لا نعلم عن حقيقة ذاته شيئا، وبما ينتج عنه نور المصباح (**أي العقل**) وهو سر النفخة الروحية الربانية ﴿ **ونفخت فيه من روحي** ﴾ والذي يعتبر بدوره **"مثلا"** لنور الله، نور السموات والأرض أي الكون كله ﴿ **نور على نور** ﴾ والذي نشاهد قدراته ولكننا لا نعلم عن حقيقته ذاته شيئا[1]. ومن هنا يمكننا أن ندرك المعني الذي قصده النبي الخاتم محمد ﷺ، عندما قال : ﴿ **تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروه قدره .** ﴾

---

[1] تناولنا هذا الموضوع بتفصيل أكثر فى كتابنا (الاسراء والمعراج والعلم الحديث) فليرجع إليه من شاء

عندما قرر القرآن حقيقة أن الله نور السموات والأرض، ونحن يستحيل علينا أن ندرك ذاته، فإنه يسر علينا أمر الفهم بذكره "**مثل**" هذا النور ممثلا في المشكاة والمصباح والزجاجة، مشيراً بذلك - في فهمنا والله أعلم - إلى الوعي العقلي (**المخ + الحواس في حدود الجسد**) وإلى الوعي الروحي (**الإدراك الزائد عن الحواس**) حيث:

المشكاة = الجمجمة أو الغلاف الحافظ للمخ في الإنسان.

الزجاجة = المخ الهش.

المصباح = الوعي العقلي والوعي الروحي.

وقد اعتبر القرآن الزجاجة كأنها كوكب دري بمعنى إنها لا تضيء بنور أو طاقة ذاتية وإنما تضيء من "**زيت**" من مصدر آخر غير النار، بالضبط كالكواكب التي تستمد إضاءتها من النجوم النارية، ﴿ **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** .﴾ وقد ذكرنا من قبل إننا نميل إلى اعتبار الشجرة المباركة الزيتونة إنها المعجزة الكهربية المغناطيسية لأننا نعرف أن الخلايا العصبية في المخ - النيورونات - تعمل بواسطة الشحنات الكهربائية. والشجرة مباركة لأن الله هو الذي أنبتها أي خلقها، وهي زيتونة لأنها أساس التوازن الكهربي في الذرة الذي يحقق "**سلام**" البنية الكونية كلها بتماسك الذرة بقوة "**الربط**" باعتبار الذرة هي أساس البنيان الكوني كله. وزيت الإضاءة رباني المصدر، والإضاءة ذاتها تتم بكيفية لا نعلم حقيقتها وإنما نشهد ونعلم تحققها من خلال آثارها فقط. وصدق الله العظيم: ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ العنكبوت /٤٣.

الذات الإلهي والأسماء الحسنى

إن الذي أريد توضيحه هو الفارق الموجود بين الذات وبين الأسماء فيما يتعلق بإدراك الإنسان. الإنسان - بكل إمكانياته - يعجز عن إدراك الـــذات، ولكنـــه يستطيع أن يدرك أسماء - أو صفات - الذات عن طريق مظاهرها أو مرائيـــها في النفس وفي الطبيعة ونظامها الأمثل. ﴿ **فارجع البصر هـل تـري من فطـور ثـم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير...** ﴾ الملك.

ومن هنا فإن أصحاب النظرة المادية يجانبهم الصواب حين يظنون أن العقيـــدة الدينية هي تقديس لمعبود لا تناله الحواس ولا يدرك صفاته العقل، وتفترض معـــه جنة خيالية بعيدة عن الواقع. ومن هنا فإن العقل الإنساني يتعامل مع فكرة الألوهيـة في وضوح وليس في إبهام، وذلك من منطلق حقيقة بسيطة وهي أن الله في الحقيقـة ﴿ **نور السموات والأرض** ﴾ النور ٣٥. ولولا النور في الكون لتعطلت الحـواس الإنسانية، ولساد الكون ظلام يعني الجهل التام بحقائق الوجود والتعطل التام لقـدرة الإنسان على تشغيل الحواس، وبالتالي تعطل المعرفة الإنسانية. وبذلك يتضح الفارق بين الكمال الإلهي والنقص البشري، وعند هذه المرتبة يتلقى الإنسان "**هدي**" الإلـه ليختط على أساسه نمط سلوكه في حياته الواقعية، يستعمل قدراته العقليـــة لتنميـة حصيلة تجاربه في إطار الممارسة الفعلية لتعاليم الدين وتوجيهاته وبما في هذه التجربة من خطأ وصواب واستقامة وانحراف وطاعة ومعصية وجهاد ومجاهدة ... وكلـــها ظلال الصورة الآدمية في القرآن.

إن الإنسان يستطيع بعقله – وفي حدوده – أن يكون فكرته عن الإلـــه مـــن خلال أسماء وصفات الإله الحسنى. وقد اعتبر الفيلسوف والشاعر الصـــوفي **محمـــد إقبال** أن تصور الذات الإلهية متصفة بصفات البشر أمر لا مفر منه ولا يمكن تجاهله في فهم الحياة، لأن الحياة لا يمكن أن تفهم من داخل النفس، بينما كان المخرج من تصور صفات الله على مثال صفات البشر هو الذي حدى بابن حزم الأندلسـي إلى التردد في نسبة " **الحياة** " إلى الله فقال " **وعندي أن تصور صفة الحيـــاة للـــذات الإلهية يكون من خلال** المظهر **الكوني أو الكائن للاسم في الأشـــكال والصـــور المختلفة ومنها** حياة **الإنسان** " وهذا التصور الأسمائي يقترن بالتنــــزيه الكمـــالي الواجب لله سبحانه وتعالى، النافي للمثلية عنه سبحانه وتعالى في كل شيء وهـــي دائرة توحيد الذات للذات التي أشرنا إليها فيما سبق. ويجب أن ندرك أنه لا يلـــزم تصور صفات الله على غرار صفات البشر، كما ذكر ابـــن حـــزم، ولا تصورهـــا متصفة بصفات البشر كما ذكر إقبال، إذا أخذنا في اعتبارنا فكرة "**التضاد**" فيمـــا يتعلق بالكمال الإلهي والنقص الإنساني. وربما كان من المفيد أن ينظر الإنســـان إلى صفاته البشرية باعتبارها مظاهر أو مرائي للأسماء والصفات الإلهية الإيجابية التأثـــير، كما تنسب صفات الإنسان إلى ذاته الواعية، فإذا كان الإنسان ذاتاً واعية ومدركـة وهو يتصف بالنقص في صفاته فإن الله ذات واعية مدركة تحمل " **الكمـــــال** " في أسمائها وصفاتها، وهذا ما يقتضيه فارق النقص والكمال بين المخلـــوق والخـــالق. وتكون النتيجة أن كل نقص يضاف إلى الأسماء والصفات الإنسانية هو انعكـــاس لكل كمال يضاف إلى الأسماء والصفات الإلهية في إطار معـــنى (**ليـــس كمثلـــه شيء**). أي في كل شيء. ويذهب البعض إلى القول بأن الذات، باعتبارها ذاتـــاً، لا بد أن تشغل مكاناً – وهو في حالة الإله مكان خاص يليق بهـــا، ولكـــن الحقيقـــة

- عندي - بالنسبة للآيات التي تتصل بهذا الأمر الذي نتحدث عنه ومثالها الآيات التالية:

- **﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ﴾** المجادلة / ٧
- **﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾** يونس/٦١
- **﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾** ق / ١٦.

الحقيقة عندي أن المفهوم الذي تبرزه هذه الآيات ليس هو " **المكان** " ولكن هو " **الوسعة** " التي تتصف بها الذات الإلهية في تجاوز للزمان والمكان النسبيين بالنسبة إلى القياس الإنساني.

إن أول ما يشد الانتباه إلى الفكرة الإلهية في القرآن، هو استحواذ هذه الفكرة على الوجود في كل صوره وأشكاله، بحيث تنتفي عن هذا الوجود كله صفة الاستقلال، سواء في الإيجاد الأول أي الخلق، أو في استمرار الوجود كله. وبذلك أيضا فان فكرة الألوهية تستحوذ على الإنسان الفرد - وينعكس أثرها بالتالي على الجماعة المنظمة - في حواسه المدركة وفي إدراكه الزائد على الحواس، وفي فكرة وشعوره ونفسه وسره وخياله وتصوراته بحيث تمتد لأبعاد عميقة جدا في الشعور والسر والخفى وما هو أخفى من دوائر الوعي الباطن أو اللاوعي، وينعكس ذلك على السلوك الفردي حيث لا يراقب الفرد إلا نفسه، وعلى السلوك الاجتماعي بدرجاته المختلفة (**أسرة.. قبيلة.. جماعة ... شعب.. أمة ... إنسانية..**)

بما تتحلى معه إمكانية التأثير للوجود الذاتي الإلهي على الوجود الذاتي الإنساني ليصبح الإنسان ذاته إيجابي التأثير على نفسه وعلى الدوائر الاجتماعية التي ذكرناها سالفاً وهو ما يفهم من : ﴿ **يهديهم الله بأيمانهم** ﴾و﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾و﴿.. **تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** .﴾ من هنا فإن موقف الإنسان الفرد من الإله سيمتد إلى موقف له من الكون بكل كائناته ومن المجتمع بكل أفراده، يمكن معه أن تتبلور وتنطلق إيجابية الإنسان لتبدع وتطور وترقى، كما سيبلغ الإنسان اطمئنانه وأمانه حين يفرض على نفسه نظام الله الأخلاقي، ليعيش في سعادة ووفاق مع هذه النفس أولاً ثم مع سائر الناس في المجتمع، وأخيراً مع الإنسانية جمعاء في العلاقة بين الشعوب والأمم، لأن ذكر الإله يؤدى إلى الأمان والطمائنينة والسلام النفسي الذي ينعكس أثره حتى على الكيان العضوي الإنساني ذاته.

إن الإنسان سيمكنه أن يدرك قدرات أو صفات أو أسماء الإله إذا بحث في الطاقات والقوى الكونية، وهو سيسجد أي يخضع حتماً لله إن هداه عقله إلى معرفة الحقائق حول هذه الطاقات والقوى لأنها هائلة، عظيمة، مخيفة، فيها من مظاهر الجمال ما يدهش، وفيها من مظاهر الجلال ما يحير، وهى حالات لا يعرفها إلا العلماء الذين يحتمل أن يكون قد فاقم الإيمان بالقرآن نتيجة عدم دراسته، أو دراسته دراسة سطحية بغير لغته العربية، أو الإهمال نتيجة النظر إلى واقع المسلمين المتخلف، أو إضمار سوء النية للقرآن ونبي القرآن ودين القرآن.

يكرر القرآن في الآية ٤١ من سورة فاطر: ﴿ **إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولإن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً** ﴾ وهو يشير بذلك إلى السنن والقوانين في الطبيعة، وهى التي يثبتها القرآن

جنباً إلى جنب مع حقيقة الطاقات والقوى. إن الأمر بذلك هـو أمـر القوانـين الطبيعية التي تتحكم في، أو تحكم، هذه الطاقات والقوى الكونية كلها في نظـام. كل شئ يخضع للإمساك الإلهي أي الإمساك بواسطة الطاقات التي تعمل في إطـار قوانين وسنن محددة التي لولاها لتضاربت المخلوقات كلها فى فوضى، ويزول معـها النظام، وتختل وتتضارب وتتناقض فيها القوانين، وهي الحالة التي يصورها القرآن فى تقريره: ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ الأنبياء / ٢٢.

يمكن لأي عالم أن يتصور النتيجة التي تحدث فى الأرض لو سادت الفوضـى محل النظام فى المجتمع الكوني... إنها نتيجة رهيبة من التدمير والفساد والضـرر، إن تحققت فمن ذا الذي يمكنه أن يعيد إلى المجتمع الكوني الهـائل نظامـه المفقـود؟: ﴿ **وإن زالتا أن أمسكهما من أحد من بعده** ﴾ فاطر ٤١. إن الإنسان، علـى الأقل، لا يستطيع ذلك.

والإنسان يعلم أن الذرة هي التركيب الأولى لمـادة الكـون كلـه، أي السموات والأرض كما يذكر القرآن. فما هو السر وراء إمساك الذرة أو توازنهـا ؟؟ إن العلم يخبرنا أن النواة الذرية تركيب متماسك تماسكاً شديداً لا يتفكـك إلا تحت ظروف طاقة عالية جداً.

ويخبرنا أن هناك ذرات مستقرة وذرات غير مستقرة، إن عدم الاسـتقرار فى نوى الذرات من عدم امتداده بالطاقة من الخارج، يتصل بقوى التي تعمـل بـين مكونات النواة وتحفظها متماسكة مع بعضها البعض تماسكاً تاماً، كما يخبرنا العلـم أن تماسك الجسيمات النووية داخل النواة يرجع أصلاً إلى النقـص في كتلتـها في الحقيقة عن المجموع الكلي لكتل جسيماتها. وكلما زاد هذا النقص زاد اسـتقرار

النواة وتماسك جسيماتها، وتسمى الطاقة المكافئة لهذا النقص بطاقة الربط. وقد قاس العلماء كتل أغلب النوى المستقرة وغير المستقرة وحسبوا نقص الكتلة وطاقة الربط في كل منها. وكانت النتيجة التي وصلوا إليها أن متوسط طاقة الربط التي تخص الجسم الواحد في نواة، أي طاقة الربط مقسومة على مجموع البروتونات، تتراوح دائماً بين ٦ر٩ مليون إلكترون فولت.

والقوة التي تربط الإلكترونات في نواة الذرة هي "**قوة جذب الكهربية الساكنة** " ELECTROSTATIC.

إن العقل الذي يثبته القلب المؤمن سوف يصل إلى مدارك من الحقيقة عن طريق وجهها الكوني فقط، بالضبط كما أنه سيصل إليها عن طريق وجهها القرآني فقط. ومعارج الحقيقة "**علوم**" وسبيلها " **التجريب والتجريد الرياضي** " أو " **المشاهدة والاستقراء والاستنتاج** " ...الخ.

والعقل عندما يصل إلى الحقيقة في الصورة التي تتطابق فيها أجزاؤها في الكون مع القرآن، فإنه سيكون قد وصل إلى المعاني الحقيقة للإيمان بالله وبالكتاب " **القران**" و"**بالرسول الخاتم** " "**الإنسان** " ويبقى على العقل أن يدرك تطابق الحقيقتين حتى نؤمن بوحدة الحقيقة ذاتها كما جاء بها الكتاب المقروء قرآناً، فيؤمن به وبآياته. والإيمان ينتج ويزداد بالبحث العقلي الذي يتوصل إلى إدراك تطابق الحقيقة في الكون مع الحقيقة في القرآن، وهي تعني كما ذكرنا، "**وحدة الحقيقة**" ولما كانت الحقيقة في ذاتها واحدة ولها مظهران، كوني وقرآني، فإن إدراك هذين

المظهرين المتماثلين تماماً لا يأتي بالدرجة الأولى إلا عن طريق البحث العقلي وترقي هذا البحث في صورة المعرفة الإنسانية.

ولما كان الكون حديثه هو حالته، وتعبيره هو وجوده في الصورة الطبيعية (**المادية الطاقية**) وتسبيحه هو منطوقه غير المعلوم لنا، فإن الإنسان يظل - وهو في دوره العاقل - في حاجة إلي حديث بياني بالأسلوب الذي يناسب ميزته العقلية، ليدرك بهذا الحديث الحقيقة الكونية في صورة منطوقة ميسرة يمكنه أن يفهمها من حيث مخاطبتها لعقله. ويكون هذا الحديث مكتملاً في النظرة المعرفية، اكتمال الكون في النظرة الخلقية، فيدرك الإنسان به أن الأمر كله هو الحق من عند الله. وعندئذ تثبت الصلة بين الكون وبين مكونه، وبين القرآن وبين منزله، وبين الإنسان وخالقه:

﴿ **وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم...** ﴾ الحج / ٥٤.

إن الذي يتناول مفهوم الألوهية في القرآن - مع التفاوت في قدر الفهم- يتعين عليه أن يتناول موضوع الزمان ونسبته وصلة بالمكان من خلال النتائج الصحيحة للعلم الإنساني في مداركه المستمرة الترقي نتيجة النظر العقلي الدارس للكونيات والإنسانيات حتى إذا ما انكشفت ظاهرة نسبية الزمان وصلتها بالمكان- بما فيه الفضاء - فإنه يمكنه أن يترقى إلى الحقائق والأبعاد والخصائص الرياضية المجددة التي تصنف أو تفسر تصرفات الطبيعة وما فيها بما يفتح المجال لفهم توافيق عالم الروح الذي يشهد تجليات الألوهية من زوايا إدراكية أخرى تنتج عنها علوم ومعارف لها طبيعة قد تختلف عن علومنا وتجاربنا مع العالم الطبيعي.

إن علينا أن نفهم كيف يتصرف العالم الطبيعي حتى نفهم كيف يتصرف ربنا سبحانه وتعالى في هذا العالم حتى تتضح لنا آيات الله، خاصة فيما يضربه القرآن من أمثال كي يعقلها الإنسان ويتدبرها ويفهم معناها، ولا بد أن ندرك جيداً أن هناك عالم روحي يسميه القرآن بعالم الأمر يختلف تماماً عن هذا العالم الفيزيقي المتصل بالإنسان، ومعلوماتنا بالنسبة لتصرف ربنا فى هذا العالم الروحي ما زالت قليلة، ومن ثم يكون الاعتماد على الوحي الإلهي ضروري لفهم هذا العالم بالقدر المتاح من المعلومات التي ينقلها إلينا هذا الوحي. وليس يمنع ذلك من أن نجتهد بقدر ما يتوفر لنا من وسائل ومعلومات لفهم هذا العالم الروحي - عالم الأمر - فهماً أكبر من خلال التعامل مع هذا العالم نظرياً أو اتصالا واختباراً بالقدر الذي تسمح لنا به علوم مثل الباراسيكولوجي والإدراك الزائد عن الحواس وما وراء الطبيعة وبعض التجارب الروحية الحديثة بالإضافة إلى علم السحر.

كما أن الذي يتناول مفهوم الألوهية في القرآن ينبغي عليه أن يتناول مفهوم، التعبير القرآني الذي ورد في مطلع سورة النور والذي يقرأ ﴿ **الله نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونية لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم** ﴾ النور ٣٥، وهو تعبير يحوي معاني وحقائق عميقة جداً في بيان مفهوم الألوهية القرآني.

ومنه نعلم أن الله سبحانه وتعالي هو موجد السموات والأرض، وأنه سبحانه وتعالى مصدر الماديات والطاقات والقوي في السموات والأرض، وأنه سبحانه وتعالي عليم ومحيط بالسموات والأرض وما فيهم ومن فيهم، وأنه سبحانه وتعالى هو الموجد لمصادر الضوء أو النور فى السموات والأرض، وأنه لولا الله سبحانه

وتعالي لانعدم ضوء أو نور السموات والأرض وانعدم كل ما فيهم مــن ماديــات وطاقات وقوى حتى يصير الكون عبارة عن فراغ في ظلمة تعكس المقام المعـــروف لدي علماء الدين مقام (**كان الله ولا شئ معه**)

لقد تحدثت الآيات في سورة النور عن مثل الله يقرب الأمـــر إلى عقولنـــا تيسير للفهم.

فالمشكاة والمصباح والزجاجة هم منافذ الوعي والإدراك العقلي والروحـــي لدي الإنسان.

المشكاة = الجمجمة

الزجاجة = المخ

المصباح = العقل

والزجاجة أو المخ توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربيـــة أي أنها شمالية جنوبية في إشارة إلى الطاقة الكهرمغناطيسيه التي يعمل بواســـطتها مـــخ الإنسان عن طريق الكهربية الموجودة في خلايا المخ المعروفة بالنيورونات.
وزيت الزجاجة التي هي المخ كما قلنا يضئ من طاقة أو قوة غير النار بحيث يكـــون الزيت أو الوقود هو الكهرباء، بينما الإضاءة أي العمل العقلي أو الروحي مصـــدره نور رباني من النفخة الروحية، أي طاقة، ربانية لا نعرف عنها شيئا حتى الآن هـــي التي تتصل بها وتستمد منها الروح نشاطها الواعي بعد موت الإنسان وتوقف عمـــل المخ وانعدام الاتصال بوقود الشجرة الذي هو الطاقة الكهربائية.

وتعتبر الشجرة مباركة لأن الذي أنبتها هو الله سبحانه وتعالى، كما أنها زيتونة لأنها أساس السلام الكوني كله في ذراته المتعادلة سلباً وإيجاباً بما تتضمنه الذرة من قوة ربط أو طاقة ربط لمكوناتها هي التي عبر عنها القرآن بقوة الإمساك في قول الله تعالى ﴿ **إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا** ﴾ . والنور في الآية ﴿ **الله نور السموات والأرض** ﴾ يحتوي على خصائص تزيد أو تعلوا على خصائص النور الفيزيقي أي الضوء.

فالنور الفيزيقي خاصيته الأساسية هي الإضاءة فيما نعرف من الكهرباء وما يتصل بها من مغناطيسية كما أن النار مصدر للنور أو الضوء.

أما النور الوارد في سورة النور فهو إلى جانب خاصيته في الإضاءة الشديدة له خاصية الوعي والإدراك فيما نعرف من الوعي العقلي أو الروحي، ونقصد بالوعي العقلي وعي الإنسان المتصل بالجمجمة والمخ وقودها من الزيت الذي هو الكهرباء أو الشجرة المباركة الزيتونية في اتصال بالحواس.ونقصد بالوعي الروحي الوعي المتصل بالمخلوقات الروحية الصرفة كالملائكة والروح، وكذلك أيضا الوعي الإنساني العقلي عندما يتجرد من الحواس أو عندما يتصل بالوعي الروحي للكائنات الروحية الصرفة الذي يعرف في الروحية الحديثة بواسطة الغيبوبة، أو وعي الفؤاد المتصل بالقلب.

الوعي العقلي لدي إنسان هو نور من النفخة الربانية الروحية، ويظهر نشاطه عند الإنسان بتفاعل مختلف أجهزته الجسمية في اتصال بطاقة الكهرباء وفي استمداد من طاقة نورية ربانية لا نعلم عنها شيئا.

فهناك علاقة بالنسبة للإنسان بين الكهرباء بنورها أو ضوئها الفيزيقي وبين إشراق خصائص ونشاط أو عمل النور الرباني الروحي الذي هو معجزة العقـــل[1] لدى الإنسان، بحيث تظهر الطاقة العقلية لدى الإنســان وهــي ذات الخصــائص الروحية النورية، من خلال ذلك التكوين الهيكلي المسوى الذي تتصل به الطاقــات الكونية المعروفة في الكون، وعندما يصل الإنسان إلى مستوى الوعي الروحي فإنــه عندئذ لن يحتاج إلي وساطة الكهرباء لإظهار نشاط هذا الوعي لديه.

كما أن العوالم الروحية الصرفة لا تحتاج لأي طاقة فيزيقية - كهربية أو غير كهربية - لأداء وظائفها ونشاطها.

إن إدراك الله سبحانه وتعالي للكون هو إدراك كلي بالكليات والجزئيـات، وهو غير محدود ومن هذا الإدراك الكلي غير المحدود تكون هبة الإدراك، الجزئــي المحدود للإنسان، فالله سبحانه وتعالي ﴿ **وسع كل شئ علماً** ﴾، طه /٩٨، أمــا علم الإنسان الجزئي فهو مواهب جزئية محدودة من الكل الشامل المحيط غير المحدود ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** ﴾ البقرة / ٢٥٥.

ولما كان البقاء الأولى الآخرى، أي البقاء الذي لا بداية له ولا نهاية، هو مـــن خصائص الإله وحده، فإن كل كائن يتميز بنوع من الإدراك الواعي، والذكاء لابد أن يكون فانيا، ويكون الفناء من طبيعته التي خلقه الله عليها، وهو المعـــنى الـــذي يمكن أن يشمله النص القــرآني ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ الرحمن الآيتان ٢٦،٢٧. والكون لا يحد الله سبحانه وتعـالى،

---

[1] اللب باعتباره مركز المخ ومتحكم في النشاط المادي للإنسان. والفواد باعتباره مركز القلب ويتحكم في النشاط الروحي للإنسان.

لأن الكون دائم التغير في اتساع وامتداد بعد انكماش، وكان مركزا في كرة من النار، والغازات ذات كثافة عالية كانت هي نواة كل المادة والطاقة في الكون الذي كان لا صورياً في الأصل وصوري بعد مراحل تطوره في الزمان[1].

كيف نعرف الله ؟

ومع هذا النظر العميق في آلاء الله من خلال عمق الصنعة الكونية وما بث الله فيها من دابة، وما قد يبدو معه الأمر من صعوبة في فهم قدر الإله سبحانه وتعالى، فإن الأمر يعود في حقيقته ليكون بسيطاً أشد البساطة[2]. ولعلنا يمكن أن نقول : إن أعظم شئ في مفهوم الألوهية القرآني أن الذات غير المدرك يمكن أن يكون واضحاً بشكل بسيط وميسر. أو بعبارة أخرى إن بلوغ **"الألوهية"** في القرآن في فهمنا لها لدرجات من الصعوبة العلمية الشديدة لا يتنافى مع أن يبدو الله سبحانه وتعالى في نهاية الأمر في مفهوم بسيط وواضح أشد الوضوح. وهذا هو المعنى الذي قصد إليه رسول الله ﷺ حين قال فيما روي عنه في كتب الحديث: ﴿ **اللهم ارزقني إيمان العوام** ﴾ أي إيمان البسطاء من الناس، أولئك الذين قال

---

[1] هذا ما تقرره نظرية "الدوي الكبير (BIBANG) العلمية الحالية تمشيا مع المفاهيم القرآنية، ومفهوم النظرية باختصار غير مخل هو الآتي : إذا كان الكون يتسع بصفة مستمرة ورتيبة فإنه يكون من المنطقي أن نفترض أنه كان أصغر

[2] ونفس الشئ بالنسبة للكون وتفسيره الفيزيائي. فرغم أن الكون يبدو في طاقاته وأساليب تكوين وتصرف هذه الطاقات شديد الصعوبة في فهم تركيبه وطريقة عمل وتكوين طاقاته، فإن أعظم شئ في هذا الكون ذاته هو إمكانية فهمه في النهاية في صورة مبسطة واضحة أشد الوضوح.

أحدهم : (**إن البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير أفــلا يــدل هــذا الكون العظيم على الخالق سبحانه وتعالى؟**) أو كالمرأة التي ســئلت عــن ربهــا فنظرت إلى السماء وقالت هو في السماء) مستهدفة نفس المعــنى الــذي قالــه الأعرابي السابق.

إن البساطة الكائنة في فهم الأسماء الحسنى وصفات الإله المعبــود في المفــهوم القرآني تنأى بالناس من تعقيدات وألغاز وطلاسم معتقدات التثليــث في التلقــين الكنسي اللاهوتي. وقد أشار إلى الحاجة إلى البساطة في فهم الإنسان لصفــات الله توماس جيفرسون ثالث للولايات المتحدة الأمريكية الذي قال بلغته[1]

"when we shall have done away with the incomprehensible jargon of the Trinitarian arithmetic. That three are one, and one is three; when we shall have knocked down the artificial scaffolding. Reared to mask from view the very simple structure of Jesus; when, in short, we shall have unlearned every thing which has been taught since his day, and got back to the pure and simple doctrines he inculcated, we shall then be truly and worthily his disciples".

القرآن يخبرنا على سبيل المثال بأن الله يقترب من الإنسان بقدر اقتراب الإنســان منه. إن الله يوجه الإنسان في سلوكه بقدر ما يتوجه الإنسان إليه. وهــو الــذي يستشعره الإنسان في كل نفس من أنفاسه خلال تجربته في الحياة التي يلتقي فيـها في كل تجربة مع الله بأسمائه الحسنى التي تحيط بالكون كله بما فيه الإنسان من خــلال الحب والرحمة والتسامح الإلهي مع الخلق المفتقرين دائماً إلى هذه النعم الــتي تميز العطاء الإلهي للإنسان. كل واحد حسب استعداده ومستواه من الحب لله والقــرب إليه والاستمداد منه والإسلام له والتتريه لمقامه.. والإله يعلن عن نفسه بأنه قريــب من كل إنسان قرباً هو أقرب من قرب أعضاء الإنسان للإنسان. قرباً يشمل كــل إنسان فرد فى سره وعلنه.. في فكره وسلوكه.. منفرداً كان أم في جماعة الله قريــب من الفرد ومن الأسرة ومن المجتمع ومن الشعب ومن الأمة ومن العالم بكل من فيــه

---

[1] الرئيس الأمريكى توماس جيفرسون وهو من أتباع الموحدين Unitarians

وما فيه من مخلوقات... ومن الكون كله، ولذلك لا يحتاج الإنسان إلى وساطة كهنوتية للتعامل مع الله والتقرب إليه والاقتراب منه من خلال علاقة بين الفرد وربه تقوم على الإسلام والإيمان والمحبة والإخلاص والطاعة.. الخ.

وتستند إلى فهم لصفات الله الواحد الأحد أو أسمائه الحسنى والاستشعار العقلي والروحي لوجوده وحيطته، وإحاطة علمه، وسمعه، وبصره وحياته وقربه وعدم غفلته لحظة زمان، وديمومته، وقيوميته إلى سائر أسماء وصفات الله سبحانه وتعالى علواً كبيراً عما يصفون، والتي يمكن للإنسان أن يفهمها ويدركها من خلال التشبيهات والأفعال والحكم في اتصاله بالكون والمخلوقات فيه، والنفس الإنسانية وتجاربها في الحياة.

وقد روي عن النبي ﷺ قوله : **﴿ تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في ذات الله، فإنكم لن تقدروه قدره ﴾** وهو ما يعكس معنى النص القرآني: **﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾** آيه ٦٧الزمر، فذات الله سبحانه وتعالى من الغيب الذي لا يمكن إدراكه بالحواس: **﴿ لا تدركه الأبصار ﴾** الأنعام آية ١٠٣. ومن هنا يعجز العقل عن إدراك كنهه، ولذلك يسلم العلماء اليوم - أو كثير منهم- بأن قدرة الإنسان على الملاحظة لا تستطيع أن تمتد لغير جزء ضئيل نسبيا من الحقيقة الكلية ولذلك يقول روبرت موريس بيج[1]: **"إن الإله الذي يسلم الإنسان بوجوده لا ينتمي إلى عالم الماديات ولا تستطيع حواسنا المحدودة أن تدركه باستخدام العلوم الطبيعية لأنه يشغل دائرة غير دائرتها المحدودة الضيقة ".**

[1] مكتشف الرادار عام ١٩٣٤ Robert Morris Page

ولكن للذات أسماء كلها حسنى. وهذه الأسماء تنعكس في المخلوقات كلها المعروف منها لنا وغير المعروف، المنظور منها وغير المنظور، ومن هنا تكون معرفتنا بالإله الذي نعبده. فهذا الإله في ذاته المجهولة لنا يمكن التطلع إليه باعتبار أن له أسماء أو صفات معلومة يكون إدراكنا لها من خلال آثارها الناتجة عنها. هذه الآثار هي كل ما يدخل في دائرة المخلوق : المادة والطاقة والنبات والحيوان والإنسان والملائكة والروح والجن وما قد يكون في الكون من عوالم ذكية لا نعلمها. هذه الآثار كلها - أي المخلوقات - تدخل في إطارها القوانين السارية في الكون أو السنن كما يسميها القرآن. وبقدر الإحاطة أو الإحصاء لما هو مخلوق تكون الإحاطة أو الإحصاء لأسماء الله الحسنى. ولما كان العلم لا يمكنه أن يصل إلى درجة الإحاطة النهائية بكل ما هو مخلوق فإنه لا يمكن بالتالي الإحاطة بالأسماء كلها فضلا عن ذات الله وهو المعنى الذي يقول فيه القرآن في سورة طه: ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً** ﴾ آيه ١١٠طه. وهذه الكثرة المخلوقة فى صورها الحالية تعكس فى حقيقة النشأة الأولية وحدة مخلوقة هي كرة النار المبدئية التي هي مصدر كل المادة والطاقة الكونية وهذا إذا اعتبرنا أن نظرية الانفجار الكبير **(Big Bang)** صحيحة. وذلك أمر مفهوم لأن الأسماء الكثيرة تعكس وحدة واحدة خالقة هي الذات المعبر عنها بلفظ الجلالة (الله). وإذا كان علماء الفيزياء يحدثوننا اليوم عن القوى الأربعة التي يتكون منها البنيان الكوني كله وهي الجاذبية والكهرومغناطيسية والقوى النووية الشديدة والقوى النووية الضعيفة فإنه من غير المستبعد أن تكون هذه القوى الأربعة مرتبطة فيما بينها ارتباطاً وثيقاً وتعكس قوة واحدة تربطها جميعاً، وتعتبر هذه القوى الأربعة مظاهر متعددة لحقيقتها الواحدة. وعلم الفيزياء المعاصر قد أثبت لنا وحدة القوة الكهرومغناطيسية والقوى النووية الضعيفة فيما سمى بنظرية **(The Electro Forces)**. وإذا كان علماء

الفيزياء يحلمون بتحقيق (**نظرية التوحيد للقوى**) (**Grand Unified Theory**) على أساس الوصول إلى الاحتمال الذي قلناه سالفاً من توحيد القوى الأربعة في قوى واحدة - وهو الأمر الذي يجدر بنا أن نشير إلى أن واضع نظريتي النسبية كان يعمل على الوصول إليه ولكنه مات دون أن يحققه - فإنه من غير المستبعد أن يجيء اليوم الذي يتحقق فيه هذا الذي يرجوه علماء الفيزياء، ومن ثم تنعكس القوى الأربعة الأساسية في البنيان الكوني كقوة واحدة في الحقيقة تعكس بدورها الإله الواحد الذي نؤمن به ونعبده. وتكون هذه القوى الواحدة المخلوقة عاكسة للقوى الواحدة الخالقة، ويكون المخلوق كما سبق أن قلنا انعكاسا للأسماء وأثرا من آثارها، مخلوق وخالق.

ولما كانت هناك موجودات مخلوقة في العالم الفيزيقي مازالت لا ترى حتى بأدق وسائل الرؤية، ومثالها كما ذكرنا في غير هذا الموضع (**Quarks**) داخل البروتون والنيوترون في نواة الذرة، وهي الموجودات التي أمكن لعلماء الفيزياء اكتشافها مع إمكان أن تكون هناك أنواع من الحبيبات الأخرى أكثر صغراً لم يكتشفها العلماء بعد ولا يمكن أن تكون محل ملاحظة في المعمل، نقول لما كان ذلك كله فإنه يكون من البديهي أن نؤمن بصحة ما يقرره القرآن عن استحالة إدراك الله سبحانه وتعالى بالبصر.

ويصبح الأمر أكثر بداهة إذا أدخلنا البعد المكاني إلى جانب هذه الحقائق الفيزيائية، فالكلام في زمان بداية الخلق- وبالتالي نظرية علمية تتحدث في هذا الشأن - يصعب أو يستحيل تصوره - مثل لحظة الزمان في البداية عشرة أس خمسة وأربعون من الثانية يعتبر أبعد وأعلى مما يستطيع أن يعالجه الفكر الإنساني

الذي يعالج زماناً حول عشرة أس ستة وعشرين من الثانية فقط. أما فوق ذلك من لحظات الزمان فلا يمكن تصوره ولا إخضاعه للتجربة [1].

ويبدو أن كل هذه الترتيبات في القوى الكونية قد خلقت بطريقة تمكن لحياة الإنسان بعد ظهوره، ولولا هذه الترتيب الهادف المقصود لما كنا نحن هنا الآن لنقول ما نقول عن هذا الكون وعجائبه. والسر في ظهر النوع الإنساني هو تلك الصفوة المختارة منه لتكون الواسطة في هداية البشر نحو القانون الذي يضعه الله سبحانه وتعالى للإنسان ليعيش به في نظام أخلاقي واجتماعي قائم على أساس التوحيد، بالضبط كما وضع الله سبحانه وتعالى القانون للسماوات والأرض ليعيش الكون بقواه المختلفة فى نظام أساسه التوحيد. وصفوة المختارين هو الرسول الخاتم الذي ظهر في صورة بشرية وحقيقته نورية في ذاهّا الممدة بالنور لغيرها من الذوات، وقد وصفها القرآن بأهّا سراج منير.

وهناك أمور غيبية كثيرة لا يزال العقل البشري عاجزاً عن الوصول إلى أبعادها الحقيقة رغم التقدم الهائل في علوم الكون. وعلى سبيل المثال فإن الحد المعاصر للعلوم الفيزيائية لا يزال عاجزاً - ربما لطبيعته ذاهّا - عن الوصول إلى حقائق الغيبيات التي لا تخضع لمقاييس الحس البشري بطبيعتها، والتي مع ذلك تضفي عليها العلوم الرياضية أضواء أكثر وضوحاً في البيان. فالرياضيات تعتبر أعلى درجات

[1] يحاول العلماء جاهدين أن يصلوا إلى أقرب بعد زماني من لحظة الخلق الأول الذي حدث فيها الانفجار الكبير، ولكنهم لم يستطيعوا حتى الآن أن يصلوا إلى هذا البعد الزماني للصعوبة البالغة التي تكتنف تلك المحاولات النظرية التي لا يمكن إخضاعها للتجربة.

العلوم في الصحة والدقة، وبالتالي أقدر العلوم على التغلغل النظري إلى أبعاد تعلو الأبعاد التي يعالجها علم الفيزياء وعلم الفلك الفيزيائي.

حديثنا في الله والكون يجئ من منطلق الترابط اللازم بين الخالق والمخلوق، وهي الحقيقة التي يبرزها القرآن ويكررها عبر آياته من خلال سورة. وذلك أن الكون كله متحقق بمشيئة الذات الإلهية وإرادته. وسر البداية الوحودية هو في الحقيقة سر البداية الإيجادية بالأمر المعبر عن الإرادة[1] والمنقول إلينا بالكلمة بيانها الميسر للذكر في القرآن هو: ﴿ **كن فيكون** ﴾ يس أية ٨٣. ولما كانت الحياة لا تزال قائمة، ولا تزال العمليات الكيميائية والطبيعية تسير في طريقها فإننا يمكن أن نقول بالمفهوم العلمي: إن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط في الوجود، ويكون الأمر أنه لابد أن يكون لهذا الكون بداية، وهو المعنى الذي يقول فيه أحد كبار علماء الحيوان والحشرات[2]: "**إن العلوم تثبت وجود الله لأن ماله بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ بنفسه ولابد له من مبدئ أو من محرك أول أو من خالق، هو الإله**".

والحركة – ويمكن التعبير عنها بالسلوك أيضاً – هي نتاج الإرادة والمشيئة لذات الإله. والحركة والسلوك المتصلان بكل أنواع المخلوقات وعلى اختلاف المراتب – المادية أو الطاقية غير العاقلة (**السموات والأرض**)، الطاقية العاقلة (**الملائكة والروح**)، والمادية الطاقية العاقلة (آدم) ومع الأخذ في الاعتبار لحقيقة الحرية

---

[1] أي أن هذا الوجود أوجده الله سبحانه وتعالى بإرادته وتكون لهذا الكون بداية ناتجة عن أمر الله الذي توضحه كلمة "كن فيكون" التي وردت في القرآن

[2] Edward Luther Kessel

والاختيار فمشيئة الذات الإلهية سابقة بالضرورة على مشيئة الغير من الذوات سواء بالنسبة للمخلوقات العاقلة أو غير العاقلـة **﴿ ومـا تشـاءون إلا أن يشـاء الله ﴾** الإنسان آية ٣٠، **﴿ ولا تقولن لشئ إني فاعل ذلـك غـداً إلا أن يشـاء الله ﴾** الكهف آية ٢٣، ٢٤. ما يمكن معه أن نقول : "**إن ما شاء الله كان وما لم يشـأ لم يكن**". أما الأمر الذي تنتج عنه الحركة أو ينتج عنه السلوك فيختلف مـن حيـث المخلوقات ذات العقل المكتمل والأخرى غير ذات العقل. الأخيرة تسير وتتحـرك وفق قوانين موضوعة لها لا تحيد عنها، هي السنن في التعبير القـرآني. والملائكـة والروح يدخلون في هذا الإطار المطيع للقوانين والسنن وتتصل بالخلق كله اتصـال تأدية دور معين أو مهمة معينة لا تحيد عنها وهو ما ينطبق أيضاً على سلوك المـادة والطاقة في الكون. والأولى لها الحرية والاختيار.

وهناك الإرادة ثم الأمر ثم الأشياء أو المتحققات الوجودية أو الخلـق: **﴿ إنمـا أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾** آية ٨٢يس، وآدم كما علمنـا القرآن، أو الإنسان العاقل الذي سواه الله ونفخ فيه من روحه هو المخلوق الـذي أراد الله له أن يكون حرا مختارا يتحرك أو يأتي سلوكه في إطار من توجيه العقـل الحر ، أو الاختيار في إطار عريض من قانون موضوع من الذات الإلهية اتخذ شـكل كتب موحى بها عن طريق الروح جبريل إلى مختارين من بني آدم خاتمهم الأكمـل هو محمد وكتابه الخاتم هو القرآن. وتعبير كن فيكون هو الكلمة العربية التي جـاءت في القرآن العربي. وهو تعبير بياني ميسر للذكر غايته تفسير المتحققات الوجوديـة ذاتها أو ما يحب أن يسميه البعض "**الطبيعة** " أي الخلق الموجود والشئون المتجـددة الظاهرة والباطنة. ولذلك كان العلم بالمتحققات الوجوديـة كلـها في الظـهور

والبطون - بما فيها الإنسان في ظاهرة وباطنه - من صفات الله سبحانه وتعالى بالضبط كالإرادة ﴿ **وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾ آية ٣٣البقرة.

ولما كان العلم والإرادية من صفات الذات فهما سابقتان على متعلقهما الخلقي الذي هو سر الكلمة[1] ثم يدخل هذا المتعلق الخلقي ضمن الأمر الإلهي بالإيجاد والخلق، فيكون حينئذ من الطبيعي أن يعلم الله ما خلق، وهو الأمر الذي يقرره القرآن فعلا في تقريره : ﴿ **ألا يعلم من خلق** ﴾ آية ١٤الملك. وبالنسبة للإنسان بالذات كنوع مخصوص من الخلق عامة فإنه من الطبيعي أيضا أن تجئ التقريرات القرآنية مؤكدة للعلم الإلهي بحركته أو سلوكه الظاهر، وبباطن معقوله فيما عبر عنه بالسر والخفاء وما هو أخفى، وهي دوائر متفاوتة العمق في القوى الإدراكية للإنسان : ﴿ **يعلم سرهم ونجواهم** ﴾ التوبة آية ٧٨. ﴿ **وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾ آية ٣٣ البقرة. ﴿ **وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى**﴾ آية ٧طه. ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور** ﴾ آية ١٩غافر.

إن الله سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، بمعنى أن شيئاً لم يتوالد عنه أو منه، وأنه سبحانه وتعالى لم يتوالد من شئ غيره، فهو أزلي أبدي أو هو أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء، وإذا كان الله سبحانه وتعالى لم يتولد من شئ غيره لأنه الأول بلا ابتداء، فإن كل شئ غيره قد خلق بفاعلية أسمائه وصفاته بأمره المعبر عن إرادته ومشيئته بسر الكلمة أي كن فيكون.

---

[1] المقصود بمتعلقهما الخلقي هو الوجود الناتج عن الكلمة التي عبر عنها القرآن بلفظ (كن فيكون)

فالكون كله بمادته وطاقاته وسائل كائناته العاقلة الذكية الطينية والنارية والنورية قد خلق بفاعلية الأسماء الحسنى والصفات ونشاطها المستمر في الخلـــق والإيجـــاد والتصوير فيما يظهر من أشكال وصور كثيرة للمادة والطاقة باعتبارها آيات دالـــة على الله موجدها، وهو ما يقول فيه أستاذنا أبو العزايم:

تلك المظاهر والشئون مرائى

فيها تلوح لمن صفوا أسمائي

والمصدر الأول للطاقات الصماء والطاقات العاقلة هو الله سبحانه وتعالى وبتعبير مرادف فإن الله سبحانه وتعالى هـــو أحســـن الخـــالقين ﴿ **فتبـارك الله أحسن الخـالقين** ﴾ المؤمنون آية١٤. الذي خلق كل شئ على غير مثال سبق وفي غـــير صورة في البداية إلى أن بدأت الصور تتشكل مع تطور الكون امتداداً واتساعاً عـــبر ملايين السنين من حساب الإنسان في الأرض ثم بظهور الحياة فيها بأشكالها الكثيرة وحتى ظهور الإنسان الذي يصوره الله في الأرحام كيف يشاء بما نعرف من قوانـين الوراثة.

أي أن الكون لا صوري ثم أخذ في التشكل عبر الزمان الذي يساوي في الحقيقة صفراً بالنسبة لله سبحانه وتعالى بمعنى أن الأحداث المتحققة في الوجود كله تحـــدث بالنسبة لله سبحانه وتعالى في لا زمن ﴿ **وما أمرنا إلا واحـدة كلمـح بـالبصر** ﴾ القمر آية٥٠.

بينما هذه الأحداث بالنسبة للإنسان تتطور كما قلنا من قبل في زمان طويـــــل يمتد لملايين وبلايين السنين من سنوات الحساب في الأرض التي يسكنها الإنسان.

الكون

إن الطاقة الموجودة في الكون كله نابعة من مصدر يبلغ في قوته قدراً يعلو هـذا الطاقة وإذا كانت نظرية "**الدوي الكبير**" التي أشرنا إليها ترجع الكون كما يبدو في صورته الحالية إلى كرة النار الأولية فإن آيات القرآن الخاصة بموسى والنار والنور وظهور الربوبية وتكليم الله له يمكن أن تلقى ضوءا على هذه الصلة بين ككرة النار وحقيقة الألوهية. وعلى سبيل المثال نسوق النص التالي: ﴿ **وهل أتاك حديث موسى. إذا رأى ناراً فقال لأهلة امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما آتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري** ﴾ الآيات ٩-١٤طه، والنص التالي، ﴿ **إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم** ﴾ الآيات ٧:٩النمل. ومن خلال هذه الصلة تكون كرة النار الأولية المختزنة للطاقة كلها في الكون نابعة من مصدر يتصف بقوة لا نهائية رمز إليها القرآن بلفظ (**الله**) وصفته القوي، وتكون هذه البداية النارية من وجه، دليلاً على وجود هذا المصدر، ومن وجه أكثر صحة، من مدلولات المصدر الدال هو في الحقيقة عليها. ذلك المصدر هو الله سبحانه وتعالى وله أسماء عددها القرآن بتسع وتسعين منها القدرة والقوة. والطاقة في الاستعمال الدارج هي القدرة على العمل. وكل مخلوق له طاقة معينة على إتيان عمل معين ويصعب عليه - أو يكاد يستحيل عليه نتيجة تأثيرات معينة منها خصائص تركيبه ذاتها - أن يأتي عملاً فوق قدرته وهو المعنى الذي يفهم من التقرير القرآني ﴿**ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**﴾

البقرة آية ٢٨٦. فدلالة النص هنا صريحة على القدرة على العمل أو تحمل الأعباء فكرية كانت أو جسمانية، ومحدودية هذه القدرة بالنسبة لكل إنسان كل على حسب استعداده ووفق ما هو ميسر له. أما الله سبحانه وتعالى فإن عمله هو خلقه الذي نراه -بالإضافة إلى ما هو غير مرئي لنا - في الكون الفيزيقي وفي النفس الإنسانية وفي عالم الروح الذي يسمى أيضا بعالم الأمر. هذا العمل في النفس والكون والروح والصادر من الله سبحانه وتعالى عمل أمثل وكامل ومتكامل لا يمكن إيجاد صورة متطابقة له من قبل أحد غير الله سبحانه وتعالى الذي هو المصدر الوحيد الذي في قدرته إيجاد هذه الصورة المتطابقة الأصل فيما لو زالت هده العوالم بإرادته أيضا: ﴿ **أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم** ﴾ (آية ٨١ يس). وهو سبحانه وتعالى الواحد الذي يمكنه إمساك هذا النظام وهو الواحد الذي يمكنه تغيير، وهو الواحد الذي يمكنه إعادته في نفس الأمثلة والكمال والتكامل، ﴿ **فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير** ﴾ (الملك الآيتان ٣، ٤)، وهذه دلالة الأمثلية والكمال والتكامل: ﴿ **أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم** ﴾ (يس ٨١)، وهذه دلالة القدرة على إعادة الإيجاد: ﴿ **إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا** ﴾ (آية ٤١ فاطر)، وهذه دلالة القدرة الدائمة على إبقاء تماسك النظام، وهو حقيقة القيومية التي من مظاهرها الربط في التركيب الذرى في الكون.

إن النار تحرق ولكنها أيضاً تضئ بنور يهدى الإنسان إلى الطريق الصحيح سواء في حركته المادية في الأرض والسماء أو حركته الروحية أي نشاطه الروحي بمعنى أن هداية النور مادية ومعنوية.

والنار مظهر لأسماء الجلال، بينما النور مظهر لأسماء الجمال، والإنسان يجمع في طبيعته الاثنين في هيكلة الطيني السوي. حمأ مسنون فيه الطبيعة النارية ومخ مسوي فيه نفخة من روح الله أو قبس من نوره.

والنور درجات ومستويات يعلو فيها نور على نور حتى درجة مرتبة نور السموات والأرض الله سبحانه وتعالى وما دونه من أنوار مخلوق بقدرته بسر كلمة كن فيكون التي تعكس الأمر المعبر عن الإرادة والمشيئة.

وكما أن النور درجات ومستويات فكذلك ليس كل نور مصدره نار حتى في الطبيعة الفيزيقية الكهرباء ليس مصدرها نار، ومن هنا فنور الله سبحانه وتعالى ونور الروح – سواء الملائكي أو المنفوخ فيه في الإنسان ـ ليس مصدرهما النار وإنما مصدرهما نوع من الطاقة غير معروف لنا.

وكانت رؤية النبي ﷺ لنور لا نعرف طبيعته وإنما نعرف أن مصدره رباني فيما يدخل في قول الله تعالى ﴿ **نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شي عليم** ﴾ النور ٣٥) مع الأخذ في الاعتبار مقام الألوهية الذي يعني أنه ليس في الذات الإلهية إلا الذات الإلهية وليس في الخلق إلا الخلق أي ليس في غيره شئ من ذاته وليس فى ذاته شئ من غيره.

ولما كان القرآن العظيم هو الكلمة المكتوبة بالبيان العربي التي تحوى الحق في ذاتها وتعكس الحق في الكلمة المخلوقة في الكون بعالميه الفيزيقي والروحي وخالقها الموجد هو الله سبحانه وتعالى وحده فان إيجاد صورة كتابية أخرى مطابقة طبق

الأصل أمر مستحيل على أي مخلوق ﴿ **قل لئن اجتمعت الأنس والجن علـى أن يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كـان بعضـهم لبعض ظـهيراً** ﴾ الإسراء / ٨٨، بالضبط كما أن إيجاد صورة مطابقة لأصل الكلمة الكونية المخلوقـة أمر مستحيل على غير الله سبحانه وتعالى ﴿ **ولئن زالتـا إن أمسكهما مـن أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً** ﴾ فاطر / ٤١، ولذلك أيضاً كان حفظ هـــذا القرآن بالبيان، العربي موكـــول إلى مترلـــه ﴿ **إنـا نحـن نزلنـا الذكـر وإنـا لـه لحافظون** ﴾ الحجر/٩، بالضبط كما حفظ الكون موكول إلى خالقـه ﴿ **إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا** ﴾ فاطر / ٤١.

وإذا كان الوجود ذا تناسق في قوانينه وذا انضباط في حركته، ويأخذ طابع الوحدة فى هذه القوانين والحركات التي تخضع لها طاقاته - كما تدل علـــى ذلـــك مختلف العلوم الحديثة - فإن واجد الوجود لابد أن يكون واحدا بلا شـــريك وإلا لفسد النظام المحكم الذي يسير على هديه الوجود المخلوق كله وتحول الأمـــر إلى فوضى كونية وتضارب في القوانين والنظم بدلا من النظـــام الكوني المتنـــاسق. وعلوم الرياضة والفيزياء تدلنا على أن هناك ظواهر عديدة تدل على وحدة الغـرض والهدف فى هذا الكون، وتشير إلى أن نشأته والسيطرة عليه لابد وأن تتم على يـــد إله واحد لا آلهة متعددة.

وواجد الوجود له صفتان لازمتان هما الايجادية والأولية، وهما يســـاويان: الموجد الأول، وهما اسمان من أسماء الله الحسنى، ينتج عن الاسم الأول أن يكون الله واجب الوجود، وينتج عن الاسم الثاني أن يكون الله أولاً بلا ابتداء، واحداً بــــلا شريك، ولذلك فالكون والمخلوقات كلها فيه، المنظورة غير المنظورة، يشمله لفـــظ "الشيئية" **﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا..﴾** (يس آية ٨٢) والإحساس والشـــعور والوعي يشملهم لفظ "الشأنية" **﴿ كل يوم هو في شأن ﴾** (الرحمن أيـة ٢٩). والحركة والسلوك يشملها لفظ العمل **﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه مـن قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ﴾** (آيـــة ٦١ يونس). وينتج الزمان والمكان - وغيرهما من الأبعاد التي يمكن وجودهـــا ولا نعلمها منذ كانت المخلوقات الروحية أول مدرك للزمان والمكان في أبعاد خاصـــة بها تتصل بالفكر وخاصة المجردة، ثم كان الجن ثم الإنسان كل بأبعاده الخاصة بـــه

إلى جانب ما قد يكون هناك من كائنات مدركة في الكون الفسيح ما زلنا لا نعلم عنها شيئا.

ونستطرد هنا استطراداً يتصل بهذا المفهوم عن الألوهية - رأينا أهمية بيانه - وهو خاص بالذين يقولون بألوهية المسيح بشتى مفاهيم الأقانيم الثلاثة المعبرة عن الأب والابن والروح القدس. هؤلاء في واقع الأمر قاصرون عن فهم حقيقة الألوهية وتجريد التوحيد وتنزيه الإله، وينطبق عليهم قول الله سبحانه تعالى﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه** ﴾ (آية ٦٧الزمر). والحقيقة أن هذه المسألة ذات أهمية بالغة بالنسبة لمفهوم الألوهية القرآني. التتريه والتشبيه، التجريد والتجسيد، التصوير واللا صورة، التصور واللا تصور، التخيل واللا تخيل، والإطلاق والتقييد، فالعقل البشري يميل دائماً من خلال التركيب البيولوجي للإنسان وصلته بالمحسوس في العالم الفيزيقي يميل إلى أن يتصور أو يتخيل أو يتمثل أو يجسد أو يشبه أو يصور، ويصعب عليه تماما أن يجرد. ولذلك يقرر القرآن عن السيد المسيح أنه وأمه صديقان: ﴿ **كانا يأكلان الطعام** ﴾ (آية ٧٥ المائدة)، والمعني الذي يريد القرآن نقله إلى مفاهيمنا ما هو المعني البيولوجي في التركيب الإنساني، حيث يستحيل أن يكون المخلوق ذو التركيب البيولوجي بخواصه المعروفة وفيسيولوجيته الجسدية إلهاً أو ابنا للإله.

فطبيعة التركيب البيولوجي يتصل بها قصور ومحدودية ونهاية في تطور ينمو ثم يذبل ثم يموت، وهي كلها أمور وحقائق تنفي بالرؤية الإنسانية العاقلة إمكانية وجود أي صلة للتماثل أو المثلية بين خلق بيولوجي التكوين وبين إله ليس بيولوجي التكوين، وأنه على الأقل كما يخبرنا القرآن : ﴿**لم يلد ولم يولد** ﴾ (الإخلاص

آية ٣). ثم هو منزه تمام التنزيه كما يخبرنا القرآن أيضاً: ﴿ **ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ (الإخلاص ٤). والقرآن يذكر الذين يقولون بأن الله اتخذ ولداً بالعلاقة بين الألوهية وبين كل ما عداها ومن عداها. هذه العلاقة هي علاقة الخالق بالمخلوق.

علاقة الألوهية بالكون ومن فيه وما فيه. إن هذا البناء الكوني الذي يظهر في الطبيعة القريبة والبعيدة وبالأبعاد المعروفة وغير المعروفة، هو من صنع الله. والله منزه عن الاتصاف بصفات الخلق كما هي في الخلق، إذ الخلق شئ والخالق ليس كمثله شئ، فهو لم يلد شيئاً و لم يولد من شئ، وإنما كان ولا شئ معه، وعظمته تظهر في خلقه المتجلي في أبدع صوره في الكون الطبيعي: ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولداً. لقد جئتم شيئا إدا** ﴾ مريم آية ٨٨:٨٩. أي شيئاً عظيماً وكبيراً: ﴿ **تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً** ﴾ مريم آية ٩٠.

هذا الكون الهائل هو صنع الله ومظهر لظهور أسمائه كلها وهو يكاد ينفرط عقده ويختل نظامه وينفجر انفجاراً، لماذا؟: ﴿ **أن دعوا للرحمن ولداً** ﴾ مريم آية ٩١، إن الأمر كله أمر الكون وما فيه ومن فيه الكل خلق الله وصنعه ومربوبه:
﴿ **وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً** ﴾ الآيات ٩١:٩٥مريم.

وقد فطن إلي هذه الصلة بين الألوهية وبين الصنعة الكونية واحد من أشهر وأعظم علماء الفيزياء هو البرت أينشتاين (**ALBERT EINSTEIN**) الذي يقول – رغم أن البعض اتهمه بالكفر – " **أن ديني يشمل الإعجاب المتواضع بتلك الروح العليا غير المحدودة التي تكشف في ثناياها بعض التفصيلات القليلة التي لا تستطيع عقولنا المتواضعة وإدراكها، وهذا الإيمان القلبي العميق هو الذي يدفعني**

إلي الاعتقاد بوجود قوة حكيمة عليا نستطيع إدراكها خــلال ذلــك الكــون الغامض الذي يلهمني بفكرتي عن وجود الله ".

الأسماء الحسنى :

والمدخل الأصيل للتوحيد[1] هو الأسماء الحسنى التي يقرر بإزائها القرآن :
﴿ **قل أدعو الله أو أدعو الرحمن أياما تدعو فله الأسماء الحسنى** ﴾ آية ١١٠ الإسراء، ﴿ ولله الأسماء الحسنى ﴾ آية ١٨٠ الأعراف. ﴿ **الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى** ﴾ آية ٨ طه

والأسماء الحسنى تنقسم إلي أسماء جمال، أسماء جلال، وأسماء كمال. وقد أورد القرآن تسعة وتسعين اسماً هي التالية :

الله، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، الباري، المصور، الغفار، الواحد، القهار، الوهاب، الرازق، القوي، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الشكور، الحليم، القيوم، العلي، العظيم، الغفور، الحفيظ، المقيت،الحسيب، الجليل، الباقي، ذو الجلال والإكرام، الغني، الكريم، الرقيب، القريب، المجيب، الواسع، المبدئ، المعيد، الودود، المجيد، الماجد، الحق، الباعث، المحصي، الشهيد، الوكيل، الولي، الحميد، المغني، الهادي، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم،

[1] أي توحيد ذات الله. وفي معناه قول النبي صلي عليه وسلم " سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك "

المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، المحيي، المميت، الوالي، الكبير، المتعال، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، المقسط، الجامع، المانع، الضار، النافع، النور، البديع، الوارث، الرشيد، العليم، الصبور.

وفيما يلي بيان مختصر لتوضح معاني أسماء الله الحسنى اعتمدنا على كتاب (**المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى**) للأمام أبي حامد الغزالي ﷺ.

الله: هو الاسم الدال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها، الموجود الحق الموصوف بأوصاف الربوبية المنفرد بالموجود. الحقيقي بذاته.

الرحمن الرحيم: الرحمن أخص من الرحيم ولذلك لا يسمي به غير الله، والرحيم قد يطلق على غيره والاثنان مشتقان من الرحمة والرحمن هو العطوف على العباد بالإيجاد أولاً وبالهداية إلى الإيمان ثانياً والإسعاد فى الآخرة ثالثاً والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعاً.

الملك: هو الذي يستغني عن ذاته وصفاته عن كل شئ موجود، ولا يستغني عنه شئ في شئ، لا في ذاته ولا في بقائه ولا في وجوده، وهو مستغن عن كل شئ باعتباره الملك.

القدوس: هو المتره عن كل وصف يدركه الحس أو يتصوره الخيال أو يسبق إليه الوهم أو يختلج به ضمير أو يفضي به تفكير.

السلام: هو الذي يسلم ذاته عن العيب، وصفاته عن النقصان، وأفعاله عن الشر وكل سلامة في الوجود منسوبة إليه وصادرة منه.

المؤمن: هو الذي يعزى إليه الأمن والأمان، ولا يتصور أمن وأمان إلا ويكون مستفاداً من جهته، وهو بذلك يعتبر المؤمن المطلق.

المهيمن: القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وقيامه عليهم هو بإطلاعه واستيلائه وحفظه.

العزيز: هو الخطير الذي يقل وجوده مثله وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه.

الجبار: هو الذي تنفذ مشيئته على سبيل الإجبار فى كل واحد، ولا تنفذ فيه مشيئة أحد والذي لا يخرج أحد عن قبضته بحيث يجبر كل واحد ولا يجبره أحد.

المتكبر: هو الذي يرى الكل حقيراً بالإضافة إلى ذاته، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه فينظر إلى غيره نظر الملوك إلى العبيد.

الخالق البارئ المصور: الله تعالى خالق من حيث أنه مقدر وبارئ من حيث أنه مخترع موجد، ومصور من حيث أنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب، وكل ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى التقدير أولاً وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانياً وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثاً.

الغفار: هو أظهر الجميل وستر القبيح والغفر هو الستر.

القهار: هو الذي يقصم ظهر الجبابرة من أعدائه فيقهرهم بالإماتة والإذلال وهو الذي لا موجود إلا هو مسخر تحت قهره وقدرته وعاجز عن قبضته.

الوهاب: الهبة هي العطية الخالدة عن الأعواض والأعراض والله هو الذي يعطى كل محتاج لا لعوض أو لغرض عاجل أو آجل.

الـــرزاق: هو الذي خلق الأرزاق والمرتزقة وأوصلها إليهم وخلق لهم أسـباب التمتع بها.

الفـــتاح: هو الذي بعنايته ينفتح كل منغلق، وبهدايته ينكشف كل مشكل.

العلـــيم: هو المحيط علما بكل شئ وكل المعلومات مستفادة منه.

القابض الباسط: هو الذي يقبض الأرواح عن الأشباه عند الممـــات، ويبسـط الأرواح فى الأجساد عند الحياة، ويقبض الصدقات من الأغنيـاء ويبسط الأرزاق للضعفاء، ويبسط الرزق على الأغنياء حـتى لا يبقى فاقة ويقبضه على الفقراء حتى لا يبقى طاقة.

الخافض الرافع: هو الذي يخفض الكفار بالإشقاء، ويرفع المؤمنـين بالإسـعاد ويرفع أولياءه بالتقريب، ويخفض أعداءه بالإبعاد.

المعز المذل: هو الذي يؤتى الملك من يشاء ويسلبه ممن يشاء، والملك الحقيقـي هو فى الخلاص عن ذل الحاجة وقهر الشهوة وعيب وصم الجهل

السميع: هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وان خفي،ويدرك دبيب النملـة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء، ويسمع حمد الحـامدين فيجازيهم، ودعاء الداعين فيستجيب لهم، وسمعه منـزه عن أن يتطـرق إليه حدث.

البصير: هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحـت الـثرى، وإبصـاره منـزه عن الأحداث، وهو فى حقه عبارة عن الصفة التي ينكشف بهـا كمال نعوت المبصرات.

الحكم: هو الحاكم المحكم والقاضي المسلم الذي لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه.

العدل: هو العادل الذي يصدر منه فعل العدل المضاد للجور والظلم.

اللطيف: هو يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها وما لطف، ثم يسلك فى إيصالها إلى المستحق سبيل الرفق دون العنف.

الخبير: هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة ولا يجرى فى الملك والملكوت شئ، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا يضطرب نفساً ولا يطمئن ،إلا ويكون عنده خبره.

الحليم: هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام عجلة وطيش رغم غاية الاقتدار.

العظيم: هو الذي جاوز جميع حدود العقول حتى لم يتصور الإحاطة بكنهه.

الغفور: هو بمعنى الغفار ولكنه يدل على نوع مبالغة لا يدل عليه الغفار الذي هو مبالغة فى المغفرة بالإضافة إلى مغفرة متكررة مرة بعد أخرى.

الشكور: هو الذي يجازى بيسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطى بالعمل فى أيام معدودة نعيماً فى الآخرة غير محدود، ويجازى الحسنة بأضعافها.

العلي: هو الذي لا رتبة فوق رتبته وجميع المراتب منحطة عنه.

الكبير: هو ذو الكبرياء، والكبرياء عبارة عن كمال الذات، وكمال الذات هو كمال الوجود أزلا وأبداً ويصدر عنه وجود كل موجود.

الحفيظ: هو يحفظ الذي يحفظ كما فى إدامة الموجودات وإبقائها وكما فى صيانة المتعاديات والمضادات بعضها عن بعض.

المقيت: هو خالق الأقوات وموصلها إلى الأبدان وهى الأطعمة، وإلى القلوب وهى المعرفة.

الحسيب: هو الكافي، وهو الذي من كان له كان حسبه، والله تعالى حسيب كل

أحد وكافيه.

الجليل: هو الموصوف بصفات الجلال مثل الغنى والملك والتقدس والعلم والقدرة وغيرها

الكريم: هو الذي إذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى، ولا يضيع من لاذ به والتجأ ويغنيه عن الوسائل والشفعات.

الرقيب: هو العليم الحفيظ فمن رعى الشيء حتى لم يغفل عنه ولاحظه ملاحظة دائمة سمى رقيباً.

المجيب: هو الذي يقابل مسألة السائلين بالإسعاف، ودعاء الداعين بالإجابة، وضرورة المضطرين بالكفاية. بل ينعم قبل النداء ويتفضل قبل الدعاء.

الواسع: مشتق من السعة. والسعة تضاف مرة إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة، وتضاف أخرى إلي الإحسان وبسط النعم.

الحكيم: هو ذو الحكمة. والحكمة عبارة عن معرفة الأشياء بأفضل العلوم.

الودود: هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثنى عليهم وهو قريب من معني الرحيم إلا أنه أفعال الرحيم تستدعي مرحوماً ضعيفاً بينما أفعال الودود لا تستدعي ذلك بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود.

المجيد: هو الشريف ذاته الجميل أفعاله الجزيل عطاؤه ونواله.

الباعث: هو الذي يحيي الخلق يوم النشور ويبعث من في القبور ويحصل ما في الصدور. والبعث هو النشأة الآخرة.

الشهيد: هو الذي يشاهد ويرجع معناه إلي العليم مع تخصيص في الإضافة فإنه تعالى عالم الغيب والشهادة، والغيب عبارة عن ما بطن، والشهادة عبارة

عن ما ظهر، فإذا اعتبر العلم مطلقاً فهو العلم وإذا أضيف العلم إلي الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف العلم إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد. وقد يعني أيضا أن الشهيد على الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد منهم.

الحق: هو الذي يقابله الباطل والحق المطلق – الله – هو الموجود الحقيقي بذاته الذي منه يأخذ كل حق حقيقته.

الوكيل: هو الموكول إليه كل الأمور.

القوي المتين: القوة تدل على القدرة التامة والمتانة تدل على شدة القوة.

الولي: هو المحب الناصر.

الحميد: هو المحمود المثني عليه والله تعالى هو الحميد بحمده لنفسه أزلاً وبحمد عباده له أبداً.

المحصي: هو العالم وهو الذي ينكشف في علمه حد كل معلوم وعدده ومبلغه. وإذا أضيف العالم إلي المعلومات من حيث إحصاء المعلومات وعدها والإحاطة بها كان ذلك هو الإحصاء.

المبدي المعيد: هو الموجد. وإذا كان الإيجاد غير مسبوق بمثله سمي إبداء وإذا كان مسبوقاً بمثله سمي إعادة، والأشياء كلها منه بدت وإليه تعود وبه بدأت وبه تعود.

المحيي المميت: صفتان ترجعان إلي الإيجاد ولكن الموجود إذا كان هو الحياة يسمى فعله إحياء، وإذا كان هو الموت يسمي فعله إماتة. ولا خالق للموت أو الحياة إلا الله تعالى، فلا محيي ولا مميت إلا الله تعالي.

العفو: هو يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، والعفو يؤدي إلي المحو فالعفو عن السيئات مثلا هو محوها.

الرءوف: هو ذو الرأفة. هي شدة الرحمة. فهو بمعنى الرحيم مع المبالغة.

مالك الملك: هو ينفذ مشيئته في مملكته كيف شاء، إيجاداً وإعداماً وإبقاءاً وإفناءاً.

ذو الجلال والإكرام: هو الذي لا جلال ولا كمال إلا وهو له، ولا كرامة إلا وهي صادرة منه. فالجلال له ذاته والكرامة فائضة منه على خلقه.

الولي: هو الذي دبر أمور الخلق وتولاها بولايته.

المتعال: هو العلي مع المبالغة.

المقسط: هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم. ويفيد العدل المطلق.

الجامع: هو المؤلف بين الأشياء المتماثلة والمتبادلة والمتضادة.

الغني المغني: هو الذي لا تعلق له لغيره لا في ذاته ولا في صفات ذاته بل يكون منزها عن العلاقة مع الأغيار. فالغني الحقيقي هو الذي لا حاجة له إلي أحد أصلا.

المانع: هو الذي يمنع أسباب الهلاك والنقصان بما يخلفه من الأسباب المعدة للحفظ.

الضار النافع: هو الذي يصدر منه الخير والشر والنفع والضر.

النور: هو الظاهر الذي به كل ظهور فإن الظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمي نور.

الهادي: هو الذي يدل على الطريق والسلوك المفيد.

البديع: هو الذي لا عهد بمثله لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعالـــه، ولا في كل أمر راجع إليه.

الباقي: هو الموجود الأبدي الواجب الوجود بذاته.

الوارث: هو الذي ترجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك إذ هو الباقي بعد فناء خلقـه وإليه مرجع كل شئ ومصيره.

الرشيد: هو الذي تنساق تدبيراته إلي غاياتها بالسداد بغير مشورة أو إرشاد مـــن الغير.

الصبور: هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه بـــل يجـــري الأمور على سنن محددة لا يؤخرها عن آجالها ولا يقدمها على أوقاتها بحيث يـــودع كل شئ في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون.

ويمكننا أن نقول - والله أعلم - أن الذات الإلهية لا يمكـــن تشـــبيهها أو تحديدها بأي شئ لأنه سبحانه وتعالى ﴿ **ليس كمثله شئ** ﴾ آية ١١ الشـــورى، وبالتالي لا يمكن تشبيهها أو تحديدها لا بالمادة ولا بالتجســـيد، ولا بالطاقـــة ولا بالروحية في مفهومها الدارج المعروف. فالروح في المفهوم القرآني يمكن أن تتجسد، كما تجسد جبريل لمريم وللنبي ﷺ، والطاقة في أعلى مصادرها المعروفة، يمكـــن أن تتحول إلي مادة أو هي شكل آخر من أشكال المادة وفقا للمعادلة الشـــهيرة الـــتي تفيد أن الطاقة تساوي الكتلة مضروبة في مربع سرعة الضوء، وكلا الأمرين محـــال على ذات الله، وقد علمنا مما سبق من معاني الاسم القدوس أنه يعني المتره عن كـــل وصف يدركه الحس أو يتصوره الخيال أو يسبق إليه الوهم أو يختلج به ضمـــير أو يفضي به تفكير. ومن هنا فإن الألوهية لا يمكن أن تخضع لتجارب علومنا الماديـــة. وقد علمنا القرآن أن القدرة الإلهية التي أعطت المادة والطاقة خواصـــهما وهمـــا في

الحقيقة مظهران لنفس الأمر الواحد - ووضعت لهما قوانينهما، هي ذات القـــدرة التي يمكنها أن تسلب المادة والطاقة خواصهما وتبطل مفعول قوانينهما، وهو مـــا علمنا القرآن إياه في تجربة إبراهيم عندما ألقي في النـــار ﴿ **يا نار كوني بردا وسلاماً على إبراهيم** ﴾ آية ٦٩ الأنبياء. مع ملاحظة أن السلام الذي ذكرتـــه الآية ضروري مع البرودة لأن ضرر البرودة كضرر الحرارة. وبذلك تتحقـــق مـــا نسميها المعجزة، والتي هي عبارة عن خرق لقوانين الطبيعة المنظمة عادة، خرقها إما بمقدرة مستمدة من الله تبارك وتعالى الذي سن هذه القوانـــين بـــدءاً - كمـــا في معجزات النبي عيسي عليه السلام التي كانت تتم دائماً بإذن الله - وإما بقدرة مـــن الله مباشرة بلا وساطة من الرسل، كما في تجربة إبراهيم عليه السلام عندما ألقي في النار ولم يحترق.

ولفظ الجلالة (الله) هو التعبير العربي المقروء العَلَم على الـــذات، ويكـــون الإله تبارك وتعالى - بحسب فهمنا - ذاتا له أسماء كلها حسنى. هذه الأسماء تظـــهر في مظاهر من الطاقة والإدراك الواعي والمادة. والطاقة سابقة على المادة في الخلـــق وهو ما يشير إليه القرآن من خلق النار - وهي طاقة - قبل خلق الطين - وهو مـــادة - في حديثة عن الإنس والجن ﴿ **خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ آيـــة ٧٦ من سورة ص. ﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ آيـــة ٢٧ مـــن سورة الحجر. وتكون الأسماء الحسنى بذلك مشهودة بمعانيها وفاعليتها في المادة وفي الطاقة شهودا يمكن معه تحصيل قدر من الفهم لمعاني هذه الأسماء المواجهة للمظـــاهر المادية والطاقية في الكون مواجهة يتحقق بها الأولية والآخرية لله سبحانه وتعالى بمـــا نفهمه في هذه الأسماء الحسنى من معاني ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ آيـــة ١١٥ من سورة البقرة.

كما تكون هذه الأسماء بتأثيراتها وفاعليتها هي الوجود الحق الذي يستمد منه كل وجود بحيث لا يكون الوجود المغاير دليلاً على الأسماء الحسنى وإنما مدلولاتها كما نفهم من تقدير القرآن ﴿ **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً** ﴾ آية ٤٥ الفرقان: فالظل غير المرئي موجود فعلا قبل الدلالة الشمسية التي تظهره وتدل على وجوده المشهود.

ولما كانت الطاقة في مفهومنا الإنساني - الإغريقي الأصل - هي القدرة على العمل فإن هذا العمل الكوني المعجز العظيم الناتج الناتج عن أمر الله سبحانه وتعالى بالخلق والإيجاد - سواء في تطور أو في غير تطور - بما يتمثل فيه من طاقات ومواد وكائنات مدركة ذكية، هو مظهر أسماء الجمال والجلال والكمال. وكل شئ مخلوق، فهو مخلوق بقدر[1] ووجوده كائن بتأثير وفاعلية اسم من هذه الأسماء الحسنى التي عدد القرآن منها تسعاً وتسعين أوردناها فيما سبق.

وتكون معاني هذه الأسماء معلومة للإنسان بقدر إحاطة الإنسان نفسه بالمعرفة والعلم بكل دقائق وتفصيلات وطبائع وخصائص وسلوك وأنواع هذه المخلوقات في الكون.

ولكي ندرك أبعاد الأسماء الحسنى من خلال آثارها في الكون كله بمخلوقاته المنظورة وغير المنظورة، المعلومة وغير معلومة للإنسان، لكي ندرك هذه الأبعاد لابد أن تقرأ القرآن، لأن هناك صلة بين القرآن المنزل في شكل كتاب مكتوب بكلمات عربية وبين الكتاب المخلوق في شكل كون مكتوب بالكلمات المخلوقة

---

[1] (إنا كل شئ خلقناه بقدر) آية ٤٩ القمر.

هي الكائنات كلها. فهناك صلة بين الكلمات المكتوبة والكلمات المخلوقة، وعملية الخلق مستمرة دائمة التجدد وكما يستمر الخلق نحو الكمال والاكتمال، وكما أن الكلمات المخلوقة لا يمكن الإحاطة بها فكلمات القرآن لا يمكن الإحاطة بها. والاثنتان كلمات الله فكلمات الله - في فهمنا - هي مخلوقاته، وسر الكلمة هو سر الخلق.

والقرآن مقروء في البيان العربي ومشهود في الكتاب الكوني. ولا يعلم تأويل القرآن إلا الله والراسخون في العلم، هؤلاء يؤمنون به، أي بالقرآن لأن الحق قد تبين لهم في وحدته الكاملة الشاملة من خلال كلام الله القرآني وخلق الله الكوني، كلاهما كتاب ينطق بالحق، مصدره هو الله الواحد الأحد تبارك وتعالي ﴿ **كل من عند ربنا** ﴾ آل عمران آية ٧.

الخاتمة

لقد رأينا من خلال صفحات هـــذا الكتـــاب - بمصـــادره المســـيحية والإسلامية - كيف كانت المسيحية في بدايتها ديانة تقر التوحيـــد وتنزيـــه الله وتري المسيح عبداً أو بشراً أرسله الله لبني إسرائيل ليكمل الناموس الموســـوي كما جاء في العهد القديم... ورأينا أيضا كيف حول بولس في تعاليم المســـيح السمحة البسيطة ليجعل من هذا الشخص إلهاً أو ابناً للإله، وكيف تطـــورت فكرة ألوهية المسيح بفعل المجامع، وبصفة خاصة مجمع نيقية الذي انعقـــد عـــام ٣٢١، تطورت إلى القول بالتثليث الذي أصبح بعد ذلك الإيمـــان بـــه شـــرط للانضمام إلى الكنيسة... ورأينا اختلاف الكنائس الغربيـــة والشـــرقية حـــول موضوع طبيعة المسيح... ورأينا كيف خاض علماء اللاهـــوت المســـيحيون في عقيدة أو مبدأ التثليث بين معارض وقابل بالتوحيد التجسيدي وبين مؤيـــد... ورأينا كيف أنكر الكثيرون من أتباع المسيح فكرة ألوهيته... ورأينا كيف اعتبر الكثيرون من علماء اللاهوت الكنسيين عقيدة التثليث مخالفة للعقل وتبلغ مـــن التعقيد ما يجعلها غير أساسية للمؤمنين بالديانة المسيحية وليس شرطاً لاعتناقـــها ... ورأينا كيف تبلور الاتجاه الليبرالي داخل الأوساط الكنيسة خاصة من جـانب البروتستانت في كل من بريطانيا والولايـــات المتحـــدة... ورأينـــا كيـــف تم التشكيك في فترة من الفترات في حجية إنجيل يوحنـــا وكونـــه مـــن وضـــع الحواريين... ورأينا أقوالاً عديدة من داخل أوساط الكنيسة تشير إلي تأثر الفكر المسيحي بالفلسفة اليونانية وفلسفة هيجل، كما رأينا كيف تأثرت المســـيحية ببعض العقائد الوثنية خاصة الميثراسية... ورأينا كيف نشأت وتطورت كتابـــات علماء اللاهوت الغربيين متجهة إلي إيجاد أرضية لاهوتية تتمشـــى مـــع العلـــم الحديث ومقرراته التي تشير إلي وحدة الطبيعة الكونية ووحدة قواها ممـــا أدى بعقيدة التثليث إلي التقهقر لمكانة غير ذات أهمية في البناء الاعتقاد المســـيحي ثم

الصحوة الجديدة التي أعادت هذه العقيدة إلي مكانتها الأساسية في هذا البنـــاء الاعتقادي تدعيما لمركز ودور الكنيسة بالنسبة للمسيحيين...

وتحدثنا عن ولادة المسيح... والروح القدس... ومعـــاني ونفخـــت فيـــه مـــن روحي... وروح منه... وتحدثنا عن المسيح وأمه بوصفهما بشرين كانا يـــأكلان الطعام... وغلو أهل الكتاب في دينهم... وكيف أعطى القرآن مكانة عاليـــة مـــن الاحترام والتقدير لعيسي وأمه مريم وعائلته التي منها أنبياء... ثم عرضنا للتوحيـد في الإسلام الذي هو قاعدة الاعتقاد الأساسية فيه... كما عرضنا بإيجاز مفهوم الإلـــه قبل نزول القرآن... ثم مفهوم الإله في القرآن، ذلك الكتاب الذي يخاطب العقـــل المؤمن والقلب العامر والفكر المتنور... وتحدثنا عن أحادية الإله... وكيف نعـــرف الله... والأسماء الحسنى... والعلاقة بين معرفة الله والنظر بالتدبر والتأمل والتعقـل إلي الكون الخارجي بما فيه من فيه... والكون الداخلي الذي هو نفـــس الإنســـان... وشهود تطابق آيات القرآن مع آيات الكون... واطلاع الله سبحانه وتعالي علـــى معتقدات الإنسان وسلوكياته ودوافعها في السر والعلن منفرداً وفي جماعة ... كمـــا تحدثنا عن الطاقات الكونية وصلتها بمفهوم الألوهية في القرآن... وبساطة مفـــهوم الإله في الإسلام... وعن الصلة المباشرة بين الإنسان والإله في الإســـلام... وعـــن استشعار الإنسان لقرب الله منه وإطلاعه سبحانه سبحانه وتعالي علـــى معتقداتـــه وسلوكه ودوافعهما بما يحقق الاستقامة للإنسان في الاعتقاد والسلوك... وأخـــيراً خاتمة موضوعات هذا الكتاب حسب ما وفقنا الله تبارك وتعالي إليه مـــن الفـــهم لآيات وبينات ونور الكتاب.

﴿ وإذا قال الله يا عيسي ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلـهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لـي بحـق إن كنـت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسي ولا أعلـم مـا فـى نفسـك إنـك أنـت عـلام

الغيوب ما قلت لهم إلا مــا أمرتنــي بــه أن اعبـدوا الله ربـى وربكـم وكنـت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنــت الرقيـب عليـهم وأنـت على كل شــي شـهيد. إن تعذبـهم فإنــهم عبـادك وإن تغفـر لـهم فـإنك أنـت العزيز الحكيم. قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لــهم جنـات تجـرى من تحتـها الأنـهار خــالدين فيـها أبـداً رضـى الله عنــهم ورضـوا عنـه ذلـك الفوز العظيم﴾ المائدة ١١٦:١١٩.

ويلاحظ أن الفكر اللاهوتي المسيحي له تصور عن مفــــهوم الإلــه الأب يتشابه إلى حد ما مع التصور الإسلامي لمفهوم الإله الواحد المتره إلا أن الفارق بــين الإسلام والمسيحية هو أن الإسلام يضفي صفات هذا التصور إلى الله المتره الــذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد بينما المسيحية الحالية تضفي هذه الصفات على الإله المتجسد في شخص المسيح والأب من الثالوث المقدس وما يتصل بهما من فداء وصلب وقيامة وغير ذلك. وهو فرق يعتبر في ميزان القرآن جوهرياً يضع فاصلاً بين التوحيد والشرك أو بين الإيمان الحق والكفر فى حق الله تبارك وتعــــالى، ولـــو أن المسيحية الحالية تخلصت من مأزق التثليث أو التجســـيد بـــالرجوع إلى أصولهـــا البسيطة التوحيدية، وتخلص الإسلام من مأزق الإرهاب الخــــارج علـــى مبادئــه السمحة وتخلصت اليهودية من مأزق الصهيونية، لكـــانت المســـيحية واليهوديــة والإسلام ديانات متقاربة جداً تدعو إلى الخير والمحبة والفضيلة ومكارم الأخـــــلاق وتثبيت قضية السلام بحيث يمكن لأتباع هذه الدينات التعاون من أجل نشر وتدعيم قضية الإيمان بالله الواحد الأحد بعيداً عن مطامع السياسة والاقتصاد وغيرهما الـــتي تتضارب أحيانا المصالح فى إطارهما وتتنافس الأديان من خلالها فى اكتساب الأتبــاع فى إطار نفسي من عدم الثقة يصل أحيانا إلى العداوة والتحدي.

وقد أتى زمن على المسيحية كان التوحيد هو السائد بين معتنقيها، هو زمن بدايتها خاصة قبل انعقاد المجامع.

وعلى سبيل المثال فإن آريوس ظهر مقاوماً فكرة ألوهية المسيح، ومنازعاً كنيسة الإسكندرية فى ذلك المبدأ الذي كانت تبثه فى النفوس ـ مبدأ ألوهية المسيح ـ وتنادى به على رؤوس الأشهاد، بينما كان أتباع هذا المبدأ فى مصر وفلسطين والقسطنطينية ـ مواطن المسيحية فى ذلك الوقت - أكثر عدداً وأقوى مكانة وكان كثير منهم أساقفة ورؤساء كنائس، كل ذلك مع القسطنطين الامبراطور الحاكم بأمره الذي كان يشايع فكرة الهيئة المسيحية ويناصرها ويحميها ويؤيدها. ومن ثم يمكن تقسيم عصور المسيحية إلى عصرين:

الأول: عصر التوحيد -وينتهي بالزمن الذي انعقد فيه مجمع نيقية.

الثاني: عصر تأليه المسيح الذي يبدأ بعد مجمع نيقية وبعد أن استطاع حكام الرومان أن يطمسوا نور التوحيد بين المسيحيين ويمنعوا الموحدين من نشر دعوتهم. وقد كانت هناك فرق كثيرة ظهرت فى عصر التوحيد وأشهر الموحدين كما ذكرنا من قبل آريوس واتباعه، وأصحاب بولس الشمشاطى الذي كان بطريركاً بأنطقيا.

ولقد حاولت كثيراً فهم فكرة التثليث كما هي واردة في تعاليم وإرشادات الكنيسة الكاثوليكية في العديد من الكتب المبسطة والمكتوبة في شكل سؤال وجواب إلا إنني أعترف أنني لم أكن على مستوي من الذكاء مطلوب لفهم هذه العقيدة التي أفهم الآن لماذا اعتبرها كثير من علماء اللاهوت فوق قدرات الفهم العقلي، ومغلفة بالغموض والتعقيد، ومن ثم قالوا بعدم الحاجة إليها للدخول في سلك الإيمان المسيحي.

وهذا ليس غريباً فالكنيسة الكاثوليكية نفسها تعترف بغموض هذه العقيدة وتقول " **أن سر غموض الثالوث المقدس هو السر المركزي للعقيدة المسيحية والحياة المسيحية. إنها سر وغموض إله في نفسه ولذلك فهي مصدر كل الأسرار الغامضة الأخرى في العقيدة** ... والغموض أو السر هنا غير أسرار الكنيسة السبعة المعروفة. أما أسس تأليه المسيح فقد أوردها الأستاذ الدكتور **أحمد شلبي** في كتابه " **المسيحية** " وناقشها وردها، ونحن نحيل القارئ في مصدرها إذا أراد مزيداً من التفاصيل.

قائمة بأهم المراجع العربية

أهم المراجع العربية :

١-القرآن الكريم.

٢-محمد رشيد رضا، تفسير المنار.

٣- سيد قطب، في ظلال القرآن.

٤- إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم.

٥- الدكتور أحمد شلبي، المسيحية.

٦- الدكتور أحمد شلبي، اليهودية.

٧- محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية.

٨-عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء.

٩- العهد القديم.

١٠- العهد الجديد (الأناجيل الأربعة والرسائل).

١١- دكتور أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى.

١٢- عباس محمود العقاد، عقائد المفكرين في القرن العشرين.

١٣- الإمام محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية.

١٤- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين.

١٥- فريق من العلماء، مناظرة بين الإسلام والنصرانية.

١٦- رحمة الله الهندي، إظهار الحق.

١٧- دكتور موريس بوكاي (مترجم)، القرآن والإنجيل والتوراة والعلم.

١٨- محمد أمين جبر، الإنسان والخلافة في الأرض.

١٩- محمد أمين جبر، الإسراء والمعراج والعلم الحديث.

٢٠- (الحديث الأول الله والكون).

٢١- الأمام ابن القيم الجوزيه، الروح.

٢٢- محمد فريد وجدي، الروح.

٢٣- أحمد بهجت، الله في العقيدة الإسلامية.

٢٤- عبد الكريم الخطيب، الله ذاتاً وموضوعاً.

٢٥- سعيد حوى، الله.

٢٦- أصول الوصول لمعيشة الوصول، الإمام محمد ماضي أبو العزايم.

٢٧- الإمام محمد عبده، رسالة التوحيد.

٢٨- أبو الفيض المنوفي، المعرفة العظمى.

٢٩- برتراند راسيل (مترجم)، النظرة العلمية.

٣٠- الإمام أبو حامد الغزالي، المقصد الأسني شرح أسماء الله الحسنى.

٣١- عباس محمود العقاد، الله.

٣٢- محمد طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة المسيحية.

٣٣- عبد الرحمن حسن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها.

٣٤- دكتور محمد بيصار، العقيدة والأخلاق.

٣٥- الشيخ محمد الغزالي، عقيدة المسلم.

أهم المراجع الأجنبية

1) BERRY- RELIGIONS OF THE WORLD.
2) PFLEDERE - THE EARLY CHRISTIAN CONCEPTION OF CHRIST.
3) JURGEN MOLTMANN - TRINITY AND THE KINGDOM.
4) ERIC PETERSON - MONOTHEISMUS.
5) C. STEAD - DIVINE SUBSTANCE.
6) ALISTER MCGRATH - UNDERSTANDING THE TRINITY.
7) AHMAD ZIDAN - CHRISTIANITY MYTH OR MESSAGE.
8) PETER TOON & JAMES SPICELAND - ONE GOD IN TRINITY.
9) CLAUDE WELCH- THE TRINITY IN CONTEMPORARY THEOLOGY.
10) JESUS MARIA CAVANNA, CM - BASIC CHRISTIAN DOCTRINE.
11) PAPERS PRESENTED TO THE CONFERENCE OF THEOLOGY AT DURHAM IN 1978(SPONSORED BY BRITISH TYNODALE FELLOWSHIP).
12) WILL DURANT - HISTORY OF CIVILIZATION.
13) G.L. PRESTIGE - GOD IN PATRISTIC THOUGHT.
14) CATECHISM OF THE CATHOLIC CHURCH.
15) THE CAMPANION TO THE CATECHISM OF THECATHOLIC CHURCH.
16) RONALD H. NASH - THE CONCEPT OF GOD.
17) LEO ROSTEN - RELIGIONS OF AMERICA.
18) HUW PARRI OWEN - CHRISTIAN THEISM.
19) ENCYCLOPAEDIA AMERICANA.
20) ENCYCLOPAEDIA BRITTANNICA.

قائمة المحتويات

كتب للمؤلف

الإسراء والمعراج والعلم الحديث

مشاهد في جوهر الصلاة

قراءة معاصر في كتاب الله

مورد الحكمة وأوراد الحكيم

الإنسان والخلافة في الأرض

الأخلاق والمال في الإسلام

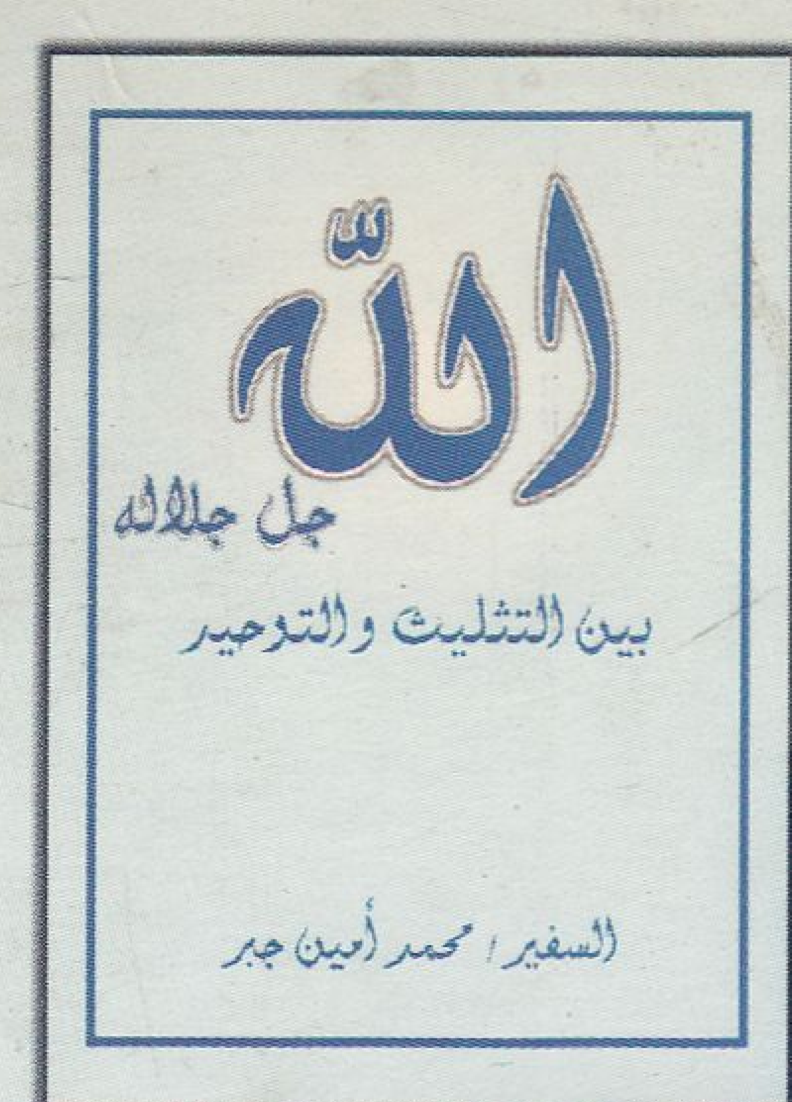
الفتوحات الربانية في الصلاة على الذات المحمدية

في معية الرسول .... في القرآن

حديث الروح في أسماء الله الحسنى

الإنسان ويوم الحساب

الطريق إلي الله



دراسة موضوعية وتحليل علمى لأهم قضايا الخلاف بين المسيحية والإسلام قضية ألوهية المسيح بشتى مفاهيم التثليث والتجسيد فى الإنجيل الحالى وعبوديته عليه السلام لله الواحد الأحد كما ورد فى القرآن الكريم.

وهى فى ذلك تصدر عن فكر حر محايد يجمع إلى الالتزام بالتقاليد العلمية اتباع منهجية بحثية قويمة ونظر سديد.

فيعرض الكتاب من خلال الرجوع للمصادر الأصلية المسيحية والإسلامية للتحول الذى طرأ على الرؤية المسيحية لطبيعة المسيح عليه السلام وكيف حول بولس تعاليم المسيح ليجعل منه إلهاً أو ابناً للإله موضحاً تطور فكرة ألوهية المسيح بفعل المجامع - خاصة مجمع نيقية - إلى القول بالتثليث الذى كان مسار خلاف شديد بين علماء اللاهوت حيث أنكر بعضهم فكرة ألوهية المسيح بينما أعتبرها آخرون فكرة معقدة تتنافى مع العقل بما يجعلها غير أساسية لاعتناق المسيحية .

ويتتبع الكتاب أصول فكرة التثليث من خلال بعض الآراء التى ظهرت من داخل أوساط الكنيسة التى تشير إلى تأثر الفكر المسيحى بالفلسفة اليونانية وبعض العقائد الوثنية خاصة الميثراسية .

ويرصد الكتاب تبلور الاتجاه الليبرالى داخل الأوساط الكنيسة وظهور طائفة الموحدين خاصة فى بريطانيا والولايات المتحدة موضحاً كيف تطورت كتابات علماء اللاهوت الغربيين متجهة إلى إيجاد أرضية لاهوتية تتمشى مع العلم الحديث ما أدى لتراجع عقيدة التثليث فى بناء الاعتقاد المسيحى ثم الصحوة الجديدة التى أعادت هذه العقيدة إلى الصدارة تدعيماً لدور ومركز الكنيسة بالنسبة للمسيحين .

وفى المقابل طرح الكتاب الرؤية الإسلامية للمسيح عليه السلام فيعرض لولادته وبشريته ومعنى الروح القدس شارحاً قاعدة الاعتقاد الاساسية فى الإسلام وهى التوحيد بشقيها توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ويلقى الضوء على مفهوم الإله فى القرآن الكريم ومعنى الأسماء الحسنى ليخلص إلى بساطة وعمق مفهوم الإله فى الإسلام والصلة المباشرة بين الله تعالى والإنسان وأثرها على استقامة الإنسان فى الإعتقاد والسلوك .

والكتاب دعوة للحوار بين أتباع الأديان السماوية التى تدعو فى جوهرها إلى الخير والفضيلة والسلام كخطوة على طريق التعاون من أجل نشر قضية الإيمان بالله الواحد الأحد بعيداً عن مطامع السياسة والاقتصاد .



النهار للطبع والنشر والتوزيع
٧ ش الجمهورية - عابدين تليفاكس : ٣٩١٣٦٨٨